هنري كوربن

الجسد الروحي و

الأرض السماوية

من إيران المازدية إلى إيران الشيعية

ترجمة مجموعة الروح، ما في الجبة إلا الله

تم ترجمتها من الفرنسية من قبل

نانسي بيرسون

بولينجن مسلسل 91: 2

دار نشر جامعة برينستون.

هذا هو الجزء الثاني من الجزء الحادي والتسعين في سلسلة من الأعمال التي ترعاها
مؤسسة بولينجن

نُشر باللغة الفرنسية تحت عنوان
:*Terre celeste et corps* de *resurrection*
de *l'lran* maz*d*e*e*n a *l'lran shiit*e
Collection "La Barque du Soleil"),)
.Buchet-Chastel, Paris, *1960*

نُشر الجزء الأول في الأصل باللغة الفرنسية (في شكل مختلف قليلاً) في - Eranos
(Jahrbuch XXII *(19 53* بواسطة Rhein - Verlag، زيورخ.

تمت إعادة نشر ترجمة مقدمة الطبعة
الثانية بإذن من
.Editions Buche-Chastel

الطبعة الخامسة ، مع مقدمة الطبعة الثانية، *1989*

ستجد بيانات فهرسة مكتبة الكونغرس في الصفحة الأخيرة المطبوعة من هذا الكتاب.

طبع في الولايات المتحدة الأمريكية
منشورات جامعة برينستون، برينستون، نيو جيرسي

المحتويات

المحتويات

نحو رسم بياني للخيال
مقدمة للطبعة الثانية من
الجسد الروحي والأرض الكوكبية
من إيران "الزرادشتية" إلى إيران "الشيعية"

هنري كوربين

لقد مر وقت طويل - وسنقول هذا مرة أخرى أدناه - منذ أن اعترفت الفلسفة الغربية، دعونا نسميها "الفلسفة الرسمية"، التي انجرفت في أعقاب العلوم الوضعية، بمصدرين فقط للمعرفة *(Connaitre)*. هناك إدراك حسي يوفر البيانات التي نسميها تجريبية. وهناك مفاهيم الفهم *(التفسير)*، عالم القوانين التي تحكم هذه البيانات التجريبية. بالتأكيد، لقد عدّلت الظاهراتية وتجاوزت هذه المعرفة التبسيطية *(علم المعرفة)*.ومع ذلك، تبقى الحقيقة أن هناك فراغاً قائماً بين الإدراكات الحسية والحدس أو فئات العقل. أما ما كان ينبغي أن يحتل مكانه بين الاثنين، والذي شغل في أوقات وأماكن أخرى هذه المساحة الوسيطة، أي الخيال النشط، فقد تُرك للشعراء. إن الشيء الذي لا تستطيع الفلسفة العقلانية والمعقولة والعلمية أن تتصوره هو أن هذا الخيال النشط لدى الإنسان (ينبغي القول بالأحرى "الخيال النشط" بالطريقة التي تحدثت بها الفلسفة في العصور الوسطى عن *"العقل الفاعل")* يجب أن يكون له وظيفته المعرفية أو الإدراكية الخاصة به، أي أنه يمنحنا الوصول إلى منطقة وحقيقة وجودية تظل بدون تلك الوظيفة مغلقة ومحظورة علينا. بالنسبة لمثل هذا العلم، كان من المفهوم أن الخيال لا يفرز سوى الخيالي، أي غير الواقعي، والأسطوري، والعجيب، والوهمي، وما إلى ذلك.

وبناءً على هذا، لم يعد هناك أمل في استعادة الواقع الفريد من نوعه لعالم فوق الحسي، والذي ليس العالم التجريبي للحواس ولا العالم المجرد للعقل. علاوة على ذلك، بدا لنا لفترة طويلة أنه من المستحيل بشكل جذري إعادة اكتشاف الواقع الفعلي - كما نقول الواقع في الفعل - الخاص بـ "العالم الملائكي"، وهو واقع موصوف في الوجود نفسه، وليس بأي حال من الأحوال أسطورة تعتمد على البنى التحتية الاجتماعية والسياسية أو الاجتماعية والاقتصادية. من المستحيل اختراق عالم الملائكة

الزرادشتية بالطريقة التي يخترق بها المرء العالم الحقيقي، والذي يصف الفصل الأول من هذا الكتاب جوانب معينة منه. نقول الشيء نفسه عن الملائكة المذكورين في الكتاب المقدس. لقد كنت أبحث لفترة طويلة، مثل فيلسوف شاب، عن مفتاح هذا العالم كعالم حقيقي، وهو ليس العالم المحسوس ولا عالم المفاهيم المجردة. كان عليّ أن أجده في إيران نفسها، في العصرين الروحيين لإيران. ولهذا السبب فإن جزئي هذا الكتاب ملزمان لبعضهما البعض ومترابطان بشكل صارم. إن التناقض يرجع أساسًا إلى حقيقة أن نظرية المعرفة الخاصة بهم، الغريبة عن هذه الثنائية، تفسح المجال، كما هو الحال بالنسبة لقوة الوساطة الضرورية، لهذا الفاعل الخيالي الذي هو الخيالي.إنها قوة معرفية بحد ذاتها. تتمثل وظيفتها الوسيطة في تمكيننا من معرفة تلك المنطقة من الوجود دون أي تحفظ، والتي ستظل، بدون هذه الوساطة، أرضًا محرمة، والتي يؤدي اختفاؤها إلى كارثة روحية، حيث لم نقم بعد بقياس جميع العواقب. إنها في الأساس قوة وسيطة ووسيطة، بنفس الطريقة التي يكون بها الكون الذي تنظمه وتمنحه الوصول، كونًا وسيطًا ووسيطًا، عالمًا وسيطًا بين المحسوس والفكري *(المعقول)*، عالمًا وسيطًا بدونه يكون التعبير بين المحسوس والفكري *(المعقول)* مسدودًا بشكل قاطع. ثم تتكاثر المعضلات الزائفة في الظلال، وكل مخرج أو حل مغلق أمامها.

وبالتالي، فإن الخيال، سواء كان نشطا أو عاملاً، ليس بأي حال من الأحوال عضواً لإفراز الخيالي أو غير الواقعي أو الأسطوري أو الوهمي. لهذا السبب كان علينا بالتأكيد إيجاد مصطلح للتمييز بشكل جذري بين عالم الخيال الوسيط، كما نجده معروضًا على عقول علماء الميتافيزيقا الإيرانيين، وبين العالم الخيالي فقط. لقد ساعدتنا اللغة اللاتينية، وتعبير *"mundus imaginalis"* هو المقابل الحرفي للعبارة العربية *"عالم المثل"* أو *"العالم المثالي"*، والتي تُعرف في الفرنسية باسم "monde imaginal"، وهو مصطلح رئيسي.
لقد ترددنا في وقت صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب. (تتميز
المصطلحات اللاتينية بميزة تثبيت الأشكال الموضوعية وحمايتها من الترجمات الخطرة أو التعسفية. سنستخدم هنا بعضًا من هذه المعلومات المفيدة. بقدر ما لم يتم تسميته وتحديده،

لا يمكن للعالم أن ينشأ إلى الوجود والمعرفة *(Connaitre).* هذا المصطلح الرئيسي، *mundus imaginalis*، يتحكم في الشبكة الكاملة من المفاهيم المناسبة للمستوى الدقيق للوجود والمعرفة الذي يدل عليه: الإدراك الخيالي، والمعرفة الخيالية، والوعي الخيالي. بينما نجد في الفلسفات أو الأنظمة الأخرى عدم ثقة بالصورة، وتدهور كل ما ينتمي بشكل صحيح إلى الخيال، فإن العالم المثالي هو تمجيدها، لأنه الرابط الذي في غيابه يختل مخطط العوالم.

يخبرنا مؤلفونا مراراً وتكراراً أن هناك ثلاثة عوالم:

أولاً: العالم العقلي الخالص *(عالم عقلي)*، المشار إليه في فلسفتهم باسم جبروت أو عالم العقول الكروبية الخالصة. 2. العالم الخيالي ('العالم المثالي) المعروف أيضًا في فلسفتهم الثيوصوفية باسم ملكوت، عالم النفس والنفوس. 3. العالم المحسوس (العالم الحسي) الذي هو "مجال" (ملك) الأشياء المادية. وبالمثل، فإن أشكال الوجود والمعرفة الخاصة بهذه العوالم الثلاثة يتم الإشارة إليها تقنياً على النحو التالي: 1. الأشكال الفكرية (الصور العقلية). 2. الأشكال الخيالية (الصور المثالية). 3. الأشكال الحسية (الصور الحسية)، تلك التي تندرج تحت الإدراك الحسي. إن المفردات الفرنسية الموجودة في جميع أنحاء هذا الكتاب تتميز بدقة صارمة وتلتزم التزامًا وثيقًا بالمصطلحات التقنية العربية المستخدمة باستمرار في اللغة الفارسية.

أما بالنسبة لوظيفة العالم الخيالي والأشكال الخيالية، فهي تتحدد من خلال موقعها الوسيط بين العالمين الفكري والحسي. من جهة، إنه يُجرّد الأشكال الحسية من مادتها، ومن جهة أخرى، إنه "يتخيل" الأشكال الفكرية التي يمنحها شكلاً وبُعداً. يخلق العالم الخيالي الرموز من جهة من الأشكال الحسية، ومن جهة أخرى من الأشكال الفكرية. إن هذا الوضع المتوسط هو الذي يفرض على القدرة الخيالية انضباطاً لا يمكن تصوره عندما يتم انحدارها إلى "خيال"، لا يخفي إلا الخيالي وغير الواقعي، وقادر على كل أنواع الإسراف. وهنا يوجد نفس الفرق الكلي الذي سبق أن أقر به باراسيلسوس وأشار إليه بوضوح بين imaginatio vera (الخيال بالمعنى الحقيقي) و ".فانتزي".

من أجل ألا ينحدر الجيل السابق إلى الجيل الأخير،

•

فإن هذا الانضباط تحديداً، والذي لا يمكن تصوره إذا تم استبعاد القوة الخيالية، الخيال النشط، من مخطط الوجود والمعرفة، مطلوب. إن مثل هذا التخصص لن يكون قادراً على إشراك اهتمام خيال مختزل إلى دور جنون المنطق أو الأحمق الملهم، ولكنه متأصل في ملكة وسيطة ووسيطة يكمن غموضها في قدرتها على وضع نفسها في خدمة ذلك العقل الذي يسميه فلاسفتنا أعلى درجاته العقل المقدس (العقل المقدس)، المستنير بالعقل الإلهي (العقل الفعال) الذي هو ملاك الروح القدس. يؤكد فلاسفتنا على أهمية دور الخيال عندما يقولون إنه يمكن أن يكون "شجرة السعادة" أو على العكس "الشجرة الملعونة" التي يتحدث عنها القرآن، [1] والتي تعني ملاكًا أو شيطانًا في السلطة. قد يكون التصور غير ضار؛ أما الخيالي فلا يمكن أن يكون كذلك أبداً.

يتخذ المرء الخطوة الحاسمة في ميتافيزيقا الخيال والتخيل عندما يعترف مع مولا صدر الشيرازي بأن القوة الخيالية هي ملكة روحية بحتة مستقلة عن الكائن المادي وبالتالي باقية بعده. سنرى في سياق النصوص المترجمة هنا أن القوة التكوينية للجسم اللطيف أو الجسم الخيالي *(جسم مثالي)*، بل هذا الجسم اللطيف نفسه، لا ينفصل أبداً عن النفس، أي عن العقل الذاتي، عن الفردية الروحية. لذا فمن الأفضل نسيان كل ما قاله الفلاسفة المشائيون أو غيرهم عن ذلك، عندما يتحدثون عنه على أنه مثل ملكة جسدية ويفنى مع الجسد العضوي الذي يتبع نظامه.

لقد أكد ابن عربي بالفعل عدم مادية القوة الخيالية عندما ميز بين الأشكال الخيالية المطلقة، أي تلك الموجودة في الملكوت، والأشكال الخيالية "الأسيرة"، أي تلك الكامنة في الوعي الخيالي للإنسان في هذا العالم. أما الأولى فهي في عالم النفس *(ăme)* أو ملكوت، وهي تجليات أو تجليات إلهية، أي أنها مظاهر تخيلية للأشكال الفكرية النقية للجبروت. وهذه الأخيرة بدورها هي تجليات للأشكال الخيالية لعالم الملكوت أو عالم النفس لوعي الإنسان الخيالي. لذلك من الدقيق تمامًا هنا الحديث عن الصور الفيزيائية الجديدة. لا يمكن إعادة استقبال

هذه الأشياء إلا من خلال أداة روحية. إن التضامن والترابط بين الخيال النشط الذي يُعرَّف بأنه قوة روحية وضرورة العالم الخيالي كعالم وسيط يستجيب لحاجة مفهوم يعتبر العوالم وأشكال الوجود بمثابة العديد من التجليات الإلهية (تجليات إلهية).

وهكذا نجد أنفسنا أمام عدد من الفلاسفة الذين يرفضون بلا مبالاة فلسفة أو لاهوت يفتقر إلى عنصر التجلي الإلهي. لطالما اعتبر السهروردي وجميع أتباعه من الإشراقيين أن "الحكيم الكامل" هو الحكيم الذي يجمع لنفسه على حد سواء أعلى المعارف الفلسفية والتجربة الصوفية المستوحاة من التجربة الرؤيوية للنبي، ليلة الإسراء والمعراج. إن أداة الرؤى، مهما كانت درجتها، سواء في حالة الفلاسفة أو الأنبياء، ليست العقل ولا العيون الجسدية، بل نار ذلك الخيال الحقيقي الذي تمثله العليقة المشتعلة بالنسبة لسهروردي. في الشكل المحسوس، يكون الشكل التخيلي نفسه هو الشكل المدرك وأداة الإدراك البصري منذ البداية وفي نفس الوقت. الأشكال الإلهية هي في جوهرها أشكال تخيلية.

وهذا يعني أن العالم الخيالي هو المكان، وبالتالي العالم، حيث لا تحدث فقط رؤى الأنبياء، ورؤى المتصوفة، والأحداث الرؤيوية التي تمر بها كل نفس بشرية عند خروجها من هذا العالم، وأحداث البعث الأصغر والبعث الأكبر، بل تحدث أيضًا طقوس الملاحم الصوفية، والأفعال الرمزية لجميع طقوس التأهيل، والصلوات بشكل عام بكل رموزها، و"تكوين الأرضية" في مختلف طرق الصلاة (التراتيل)، والروابط الروحية التي لا تندرج صحتها ضمن اختصاص الوثائق والمحفوظات، وكذلك العمليات الباطنية للعمل الخيميائي، والتي استطاع الإمام الأول للشيعة أن يقول عنها: "الخيمياء أخت النبوة". وأخيراً، فإن "سير الملائكة المقربين" هي بطبيعتها تاريخ خيالي، لأن كل شيء فيها يحدث في عالم الملائكة. وهكذا، إذا حرم المرء كل هذا من مكانه المناسب وهو عالم الخيال، ومن عضوه المناسب للإدراك وهو الخيال الإنتاجي،

فلن يكون لأي شيء منه "مكان" بعد الآن، وبالتالي لن "يحدث". لم يعد الأمر سوى خيالي ووهمي.

مع فقدان الخيال الحقيقي وعالم الخيال، تبدأ العدمية واللاأدرية. ولهذا السبب قلنا قبل بضعة أسطر أنه ينبغي علينا أن ننسى هنا كل ما قاله الأرسطيون والفلاسفة المماثلون عن الخيال عندما يعاملونه كملكة جسدية. وهذا تحديداً ما يجعل جهود بعض الفلاسفة اليهود والمسلمين لبناء نظرية فلسفية عن النبوة مثيرة للشفقة. في الحقيقة، إنهم لا يتخلصون من الصعوبة. إما أن النبي يُشبه الفيلسوف أو أن الفيلسوف لا يعرف كيف يتعامل مع النبوة. من ناحية أخرى، يتم تحقيق هذا الاقتران بسهولة من قبل فلاسفتنا الذين اقتنعوا بأن إخوانهم، بدءًا من حكماء اليونان القدماء وكذلك حكماء بلاد فارس القديمة، استمدوا معرفتهم العليا من كتاب النبوة (مشكاة النبوات) وهنا تحديداً يتحد الفيلسوف والنبي في مهنة واحدة.

إن النبي ليس عرافاً للأحداث المستقبلية، بل هو المتحدث باسم غير المرئي ولغير المرئيين، وهذا ما يعطي معنى "الحكمة النبوية". وبالتالي فإن الفلسفة النبوية هي "فلسفة سردية"، متحررة من المعضلة التي تشغل بال أولئك الذين يسألون: هل هي أسطورة أم تاريخ؟ بمعنى آخر: هل هو حقيقي أم غير حقيقي؟ هل هي قصة خيالية أم حقيقية؟ إن الفلسفة النبوية هي تحرر من هذه المعضلة الزائفة. إن الأحداث التي يصفها ليست أسطورة ولا تاريخ بالمعنى المعتاد للكلمتين. إنها تاريخ الملكوت - ما سنسميه التاريخ الخيالي - بنفس الطريقة التي تشكل بها البلدان والأماكن في هذا التاريخ جغرافية خيالية، وهي جغرافية "الأرض السماوية".

إن الوصول إلى هذا التاريخ التخيلي متاح لنا من خلال ذلك التأويل المتميز الذي يرمز إليه بكلمة "تأويل"، والتي تعني حرفياً "إعادة شيء ما إلى مصدره"، إلى نموذجه الأصلي، إلى حقيقته الحقيقية. لقد برع الشيعة الاثنا عشرية وكذلك الشيعة الإسماعيلية في هذا الفن، لأن التأويل هو في آن واحد مجال وحافز باطنيتهم باعتباره "اليوم السابع" الذي يكمل سادس أيام الخلق. بالنسبة للقارئ السطحي

..

المباشر، فإن ما يبدو أنه المعنى الحقيقي هو القراءة الحرفية. ما يقترحه المرء عليه باعتباره المعنى الروحي يظهر له على أنه المعنى المجازي، باعتباره "استعارة" يخلط بينها وبين "الرمز". أما بالنسبة للباطنيين، فالأمر عكس ذلك: فالمعنى الحرفي المزعوم ليس إلا استعارة *(مجاز)*. إن المعنى الحقيقي *(الحقيقة)* هو الحدث الذي تخفيه هذه الاستعارة.

وكما هو الحال بالنسبة للكابااليين، فإن الأحداث الحقيقية هي العلاقات الأبدية بين السفروت العشر، المخفية وراء روايات الأحداث الخارجية التي يرويها الكتاب المقدس، كذلك بالنسبة للباطنية الشيعية، يجب قراءة ثلثي القرآن بمعناه الخفي والحقيقي *(الحقيقة)* كسرد للدراما التي تدور بين الأئمة الأطهار وخصومهم منذ ما قبل خلق هذا العالم. هذا ليس مجرد رمزية: إنه يتكون من أحداث حقيقية. قال هيجل إن الفلسفة تتمثل في قلب العالم رأساً على عقب. دعونا نقول بالأحرى أن هذا العالم موجود هنا والآن من الداخل إلى الخارج. إن التأويل والفلسفة النبوية تتمثلان في إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح مرة أخرى.

وبما أن اسم هيجل قد ذُكر للتو، فقد حان الوقت المناسب في مقدمتنا لإعطاء المعنى الحقيقي لمواضيعنا الرئيسية للفلسفة الغربية. عندما يمثل المتصوفون الصوفيون في هذا الكتاب التجربة ويؤكدون ضرورة العالم الوسيط، أي وجود وسيط بين الحسي والفكري، فإن موقفهم هو بالضبط موقف يعقوب بوهمه. بين الفكري والمحسوس، أو بتعبير أدق، بين الإله المتعالي والخفي، الإله الخفي، *(الكيان الإلهي)*
الحقيقة المخفية وعالم الإنسان، يضع بوهمه وسيطًا يسميه العنصر المقدس، وهو "**جسد روحي**"
يمثل المسكن، والحضور الإلهي، لعالمنا. هذا المسكن هو الحكمة نفسها، صوفيا. هذا الحضور هو الشكينة عند علماء الكابالا. إنه الموضع التخيلي لتجسد روحي بالكامل، يسبق إلى الأبد ذلك التجسد الذي تضعه الأديان الظاهرية في التاريخ، ذلك التاريخ الذي لا يمثل بالنسبة للشيعة والمتصوفين والإسماعيليين سوى استعارة للحقيقة المطلقة.

في كلتا الحالتين، فإن فكرة التجلي الإلهي هي المهيمنة، والتي تظهر نفسها بوضوح بطبيعتها وضرورتها بين العقلي والمحسوس، وما يُشار إليه باسم صوفيا،

باعتبارها "نفس العالم"، فهي في الوقت نفسه الموضع التخيلي وعضو هذا التجلي الإلهي. إنها في آن واحد الوسيط الضروري، الإله الكاشف، بين الألوهية الخالصة، المخفية إلى الأبد، بعيدًا عن متناولنا، وعالم الإنسان. هذا ما لدينا في مكان آخر يسمى "مفارقة التوحيد"، وهو موضوع ثابت في جميع تلك المذاهب في "أديان الكتاب" التي ترتبط بشكل أو بآخر بالكابالا. وبالمثل، في التصوف اليهودي، أسس الحسيديم تمييزًا ثلاثيًا: هناك الإله الذي لا يمكن معرفته، وهناك مكان انبثاق المجد، وهو "الوجه في الأعالي" والذي لا تعرفه حتى الملائكة؛ وأخيرًا هناك المجد الظاهر، "الوجه في الأسفل"، وهو الوحيد الذي يمكننا تصوره. هذا "الوجه السفلي" هو الملاك ميتاترون بصفته "ملاك الوجه" الذي هو على حد سواء الحضور، وصوفيا، ونفس العالم.

والآن، فإن كل نوع من أنواع الثنائية التي نشأت بشكل أو بآخر من الفكر الديكارتي أو التي ترتبط به ارتباطًا وثيقًا قد رفضت ضرورة وجود هذا الكيان الروحي الوسيط. لقد كانت فلسفتنا الغربية مسرحاً لما يمكن أن نسميه "معركة من أجل نفس العالم". من ناحية أخرى، مثل "الفرسان الذين لا يشوبهم شائبة" الذين يحمون هذه النفس، أفلاطونيو كامبريدج (هنري مور، رالف كودوورث)؛ يعقوب بوهمه ومدرسته مع كل من يرتبط بهم؛ نيوتن "البوهمي"؛ علماء الكابالا المسيحيون مثل إف. سي. أوتينجر الذين تتقاطع فيهم تيارات الفكر القادمة من بوهمه وسويدنبورغ. من جهة أخرى، يجدون خصومهم: ديكارت، الأب. ميرسين، ومالبرانش، وبايل، وبلا شك لايبنيتز وكريستيان وولف، والقائمة تمتد حتى أيامنا هذه. هل هي مسألة معركة خسرناها في النهاية، وفقد العالم نفسه، وهزيمة تثقل عواقبها كاهل رؤانا الحديثة للعالم دون تعويض؟ إذا حدثت هزيمة، فإن الهزيمة لا تعد دحضاً. نعرف عدداً معيناً من الفلاسفة الشباب الأحياء اليوم والذين يشعرون بقلق بالغ إزاء الرغبة في قلب موازين القوى مرة أخرى في هذا الصراع. ولهذا السبب تحدثنا أعلاه عن واقعية مواضيع هذا الكتاب؛ وهي واقعية تضع "الافلاطونيين الفارسيين" في صف الأفلاطونيين كومريدج.

إن ضرورة العالم الخيالي، الذي اختبره وأكده الإشراقيون،هي تحديداً ضرورة تلك الوساطة التي

ذكرنا بها يعقوب بوهمه وأتباعه للتو. وبشكل أدق: هذا العالم الخيالي، عالم هُورقَلْيَا، عالم الملكوت أو عالم النفس، هو "الأرض السماوية" و"الجسد السماوي". وكما أن صوفيا هي المكان المتخيل للحضور الإلهي في عالمنا، فإن الأرض السماوية، الحاضرة للحنين السري في قلوب الرجال، ترمز إليها في المعرفة الشيعية شخصية فاطمة المتألقة، ابنة النبي. فاطمة هي صوفيا في الفلسفة التشيعية وعلم الكونيات.

سنقدم الآن هنا المفهوم الشيعي للظهور الأول (التجلي الإلهي الأول) لذلك المبدأ الذي يتجاوز كل اسم وكل صفة. هذا الفيض الأول يتميز

بالنور المحمدي البدائي (نور محمدي)، الذي يتكون

من أشكال معينة من النور، أي الكيانات الميتافيزيقية المعروفة باسم الأربعة عشر الطاهرة. إن التتابع الأبدي لولاداتهم يجلب معه ولادة العوالم. البليروما الخاصة بهم هي المسكن، والوساطة الضرورية بين الإله المتعالي، الخفي والذي لا يمكن الوصول إليه، وعالم البشر. الأربعة عشر الذين لا تشوبهم شائبة هم مجتمعين "ملاك الوجه". سيوضح لنا سرد ميتافيزيقي خلال هذا الكتاب كيف يشكل الشخص الأبدي لفاطمة صوفياصوفيانية حكمة البليروما للأربعة عشر الطاهرين، وكيف تصبح الحكمة، بفضل الفضيلة الكونية لهذا البليروما، الصوفيانية هي الحضور في عالمنا. لقد صاغ مؤلفونا مصطلحًا للتعبير عن هذا: فاطمية، وهو اسم مجرد يُترجم حرفيًا إلى شيء مثل "الفاطميون"، ولكن مصطلح "الصوفيانية" يعبر عنه بشكل مباشر أكثر بمجرد أن نتعرف على الشخص الوسيط الأبدي لفاطمة المتألقة، وهي المعروفة في أماكن أخرى باسم صوفيا.

وتقترح علينا النصوص المازدية القديمة المزيد من

الحكمة الصوفية. من بين الملائكة الستة الذين يحيطون بأهورامزدا، إله النور الخالص، الذي ينبثقون منه والذي يعني اسمه نفسه "سيد الحكمة" (أهورا مازدا في الأفيستا)، ثلاثة منهم ذكور وثلاثة إناث. أول هؤلاء الملائكة المقربين المؤنثين يحمل في الأفيستا اسم سبنتا أرمَيتِي (باللغة البهلوية، أي في اللغة الفارسية الوسطى، سباندارمات؛ في اللغة الفارسية الحديثة، سفوندارموز). ستُظهر لنا النصوص السابقة الرائعة الكامنة هنا. هي "ابنة أهورامزدا". إنها

بالفعل صوفيا المازدية وتجسيد للأرض السماوية. سباندارمات-صوفيا هي "سيدة المسكن". هي المسكن نفسه، بصفتها رئيسة الملائكة الأنثوية للأرض التي هي أرض النور. وبناءً على اسمها في اللغة البهلوية، تم تشكيل المصطلح المجرد اسپاندارامت الذي لا يمكننا ترجمته بشكل أفضل من مصطلح "الصوفية". يشير هذا المصطلح إلى نمط معين من السلوك الموصوف للمؤمنين الزرادشتيين. هناك أيضًا جاذبية، وتوافق لافت للنظر، بين
مصطلحي فاطمية و اسپاندارامت، وكلاهما يشير إلى "صوفية"
تتجسد من جهة في شخصية رئيسة الملائكة المقدسة أرميتي ومن جهة أخرى في شخصية فاطمة صوفيا. إن افتراض هذه الصوفيانية هو أن يصعد الإنسان هنا والآن إلى الأرض السماوية، إلى عالم هُورقَلْيَا، عالم "الجسد السماوي"، وهو عالم الأجسام اللطيفة من النور. وبتقديمها بهذه الطريقة في بضعة أسطر، فإن الغرض من العنوان الفرعي للكتاب، "من إيران المازدية إلى إيران الشيعية"، سيظهر بلا شك للقارئ في ملامح أكثر دقة.

من الواضح أن الانتقال من تجلي من تجليات الصوفيانية إلى آخر لا ينطوي على النسب المادي لأي سببية تاريخية لأنه من الواضح هنا أن كلا التجليين هما أفعال الملكوت التي تحدث في العالم الخيالي. نفضل هنا الحديث عن حقب العالم الروحي بدلاً من الحديث عن الثوابت أو العوامل المتكررة للوعي الإيراني. إن تعاقب حقب العالم الروحي لا يتكون من تاريخ يمكن للمرء أن يدركه ويثبته بالطريقة التي تسمح لنا بها الوثائق بالحديث عن حملات يوليوس قيصر أو نابليون. إن حقب العالم الروحي تختلف تماماً عن حقب العالم الخارجي للجيولوجيا أو التاريخ الاجتماعي والسياسي. تشكل حقب العالم الروحي تاريخاً فريداً من نوعه، وهو في جوهره تاريخ خيالي. إننا نتعامل هنا مع "تاريخ" من نفس النوع الذي نشهده عندما يحدد فلاسفتنا الشيعة إمامهم الثاني عشر تارةً مع المخلص الأخروي الزرادشتي أو مع الباراقليط المعلن عنه في إنجيل القديس يوحنا. لقد قلنا بالفعل أن هذا التاريخ ليس أسطورة ولا تاريخًا كما هو مفهوم في اللغة الحالية، ولكنه لا ينطوي على أي
تاريخ أقل من الأحداث الحقيقية، أو حقيقة خاصة بهذه الأحداث، حقيقة تقع على مستوى آخر غير مستوى الأحداث الخارجية

للعالم المادي، والتي يعتبرها التأويل الباطني استعارة للأحداث الحقيقية.

هذه الأحداث الحقيقية بالإضافة إلى الروابط التي تربطها ببعضها البعض تحدث في العالم الخفي للنفس، عالم الملكوت، العالم الخيالي. وقد تحدث آخرون عن "سجل أكاشا" (هذا المصطلح يشير إلى العالم الخفي). ما نطرحه هنا يفترض ببساطة مصطلح "التاريخ التخيلي". كل فلسفة تفقد إحساسها بالعالم الخيالي تغلق على نفسها الوصول إلى الأحداث التي هي محورها، وتصبح فريسة للمعضلات الزائفة.

لذلك نحتاج إلى مفردات أخرى غير مفردات التاريخ بالمعنى التجريبي لهذه الكلمة من أجل التعامل مع "سجلات الملكوت"، تمامًا كما احتاج بوهمه إلى مصطلحات مختلفة عن مصطلحات الفلاسفة المشائيين وعبر عن نفسه بمفردات الخيمياء. لوصف العلاقة بين العصرين على التوالي، عصر الحكمة وعصر الأرض السماوية، لجأنا هنا إلى المصطلحات الموسيقية، وننتقل إلى التأثير الصوتي الناتج على الأرغن من خلال عزف التناغم التدريجي.

وهكذا يصبح الاختراق إلى عالم هُورقَلْيَا، إلى العالم الملائكي، جانبًا من التجربة التي يقدمها التقدم الهارموني لسمعنا. وبينما ننطق بهذه الكلمات، ندرك مرة أخرى بعض التوافقات مع "الواقع" بالمعنى الذي تحدثنا به من قبل عن واقع "المعركة من أجل نفس العالم". تشهد العديد من المنشورات الحديثة الهامة على حقيقة العالم الملائكي من خلال أعمال عدد من الفلاسفة في كل عصر. إن البحث عن آثار هذا العالم ينطوي حتى على المشاعر، ليس فقط بسبب السخرية التي يلقيها الجهل المتحدي عليه، ولكن أيضًا بسبب كل ما يلتزم هذا البحث بإعادته إلى النور بشكل مؤلم. لأنه ينطوي على تقليد منسي بالكامل (بل مشوه ومغير لدرجة يصعب التعرف عليه)، والذي يمكن لنصوصه المتعددة والمتنوعة وحدها أن تغذي البحث وتؤدي إلى تجديد كامل لعلم الملائكة. لذا فقد كانت رغبتنا أن نقدم بعض هذه النصوص هنا.

لا ندّعي أن العادات الذهنية المتأصلة عبر الأجيال تُسهّل على معاصرينا الوصول إلى هذا العالم الذي يبدو لهم كعالمٍ ضائعٍ منذ زمنٍ بعيد.

لذا، كان الترحيب الذي حظيت به دراسة حديثة تتناول "الحياة بعد الموت" وتقدم شهادات عديدة لتجارب حقيقية لأشخاص، رغم أنهم لم يعبروا تلك المرحلة نهائيًا، إلا أنهم وجدوا أنفسهم على "عتبة" الموت، إذ تم تأكيد وفاتهم سريريًا.2 ولا عجب أن يحظى كتاب كهذا باستحسان مؤثر من البعض، ما يدل على حنين لم يفلح شيء في إخماده في قلب الإنسان. وبالمثل، ليس هناك سبب للدهشة إذا قوبل الكتاب نفسه بالتشكيك. بالتأكيد، تم الاستشهاد بالعديد من النصوص التقليدية فيما يتعلق بالشهادات الواردة في هذا الكتاب. لكن كم عدد الأشخاص الذين عرفوها؟ في الواقع، لا يمكن قبول بعض هذه الشهادات ناهيك عن فهمها إلا بشرط أن يكون لدى المرء على الفور أنطولوجيا عالم الخيال وميتافيزيقا الخيال النشط كعضو متأصل في النفس ومنظم في حد ذاته لعالم "الجسدية الدقيقة". لقد حاولنا هنا القيام بهذا الأمر تحديداً. وسيكون هناك حاجة إلى المزيد، مما يستلزم دراسة دقيقة واستئصال كل "فانتسي" يمكن أن تفسد شرعية الفهم الخيالي.

وفي هذا الصدد، نود أن نحذر. لقد رأينا بأنفسنا، بسرور وإن لم يكن خالياً من بعض القلق، أن كلمة "الخيالي" كما تستخدم تحديداً في أبحاثنا قد انتشرت بل واكتسبت أرضية. نود أن نصدر البيان التالي. إذا تم استخدام هذا المصطلح للإشارة إلى أي شيء آخر غير العالم الخيالي والأشكال الخيالية كما هي موجودة في مخطط العوالم التي تستلزمها وتضفي عليها الشرعية، فهناك خطر كبير من أن يتم تحريف المصطلح وفقدان معناه. وبالمثل، نود أن نذكر القارئ بأن المخطط الذي يكون فيه العالم التخيلي هو في جوهره العالم الوسيط، والوصلة بين الفكري والحسي، حيث يكون الخيال النشط كـ الخيال الحقيقي أداة للفهم تتوسط بين العقل والحس، وهو شرعي مثل هذين الأخيرين وذلك العالم نفسه. إذا قام المرء بنقل استخدامها خارج هذا المخطط المحدد بدقة، فإنه يسلك مسارًا خاطئًا وينحرف بعيدًا عن النية التي حثنا فلاسفتنا الإيرانيون

...

على استعادتها في استخدامنا لهذه الكلمة! من غير الضروري أن نضيف - سيدرك القارئ هذا بالفعل - أن مفهوم "العالم الخيالي" لا علاقة له بما يسميه موضة عصرنا "حضارة الصورة".

إننا نعترف بأن الوصول إلى عالم هُورقَلْيَا، إلى العالم الملائكي، لا يزال بلا شك أمراً صعباً. سمعنا أكثر من مرة

منذ نشر الطبعة الأولى قراءً يأسفون للصعوبة الخاصة للفصل الأول - ذلك الفصل المتعلق بعلم الملائكة في الأفيستا. نود أن نقترح هنا - وهذا قد ينطبق على الكتاب بأكمله - أن القراءة لمرة واحدة لا تكفي.

لا يمكن للمرء أن يخترق العالم الملائكي عن طريق اقتحام المنازل، ولا يمكن للمرء أن يتحرك ذهنياً في عالم هُورقَلْيَا بمساعدة منطق رسمي أو جدلية تؤدي من مفهوم إلى آخر عن طريق الاستنتاج. إن الانتقال من شكل تخيلي إلى آخر لا يخضع لأي جدلية مفاهيمية. إن صور الآلهة الملائكة في الأفيستا، على سبيل المثال، والتي تتداخل مع بعضها البعض كما هو الحال في كثير من الأحيان، لا يمكن فهمها إلا من خلال توليد حد أدنى من الرؤية الدنيوية في النفس، بناءً على دلالات النصوص. ماذا ينطوي هذا إذن؟ ينبغي للمرء أن يلجأ هنا إلى الممارسة المثالية التي قادنا ابن عربي نفسه إلى تصميمها على أنها "الأسلوب الإلهي للخطاب" *(الوعظ)*.

قد يكون هذا في حد ذاته ليس سوى شكل أو جاذبية من أشكال التقدم الهارموني. لكن أليس من الشائع في الكتاب المقدس أن يطلب الأنبياء مساعدة عازف القيثارة من أجل فتح عيون رؤيتهم الداخلية؟

ترجمة بيتر راسل

حواشي

I. زقوم . القرآن، السابع عشر، 60؛ السابع والثلاثون، 62-68؛ الرابع والأربعون، 43-46؛ لفي، 52.(orTr .N.)
2. د. ريموند مودي، الحياة بعد الحياة، لندن، كورجي، 1977.

قد يكون العالم الذي يصفه مؤلفونا هنا بلغة رمزية بأنه "المناخ الثامن" سينظر إليه الغربيون على أنه "القارة المفقودة". إذا كان بعضهم يبحث عن ذلك، فربما يكون المعلمون الروحيون الذين يسعى هذا الكتاب إلى تفسيرهم بمثابة مرشدين لهم.

إن المسافات المكانية بين البشر تتقلص أكثر فأكثر في عصرنا الحالي، على الأقل إذا تم قياسها من حيث الوقت؛ وفي الوقت نفسه نسمع الحديث عن "تسارع التاريخ". من ناحية أخرى، فإن الأكوان الحقيقية - تلك التي يعيش ويموت بها البشر ومن أجلها، والتي لا يمكن اختزالها أبدًا إلى بيانات تجريبية لأن واقعها السري موجود قبل كل مشاريعنا ويحددها مسبقًا - تلك الأكوان، على ما يبدو، لم تكن أبدًا بعيدة عن القدرة على التواصل مع بعضها البعض، وعن إمكانية اختراق بعضها البعض. قد يكون السبب الأول والأخير لهذا الغموض هو فقدان العالم البيني، في الوعي المتلاشي لهذا التجمع من الأكوان الذي يسميه مؤلفونا "عالم هُورقَلْيَا".

كيف يُمثّل الرجل المثقف في عصرنا الحالي روحانية الإسلام لنفسه؟ ما هي الصورة التي يمكن أن يرسمها للعالم الروحي لإيران، والتي سنحاول هنا أن نركز اهتمامنا على قطبيها، قبل الإسلام وبعده؟ ينشغل الناس عموماً بالاعتبارات السياسية أو الاجتماعية ويغفلون عن الأمور الأساسية. نطرح الأسئلة دون حتى التأكد من معناها، إن وجد، بالنسبة للرجل المخاطب، وللسبب نفسه، من معنى أو عدم معنى إجاباته بالنسبة لنا.

إنها لمغامرة عظيمة ورهيبة أن تكون ضيفاً على ثقافة ما لدرجة التواصل بلغتها والمشاركة في مشاكلها. لكن من يبقى على الشاطئ لن يتذوق أبدًا أسرار أعالي البحار. كيف له أن يعرف، على سبيل المثال، ما قد يكون عليه قراءة القرآن ككتاب مقدس (مثل ذلك الكتاب المقدس الذي ينبع منه القرآن جزئياً) ما لم يدرك، مثل أولئك الذين هو كتابهم المقدس، المعنى الروحي الذي

.

يدركونه فيه، وكما يدركونه في التقاليد التي يكشفه. لكن كيف لنا أن نجاري علماء الإسلام ومعلميه الروحيين إذا كنا قد نسينا

لغة الرموز، وإذا كنا عمياناً وصماً عن المعنى الروحي للكتابات القديمة، بينما نفتخر، من ناحية أخرى، بإظهار مدى تفوقها على الوثائق التاريخية أو الأثرية الأخرى؟

من بين الأعراض الأخرى التي تشير إلى "قارة مفقودة"، ينبغي أن نلاحظ الإصرار غير المعتاد الذي اتخذ به بعض اللاهوتيين المعاصرين "خلود النفس" في مقابل "قيامة الموتى"، كما لو كان من الانتصار العظيم التخلي عن الفلاسفة، الأفلاطونيين غير التائبين، لمزاعمهم العبثية، بينما هم أنفسهم، كواقعيين كاملين، على استعداد للتغاضي عن التنازلات اللازمة من أجل "مواكبة العصر". ففي الحقيقة، لقد حدث تدمير كبير للآمال في الغرب، ولا يمكن التنبؤ إلى أين سينتهي هذا الأمر. إن أكثر أعراضها إثارة للقلق هو اللاأدرية المتدينة التي تشل العقول الممتازة وتثير فيها ذعراً ورعباً أمام كل شيء يحمل رائحة "المعرفة (الغنوص)" المشبوهة.

دعونا نوضح أمراً واحداً: إن المعضلة التي ذكرناها للتو غريبة تماماً ومبررة عن الأفكار والمفكرين المجتمعين هنا في هذا الكتاب. لا مجال لـ "إثبات" شيء مثل خلود النفس أو قيامة الموتى، وقبل كل شيء ليس لشخص ينكرها أو يرفض الفكرة. إذا كان صحيحاً أن البرهان العقلاني يفشل في دعم كل من الأطروحة ونقيضها، فذلك لسبب جوهري يظهر من نصوصنا نفسها. إن الرفض والأمل الذي يتحدى ذلك ليسا مسألة إثبات نظري. الأمر يتعلق بالحكم الذي يحمله كل فرد في نفسه عن نفسه، والذي بفضله يتحمل المسؤولية الكاملة عن نفسه. ولهذا السبب سيكون من غير الفعال محاولة فرض الخلود أو القيامة على أي شخص لا يريد ذلك - لا سيما أنه لا يمكن أن يكون هناك "قيامة للأجساد" بدون "قيامة للنفوس"، أي بدون التغلب على خطر "الموت الثاني"، الذي تم تمييزه بوضوح من قبل الهرمسية القديمة، والذي

..

يفترض "النزول إلى الجحيم". لأنه من النفس نفسها، من الأرض السماوية للنفس، يتكون "الجسد الروحي" - وهو فوق الحسي وفي نفس الوقت ملموس تمامًا الجسد الروحي. إن "النفس الميتة"، بمعنى أن النفس يمكن أن تموت، لا يمكن أن تكون جوهرها. ستكون هذه الصلة

هي الفكرة المحورية للنصوص وللمؤلفين الذين تمت دراستهم في هذا الكتاب.

تشكل هذه النصوص مجتمعة تطوراً من أوكتاف إلى آخر في الكون الروحي الإيراني، حيث تكرر وتضخم نفس الموضوع. وهنا تكمن صعوبة المهمة التي شعرنا بأننا مدعوون إليها، لأنه حتى الآن، لم يُكتب إلا القليل جدًا في محاولة لفتح رؤية لوحدة هذا الكون ولإظهار كيفية ترابط أجزائه المكونة. أولاً وقبل كل شيء، كان علينا أن نحدد ظواهر الوعي المازدي أو، بشكل أدق، علم الملائكة المازدي، مع الشخصيات الشخصية والنماذج الأصلية التي تمثل تجلياته. ثم، من خلال الموضوع الذي تمت دراسته هنا، كان علينا أن نمهد الطريق المؤدي من إيران المازدية إلى إيران الإسلامية.

وأخيراً، في الجزء الثاني من الكتاب، من خلال السماح لبعض المؤلفين، الذين ظلت أسماؤهم وأعمالهم حتى الآن مجهولة تماماً تقريباً في الغرب، بالتحدث عن أنفسهم، كان هدفنا هو إظهار كيف يمكن مشاركة بعض المشكلات وإنشاء مصطلحات مشتركة. بدون هذه المشاركة، لا يمكننا أن نأمل في الكثير حتى من التبادلات التي تتم بأفضل النوايا في العالم. الصفحات التي تمت ترجمتها هنا، من الفارسية والعربية، هي مقتطفات من أحد عشر مؤلفًا، يغطون معًا الفترة من القرن الثاني عشر حتى يومنا هذا. أسماؤهم معروفة جيداً في إيران، ولكن ماذا يمكن أن يقال عن معرفتنا بالإنسان، بالإنسان العاقل، طالما أننا لا نعرف شيئاً عن المناطق الخفية التي تم استكشافها ولا عن المستكشفين أنفسهم؟

عادة ما يسبق عمل "الانتشار" دراسة تمهيدية للمادة، ولكن لسوء الحظ، ونظرًا

لندرة الأعمال في هذا المجال، فإن الفيلسوف المستشرق سيضطر في الواقع لبعض الوقت إلى تولي هاتين المهمتين بنفسه. ولهذا السبب يستحيل بناء تحقيق في هذا النوع من الأشياء دون تقديم ما يسمى عادة

بـ "الملاحظات" والتي هي في الواقع التعليقات التي بدونها سيبقى الهيكل بأكمله معلقًا في الهواء. ومع ذلك، فقد رغبنا في كتابة كتاب يكون ذا فائدة عامة

- أي للباحث المستعد، الذي سيجد فيه العديد من المواضيع للدراسة بعمق، وكذلك لمن كان يُطلق عليه في فرنسا في القرن الثامن عشر اسم " honnête homme"، الرجل المنفتح الذي يدين له الباحث بالتقدير، لا سيما وأن نوعه ربما يكون محكوماً عليه، بسبب الظروف المعاصرة، بالاختفاء.

فيما يلي، سيكون هناك تكرار مستمر لبعض المصطلحات التي قد تكون مصدر إزعاج لبعض القراء؛ ويمكن التأكيد لهم أن هذا الإزعاج مشترك. ومع ذلك، فإن هذا الانزعاج لم يعد له أي أساس إذا أخذنا المصطلحات المعنية ببساطة النصوص التي تُرجمت منها. إن كلمة "الثيوصوفية" على سبيل المثال هي ترجمة للكلمة العربية الحكمة الإلهية والكلمة الفارسية خدادانی، وهما في حد ذاتهما مكافئان تمامًا للكلمة اليونانية الثيوصوفية. إن مصطلحي "الباطنية" و"التأهيل" لا يعنيان أي ادعاء حصري بالتدريس من قبل سلطة معينة نصبت نفسها بنفسها. وتشير هذه الكلمات، على التوالي، إلى الأشياء الخفية التي تفوق الحواس، وإلى الحكمة التي توحي بها الكلمات نفسها فيما يتعلق بأولئك الذين يحتقرونها لعدم فهمهم لها، وإلى الولادة الروحية التي تؤدي إلى انفتاح إدراك تلك الأشياء الخفية. ربما أُسيء استخدام هذه المصطلحات، ولكن سيتم تذكيرنا باستخدامها الصحيح في سياق ما يلي.

أما كلمة "إمام"، التي تعني "المرشد الروحي"، فإن هذه الكلمة تهيمن على شكل الإسلام الذي سيهمنا بشكل خاص هنا، وهو التشيع (المعروف أيضًا باسم الإمامية) وقبل كل شيء، إيران الشيعية. إذا كان صحيحاً بالفعل القول بأن المثقفين في الغرب عادة ما يكون لديهم فكرة تقريبية فقط عن اللاهوت الإسلامي بشكل عام، فعندما يتعلق الأمر بالتشيع، فمن المخشى أننا نتحدث عن "أرض مجهولة". قد تشير بعض الصفحات في هذا الكتاب (الفصل الثاني، الفقرة 1)، بالإضافة إلى النصوص المترجمة، إلى ما يشكل جوهره. لكن لم يكن بوسعنا أن ندرج هنا ملخصاً لتاريخ التشيع أو أن نشرح كيف ولماذا أصبحت شكلاً من أشكال الإسلام الإيراني.

•

في الواقع، الإسلام الإيراني يناقض الرأي القائل بأن الإسلام غالباً ما يتم ربطه بمفهوم عرقي، وبالتاريخ الماضي لعرق ما. الإسلام هو في الأساس مفهوم ديني. على مر القرون، ومنذ صغره، عرف الإيراني قصيدته الملحمية الوطنية الواردة في "كتاب الملوك" للفردوسي. وهو يدرك أنه كان هناك ملوك عظام، بل ونبي، زرادشت-زاراثوسترا، قبل الإسلام. ومع ذلك، فإن علم اللاهوت الشيعي الذي تتبناه إيران يمثل أسمى درجات التبجيل التي يمكن تقديمها للنبي العربي ولآل بيته. المسألة ليست مسألة عرق أو أمة، بل مسألة رؤية دينية. ومرة أخرى، لهذا السبب كنا نود أن نؤكد (لكن لا يمكننا فعل ذلك هنا) كيف يُنظر إلى العلاقة بين الشيعية والظاهرة الرئيسية للإسلام الروحي، والمعروفة باسم "الصوفية"، في إيران. على أي حال، يكفي القول إن شروط الحوار بين المسيحية والإسلام تتغير تمامًا بمجرد أن يمثل المحاور ليس الإسلام القانوني بل هذا الإسلام الروحي، سواء كان ذلك الإسلام الخاص

الصوفية أو المعرفة (الغنوص) الشيعية.

ومع ذلك، لا تزال صعوبات النهج كبيرة. عادةً ما يعتبر الغربيون مصطلحي "مسلم" و"مؤمن" مترادفين. إلا أنهم ليسوا بأي حال من الأحوال مرادفين للشيعة: يمكن للمرء أن يكون مسلماً ويعلن الإسلام دون أن يكون مؤمناً (ولا لهذا السبب وحده) ، أي مؤمناً حقيقياً ، وعارفاً بالأئمة الكرام ومذهبهم. من جانبه، سيجد المؤمن صعوبة في فهم أسباب وأهمية المصطلحات الدينية الشائعة في الغرب، حيث نتحدث، على سبيل المثال، عن "صعوبات الإيمان" - باستخدام العبارة، في أغلب الأحيان، بدلالة مذهبية. وذلك لأن "الصعوبات" المذكورة تعتمد على مفهوم معين للفلسفة واللاهوت تراكم على مدى عدة قرون، وفي النهاية، على معارضة لا يتم تجربتها على الإطلاق في بيئة يتم فيها استخدام مصطلحات مثل عارف و عرفان بشكل حالي. يمكن ترجمة المصطلحين الأخيرين على التوالي إلى "الثيوصوفية الصوفية" و "المعرفة الصوفية"، لكن المكافئات التقنية لا تحافظ تمامًا على المعنى المألوف لهذه الكلمات في اللغة العربية، والتي تشير إلى

نوع محدد من المعرفة الروحية. لكن ألا يكشف عدم وجود مصطلحات كافية لدينا أننا نتعامل مع شيء ليس حديثاً بالنسبة لنا؟

وهذا، من بين أمور أخرى، هو ما يحفز استخدام مصطلح "الباطنية" لأنه، من هذا المنظور، يُنظر إلى الجدال بين المؤمنين الغربيين وغير المؤمنين على أنه قد حدث على مستوى من المعرفة لم يتمكن أي من الجانبين من الارتقاء فوقه. فعلى سبيل المثال، كانت هناك نقاشات حول المعجزات الموصوفة في العهد الجديد. أحد الجانبين يعترف بالحدود، والآخر يرفض إمكانية "انتهاك القوانين الطبيعية". هل يصبح الإيمان وعدم الإيمان محصورين في معضلة التاريخ أم الأسطورة؟ إن السبيل الوحيد للخروج هو إدراك أن المعجزة الأولى والأعظم هي اندفاع عالم آخر إلى معرفتنا، وهو اندفاع يمزق نسيج فئاتنا وضروراتها، وأدلتنا ومعاييرها. لكن ينبغي أن يُفهم أن العالم الآخر المعني هو عالم لا يمكن إدراكه بواسطة عضو المعرفة العادية؛ وأنه لا يمكن إثباته أو دحضه عن طريق الحجة العادية؛ وأنه عالم مختلف لدرجة أنه لا يمكن رؤيته أو إدراكه إلا بواسطة أداة الإدراك "(هُورقَلْيَا)".

هذا العالم الآخر، بما ينطوي عليه من نمط المعرفة، هو العالم الذي، كما سنرى، تم التأمل فيه بلا كلل على مر القرون باعتباره "عالم هُورقَلْيَا". إنها "أرض الرؤى"، الأرض التي تمنح التصورات الرؤيوية حقيقتها، العالم الذي من خلاله تتحقق القيامة. هذا ما سيردده جميع مؤلفينا. في الواقع، هذا هو العالم الذي "تحدث" فيه أحداث روحية حقيقية، حقيقية، ولكن ليس بالمعنى الذي يكون فيه العالم المادي حقيقياً، ولا بالمعنى الذي تكون فيه الأحداث المسجلة زمنياً "لصنع التاريخ" حقيقية، لأن الحدث هنا يتجاوز كل تجسيد تاريخي.

إنه "عالم خارجي"، ومع ذلك فهو ليس العالم المادي. إنه عالم يعلمنا أنه من الممكن الخروج من الفضاء القابل للقياس دون الخروج من الامتداد، وأنه يجب علينا التخلي عن الزمن الزمني المتجانس من أجل الدخول في ذلك الزمن النوعي الذي هو تاريخ النفس. وأخيراً، إنه

العالم الذي ندرك فيه المعنى الروحي للكلمة المكتوبة وللكائنات - أي بُعدها فوق الحسي، ذلك المعنى الذي غالباً ما يبدو لنا استقراءً تعسفياً، لأننا نخلط بينه وبين المجاز. لا يمكننا اختراق "أرض هُورقَلْيَا" بالتجريد العقلاني ولا بالتجسيد التجريبي؛ إنه المكان الذي يكون فيه الروح والجسد واحدًا، المكان الذي تصبح فيه الروح، متخذة جسدًا، هي، "الجسد الروحي". ربما يتعارض كل ما اقترحه مؤلفونا هنا مع التيار السائد في الفكر المعاصر، وقد يُساء فهمه تماماً. ومع ذلك، قد نجد إخوتهم في النفس بين أولئك الذين أطلق عليهم اسم الروحانيين البروتستانت، مثل شوينكفيلد، وبومه، وحلقة بيرلبورغ، وأوتينجر، وغيرهم، الذين استمر خطهم حتى يومنا هذا.

لكن هناك نقطة أخرى يجب توضيحها: لم يكن هدفنا هنا، في دراسة الجانبين المتكاملين، إيران المزدية وإيران الشيعية (بشكل أدق، حتى مدرسة الشيخ)، معالجة هذا الموضوع من وجهة نظر تاريخية. لن نفعل هنا أكثر من الإشارة إلى ذلك كاحتمال، لأننا نأمل لاحقاً أن نجعله موضوعاً للدراسة الكاملة التي يتطلبها. إذا حاولنا أن ننظر في ما يُقترح علينا في المقتطفات التالية

في ضوء بُعدنا التاريخي المعتاد، فسنكون، حتى مع أفضل النوايا في العالم، مُلزمين بتزييف المنظور. إن وجهة نظرنا التاريخية والتطورية والخطية هي نتيجة لبنية عقلية أحادية البعد.

والذي يُستخدم لتحديد الأسباب الكامنة في هذا المستوى وحده، والذي يفسر الأشياء عن طريق اختزالها جميعًا إلى هذا المستوى نفسه؛ وهو يقتصر على زمان ومكان متجانسين يضع فيهما الأحداث.

ينظر مؤلفونا إلى الأمور من وجهة نظر مختلفة. يفترضون وجود عدة مستويات إسقاط. يُنظر إلى مرور الوقت على أنه دورة؛ فالكائنات والأحداث نفسها تحدد زمانها ومكانها نوعياً. وبناءً على ذلك، ينبغي أن نولي اهتماماً خاصاً للهياكل وتماثلات الهياكل؛ فما يجب أن يظهر هو قانون تماثلها. بالمقارنة، فإن المناقشات التي تُجرى على المستويات التاريخية البحتة تكون دائمًا مزعجة وعقيمة، لأنه دائمًا ما يصطدم المرء

بـ "تفسير مضاد" محتمل. فعلى سبيل المثال، يُثار أحيانًا التساؤل عما إذا كان التشيع ظاهرة إيرانية أم لا. على أي حال، يوجد تشيع ذو بنية إيرانية محددة. لا يهمنا تصنيف الأشياء في واجهة العرض أو تحديد الصور الفوتوغرافية، بل البحث عن نمط من الفهم وصفناه بأنه تقدم متناغم.أي موسيقي، وأي شخص من أتباع نظرية الغشتالتة، سيفهم على الفور ما نعنيه.

فعلى سبيل المثال، في المازدية يوجد فَر ييما، "جنة هايبربوريا"، وفي التصوف والتشيع توجد أرض هُورقَلْيَا، أيضًا في "الشمال الأقصى" السماوي. توجد في المازدية آثار لعلم وظائف الأعضاء الصوفي، وكذلك الأمر نفسه، ولكن بشكل مضخم للغاية، في المشيخية. في كل من المازدية والثيوصوفيا السهروردية، هناك ملائكة الأرض، سبينتا أرميتي ودينا، وهما شخصيتان تمثلان على التوالي صوفيا الأبدية؛ وفي المعرفة الشيعية نجد فاطمة، شخصية النور، ابنة النبي، وهي أيضًا شخصية تمثل صوفيا والأرض السماوية. في المازدية يوجد السوشيانت، أو المخلص القادم، محاطًا بأتباعه، بينما في التشيع يوجد الإمام الخفي، محاطًا بجماعة صوفية من الفرسان، الباروسيا، الذين سيبشر مجيئهم باكتمال عصرنا. إن هذا التسلسل من المواضيع يمثل بالفعل مخططاً للمنحنى الذي يصفه هذا الكتاب. ومع ذلك، لا ينبغي أن يُفهم من هذا أن النسخة الأولى والنسخة الثانية متطابقتان تمامًا وببساطة. المصطلحات ليست متطابقة، ولكن هناك تشابه في العلاقات. ولأن الشخصيات تجسد نفس النماذج الأصلية، فإن هويتها تكمن في الوظيفة التي تؤديها في خضم كيانات متجانسة.

إن الانتقال من أوكتاف إلى أوكتاف أعلى ليس هو نفسه الانتقال من تاريخ زمني إلى آخر، ولكنه تقدم إلى ارتفاع أو درجة صوتية مختلفة نوعياً. جميع العناصر تغيرت، ومع ذلك فإن شكل اللحن هو نفسه. هناك حاجة إلى شيء من نوع الإدراك التوافقي من أجل إدراك عالم متعدد الأبعاد.

علّق فيلسوف كنا نشرح له مفهوم ووظيفة عالم هُورقَلْيَا وفقًا لمؤلفينا قائلًا: "أخيرًا، إذن، كل ظواهر الروح تأخذ

مكان في هُورقَلْيَا؟" يبدو بالتأكيد أنه شيء من هذا القبيل. لكن ينبغي أن نضيف ملاحظة أخرى: كقاعدة عامة، عند مناقشة الأحداث الماضية، فإننا نثبتها في بُعد الماضي ولا نستطيع الاتفاق على طبيعتها أو أهميتها. يقترح مؤلفونا أنه إذا كان الماضي حقًا كما نعتقد أنه، أي أنه مكتمل ومغلق، فلن يكون ذلك أساسًا لمثل هذه المناقشات الحادة. إنهم يشيرون إلى أن جميع أعمال التفاهم التي نقوم بها هي بمثابة العديد من عمليات إعادة البدء، وإعادة تكرار الأحداث التي لم تنته بعد. كل واحد منا، شاء أم أبى، هو مبادر الأحداث في "هُورقَلْيَا"، سواء أكانت تفشل في جحيمها أم تثمر في جنتها. بينما نعتقد أننا ننظر إلى ما هو ماضي وغير قابل للتغيير، فإننا في الواقع نصنع مستقبلنا بأنفسنا. سيوضح لنا مؤلفونا كيف أن منطقة بأكملها في هُورقَلْيَا مأهولة، بعد الموت، بمتطلباتنا ورغباتنا - أي بما يوجه أفعالنا في الفهم وكذلك سلوكنا. ويترتب على ذلك أن الميتافيزيقا الكامنة وراءها هي ميتافيزيقا التكرار المستمر للخلق (تجديد)؛ وليست ميتافيزيقا الوجود والوجود، بل ميتافيزيقا الوجود في الأمر. لكن الحدث يوضع، أو يوضع مرة أخرى، في صيغة الأمر فقط لأنه هو نفسه الشكل التكراري للوجود الذي يتم من خلاله رفعه إلى حقيقة الحدث. لعلنا إذن سنلمح الجدية الكاملة لحدث روحي وللإحساس الروحي بالأحداث "المدركة في هُورقَلْيَا"، عندما يعيد الوعي في النهاية اكتشاف مانح ما تم منحه. يقول مؤلفونا إن كل شيء يبدو غريباً عندما تطأ قدم المرء تلك الأرض حيث يتحقق المستحيل بالفعل. فجميع تركيباتنا الذهنية، وجميع أوامرنا، وجميع رغباتنا، حتى الحب الذي هو الأكثر جوهرية مع وجودنا - كل ذلك لن يكون سوى استعارة بدون العالم البيني لـ هُورقَلْيَا، العالم الذي تُؤخذ فيه رموزنا، إذا جاز التعبير، حرفيًا.

مارس 1960

ملاحظة الناشر

يتوافق نظام التنقيط في هذا المجلد مع أسلوب فهرس مكتبة الكونغرس، ويختلف عن النظام المستخدم في المجلدين الآخرين اللذين نشرهما هنري كوربين في هذه السلسلة.

تم إعادة إنتاج تصميم الصفحة الأولى من نسيج حريري موجود في مجموعة متحف كليفلاند للفنون، والذي تم شراؤه من صندوق جيه إتش ويد. كما يظهر في كتاب لغاستون ويت بعنوان Soieries persanes (Memoires de l'Institut d'Egypte, Vol. 52, Cairo, 1947, Pl. الحادي عشر والصفحات *55-63)*. تم اكتشاف الشكل الأصلي على الحرير في عام *1925*، إلى جانب العديد من القطع الاستثنائية الأخرى، عندما تم الكشف عن بعض القبور بالصدفة في التلال المجاورة لمزار شهربانو، ليس بعيدًا عن مدينة الري (الرجاس في سفر طوبيا)، على بعد بضعة أميال جنوب طهران.

يمكن استنتاج من مكان الاكتشاف أن هذه كانت مادة ثمينة قدمها الأصدقاء أو الأقارب لتغليف

جثة شخص متوفى (انظر عيسى بهنام، في مجلة كلية الآداب بجامعة طهران، أكتوبر *1956)*. ويُقال إنها تعود إلى القرن الخامس (القرن الحادي عشر الميلادي) وقد تم العثور عليها في حالة حفظ مثالية. من الناحية الأيقونية، يُعد هذا الأمر مثيرًا للاهتمام كزخرفة على الطراز الساساني على مواد تعود إلى العصر الإسلامي العظيم. إن موقع الاكتشاف يجعله أكثر إثارة للاهتمام، لأنه وفقًا للتقاليد الإيرانية، أصبحت الأميرة شهربانو، ابنة آخر حكام السلالة السندية، يزدجرد الثالث، زوجة الحيين بن علي، الإمام الثالث عند الشيعة، وهنا نجد تعبيرًا أيقونيًا وطبوغرافيًا عن هذا الاتحاد بين إيران المازدية وإيران الشيعية.

بلا شك، يمثل التصميم موضوع الصعود إلى السماء: شاب، بشعر ملكي كهالة، يحمله طائر عظيم وخيالي إلى الفضاء وهو يحتضنه في صدره. تشير بعض التفاصيل المزخرفة إلى أن هذا الطائر

لم يتم التعرف عليه كمجرد نسر برأسين، بل على أنه "العنقاء" أو "سيمرغ " الذي، في الأفيستا كما في الملاحم الصوفية الفارسية العليا، يتخذ العديد من الوظائف الرمزية، حتى أنه أصبح شعار الروح القدس. سيكون من غير المجديXxxiتكثير الأمثلة بناءً على تشبيهات خارجية (والتي

.

ستقودنا إلى أماكن بعيدة، حتى إلى اختطاف جانيميد، على سبيل المثال). لكن من المهم بشكل مباشر لفت الانتباه إلى حلقة في الملحمة البطولية لإيران، وهي اختطاف زال، ابن سام، الذي رعاه ورباه الطائر سيمرغ. لقد قام السهروردي بتطوير المعنى الروحي لهذه الحلقة بشكل مطول في إحدى رواياته الصوفية. وبهذا المعنى، فإنه يتوافق تماماً مع الحديث الذي، دون مزيد من الإشارة، يمكن أن يقودنا على أفضل وجه إلى التأمل في رمزية هذه الصورة. يشير الحديث المذكور إلى الطائر الأخضر الذي يوفر صدره المأوى، في العالم الآخر، لأرواح "شهود الحقيقة". بحسب تفسير السمناني، أحد أساتذة الصوفية الإيرانية، إن هذا تلميح إلى تكوين وولادة "جسد القيامة". وهكذا فإن الحركة الهيراطيقية للصعود إلى السماء، والتي مثلها الفنان الإيراني هنا، تكشف عن معنى ما يسميه ويت بحق "جاذبيته المنتصرة".

لا ينبغي لنا أن نغفل الإشارة إلى أن نفس الزخرفة بالضبط، بكل السمات التي تبرر الإشارة إلى الحديث الذي فسره السمناني، تظهر بين اللوحات التي تزين سقف كنيسة بالاتين في باليرمو (انظر أوجو مونيريه دي فيلار، اللوحات الإسلامية على سقف كنيسة بالاتين في باليرمو، الصفحات *47-48* والأشكال *52-55*، *245*. سواء أكان رسامو باليرمو قد أتوا من مصر الفاطمية أم لا، فمن المعروف أنهم استلهموا من مواضيع نشأت في معظمها في إيران، وكثيراً ما فعلوا، كما هو الحال في هذه الحالة، أكثر من مجرد إعادة إنتاجها.

اللوحة المقابلة للصفحة 32 مأخوذة من مختارات فارسية، وهي مخطوطة مؤرخة في شيراز عام 1398 ميلادي من متحف التركي والإسلامي، بإسطنبول، وقد أعيد إنتاجها من كتاب باسل غراي، الرسم الفارسي (جنيف: سكيرا، 1956) بإذن من الناشر. تمت مناقشته في الصفحة 31.

..

1. صورة الأرض المازدية

1. "الأرض غضب"

في كتاب بعنوان "حول مسألة النفس"، يروي جي تي فيشنر كيف أنه في صباح ربيعي، بينما كان ضوء متحول يلقي هالة على وجه الأرض، لم يذهل بالفكرة الجمالية فحسب، بل بالرؤية والدليل الملموس على أن "الأرض ملاك، ملاك حقيقي رائع، يشبه الزهرة تمامًا!" لكنه أضاف بحزن أن تجربة كهذه تُعتبر اليوم مجرد خيال. من المسلّم به أن الأرض جسم كروي؛ أما معرفة المزيد عنها، فهذا مجرد مسألة بحث في المجموعات المعدنية.1

يدفعنا هذا الاعتراف الشعري الموجز إلى التفكير في نقطتين. في المقام الأول، علينا أن نتذكر أن فيشنر نفسه كتب كتابًا بعنوان "زيند أفيستا"، وهو أهم أعماله الفلسفية؛ وفيه يُظهر في جميع أنحاء الكتاب موارد الاستدلال القياسي، ربما على عكس متطلبات الفلسفة الصارمة، ولكنه يُظهر بهذه الطريقة براعته في إدراك الرموز. على الرغم من أن الكتاب، باستثناء عنوانه، لا يشترك في أي شيء مع الكتاب المقدس للزرادشتية المازدية، إلا أنه من المؤكد أن المعرفة الصباحية التي يتم من خلالها الكشف عن الأرض لفيلسوفنا على أنها "ملاك" تتوافق تمامًا مع عقيدة وممارسة الأفيستا، والتي نقرأ فيها، على سبيل المثال، ما يلي (في طقوس اليوم الثامن والعشرين من الشهر): "نحتفل بهذه الطقوس تكريمًا للأرض التي هي ملاك". 2

بالطبع، لا يزال هناك قدر من عدم الدقة في

رؤية فيشنر. يبدو أنه قد ربط وجه الأرض، المحاط بهالة من ضوء الربيع، بالتمثال الفعلي للملاك، في حين أن المجد الأرضي هو في الواقع الخلق الطقوسي، والطقوس الدينية لذلك الملاك الأرضي الذي تُعتبر ملامحه صورة بشرية ممجدة. لكن هذا الإدراك الدقيق يفترض ممارسة مثالية لهذه الملكة، والتي يعتبر تدهورها وإهمالها هو بالضبط ما يستنكره فيشنر. وهذه هي النقطة الثانية التي يجب تذكرها. إن حقيقة أن تصور الأرض على أنها ملاك يمكن تصنيفه على أنه خيالي وغير واقعي، تدل على أن هذه الطريقة في إدراك الأرض والتأمل فيها، على العكس من ذلك، مرتبطة ببنية نفسية روحية يتعين علينا إعادة اكتشافها من أجل إبراز قيمة وسائل المعرفة التي تقدمها.

في جوهرها، ينطوي هذا النمط من الإدراك على قدرة فكرية لا تقتصر على الاستخدام الوحيد للتجريد المفاهيمي ولا على الإدراك الحسي للبيانات المادية. ولهذا السبب يدعونا إقرار فيشنر، بقدر ما هو تذكير صحيح بعلم الملائكة المازدي، إلى ربط سؤالين لا ينفصلان على حد سواء: سؤال التصور المازدي للأرض، كما ينشأ من منظور علم الملائكة، وسؤال طريقة إدراك الكائنات والأشياء التي يفترضها والتي تختلف تمامًا عن الطريقة الوحيدة التي يعترف بها علمنا الوضعي، وكذلك جغرافيتنا.

إن مواجهة الأرض وجهاً لوجه ليس كمجموعة من الحقائق المادية ولكن في شخص ملاكها هو حدث نفسي جوهري لا يمكن أن "يحدث" في عالم المفاهيم المجردة غير الشخصية ولا على مستوى البيانات الحسية البحتة. يجب إدراك الأرض ليس عن طريق الحواس، ولكن من خلال صورة بدائية، وبما أن هذه الصورة تحمل سمات شخصية، فإنها ستثبت أنها "ترمز" إلى الصورة نفسها التي تحملها النفس في أعماقها. سيتحقق إدراك ملاك الأرض في كون وسيط ليس كون جواهر الفلسفة ولا كون البيانات الحسية التي يقوم عليها عمل العلوم الإيجابية، ولكنه كون من الصور المثالية، التي يتم تجربتها على أنها العديد من الحضور الشخصي. عند إعادة

استخلاص النوايا التي يعتمد عليها تكوين هذا الكون، والتي يتم فيها تمثيل الأرض والتأمل فيها ومواجهتها في شخص ملاكها، نكتشف أن الأمر أقل بكثير من مجرد الإجابة على أسئلة تتعلق بالجواهر ("ما هو؟") أكثر من الأسئلة المتعلقة بالشخص ("من هو؟" أو "مع من يتوافق ذلك؟" على سبيل المثال، من هي الأرض؟ من هي المياه، والنباتات، والجبال؟ أو مع من تتوافق رسائلهم؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة تؤدي إلى ظهور صورة، وهذه الصورة تتوافق دائماً مع وجود حالة معينة. ولهذا السبب يتعين علينا هنا استعادة ظاهرة الأرض باعتبارها ظهورًا ملائكيًا أو تجليًا ذهنيًا لملاكها في علم الملائكة الأساسي للمازدية ككل، في ذلك الذي يعطي علم الكونيات والفيزياء الخاص بها بنية بحيث تتضمن إجابة على السؤال "من؟"

ولتجنب أي سوء فهم ولتوضيح الأهمية الكاملة لمصطلح علم الملائكة، الذي نحتاجه من أجل فهم ظهورات المازدية للأرض، علينا أيضًا أن نتذكر هذا. علم الملائكة هو أحد السمات المميزة للزرادشتية المازدية، ولهذا السبب لا يمكن اختزاله إلى نوع مجرد ومتجانس من التوحيد، ولا يمكن إبطاله بما حاول الناس تفسيره على أنه عودة إلى "الآلهة القديمة"، أو استعادة للتعددية الإلهية السابقة للزرادشتية. إن الشكل الروحي، الذي يهدف إلى استعادة وإضفاء قيمة على العبادة الحية بشكل فعال، يتطلب منا أن نفهم الأفيستا القانونية ككل، أو على الأقل ذلك الجزء منها الذي وصل إلينا، أي الطقوس التي تحفظ في مركزها مزامير (غاثا) زاراثوسترا، وتكتمل - من خلال التعليقات والتقاليد باللغة الإيرانية الوسطى (البهلوية) والفارسية. وهنا أيضاً، عندما يتلو المؤمن كتابه المقدس أو عندما يتم الاحتفال بالطقوس الدينية، فإن الاعتراضات المبررة بالتسلسلات التاريخية تبدو بعيدة كل البعد عن الصواب. إن الرغبة الدائمة في معرفة "من أين" تأتي الأشياء تجعل المرء يتجول في النهاية في سعي عبثي وراء سلسلة من الفرضيات.

.أما إذا سألنا أنفسنا، من ناحية أخرى، "إلى ماذا يؤدي هذا؟" النفس، عند استجوابها، يمكنها على الأقل أن تقدم لنا إجابة قاطعة عما ترغب فيه. لا يمكن تفسير النفس؛إن النفس نفسها هي التي تمثل مبدأ كل تفسير

ومفتاحه. ولهذا السبب، فقد اعترفت التقوى المازدية، على مدى قرون عديدة، بما يعادل يزاتاس (الـ "الرائعون") في شخصيات الملائكة ورؤساء الملائكة (فيريشتاجان باللغة الفارسية). بالطبع، يختلف وضعهم الوجودي تمامًا عن وضع الملائكة التوراتية أو القرآنية؛ فهم ليسوا خدامًا ولا رسلًا، بل هم شخصيات مماثلة لـ *Dii-Angeli* عند برقلس. في هذه النقطة أنا مقتنع بأن الأفلاطونية الجديدة (التي شاع منذ فترة طويلة الاستخفاف بها) كانت أقرب بكثير إلى علم الملائكة الإيراني، وإلى فهم أفضل للدور السحري والخالق لكياناتها السماوية من الارتجالات الفلسفية التي يميل المؤرخون الدينيون إلى الانغماس فيها عندما يفتقرون إلى التصنيفات. لدينا تقليد دقيق يجب اتباعه إذا أردنا أن نفهم، على سبيل المثال، ما تعلنه ملائكة الأرض للتقوى المازدية.

وهنا من الضروري للغاية أن نتذكر المخطط العام لعلم الكونيات المازدي، أي المخطط العام الذي يمثل بنية البليروما السماوية من الضوء. للأسف، لا يسعنا هنا إلا إعادة صياغتها بشكل عام. تقسم الرؤية المازدية الكلية التي يمكن تصورها إلى ارتفاع لا نهائي من النور يسكن فيه، إلى الأبد، أورمزد (أهورا مازدا الأفيستية)، "رب الحكمة"؛ وهاوية لا يمكن سبر غورها من الظلام تخفي الخصم، القوة المضادة للنفي والتفكك والموت، أهريمان (أنغرا ماينيو الأفيستية). بين قوة النور وقوة الظلام المضادة لها، لا يوجد أرضية مشتركة، ولا حل وسط للتعايش،

بل معركة لا ترحم، أرضنا، مع كل الخليقة المرئية، هي ساحة لها، حتى اكتمال العصر، أو "الاستعادة" التي ستضع حداً للاختلاط (gumechishn) بالانفصال (vicharishn) الذي سيلقي بالقوى الشيطانية المضادة إلى هاويتها. من المؤكد أن هذه النظرة للأمور ليست بأي حال من الأحوال المفهوم الطفولي الذي، كما نرى في كثير من الأحيان في هذه الأيام، يختزل إليه بعض الكتاب، الذين يعانون من ضيق الوقت أو قلة المعرفة، شيئًا يعتقدون أنه الآن مازدا، والآن مانويا، واصفين إياه بأنه غير مكتمل وبدائي. لا علاقة لهذا الرأي إطلاقاً بالقول بأن الكائنات التي تحيط بنا إما "بيضاء"

أو "سوداء". إن الحالة التي نعيش فيها هي حالة "مزيج" على وجه التحديد ." إن المسألة المطروحة هي طريقة معينة لفهم هذا "المزيج" وطريقة للتعامل معه، والتي تختلف اختلافاً عميقاً عن تلك التي تنبع من أحكامنا الجاهزة والتي نادراً ما يتم التشكيك فيها.

والآن، من السمات المميزة للنظرة الزرادشتية أن يظهر رب الحكمة دائمًا محاطًا بست قوى من النور يشكل معها (كأولها، أو كسابعها) المجموعة الإلهية العليا. بحجة أن ما هو محل النقاش هو ما يسمى بالفكر "البدائي"، كانت هناك محاولات متفرقة لتقليص هذه القوى إلى "جوانب" من الألوهية العليا، دون الأخذ في الاعتبار أن مثل هذا النمط من شأنه، على العكس من ذلك، أن ينطوي على تأملات لاهوتية متطورة للغاية، وأن دافع التقوى في أي حال لا علاقة له بهذه التجريدات والتمييزات الدقيقة، ولكنه موجه نحو الأشخاص السماويين، الذين تم اختبار سحر جمالهم وتم الاعتراف بقوتهم على أنها فعالة. هؤلاء هم القوى السبع الذين يُطلق عليهم اسم أماهراسباندس (أفستان سبنتا أرمَيتِي)، وهو اسم يُترجم حاليًا إلى "الخالدون المقدسون"؛ لا يُفهم قدسهم على أنه سمة قانونية، بل على أنه طاقة عابرة وفعالة ومنشطة تتواصل مع الوجود، وتؤسسه، وتجعله يفيض في جميع الكائنات. 3 هؤلاء هم القوى السبع الذين يُطلق عليهم عمومًا اسم الملائكة الزرادشتيين.

يصف المقطع التاسع عشر من الأفيستا (أي أحد الترانيم الطقوسية ذات البنية المتناوبة المميزة) في ترنيمات رائعة روعتهم وسر علاقتهم. يحتفي هذا النشيد بهؤلاء الملائكة المقربين، "جميعهم السبعة لديهم نفس الفكرة، ونفس الكلمة، ونفس الفعل... يرون نفوس بعضهم البعض منشغلة في التأمل في أفكار البر، وفي التأمل في كلمات البر، وفي التأمل في أفعال البر، وفي التأمل في مسكن الترانيم،" ولديهم مسارات من النور يسلكونها للوصول إلى الطقوس [التي تحتفل بها تكريماً لهم]... الذين خلقوا مخلوقات أهورا مازدا ويحكمونها، والذين شكلوها ويوجهونها، والذين هم حماة لها ومحرروها." 7

لذلك يوجد بين الملائكة السبعة المقربين نوع من الاتحاد الصوفي، مما يجعل المجموعة الإلهية السباعية مختلفة عن الطرق الحالية لوصف التوحيد كما هي مختلفة عن تلك التي تشير إلى تعدد الآلهة؛ من الأفضل أن نتحدث عن التوحيد المشترك، بمعنى أنه يمكن التأمل في كل شخصية من شخصيات المجموعة السباعية بدورها على أنها تحقق مجمل العلاقات المشتركة بين الآخرين. في النصوص يمكننا أن نتابع تذبذبًا معينًا يعزز أحيانًا أولوية رب الحكمة بين السبعة، ويؤكد أحيانًا على اتحاده الصوفي مع القوى (الست) الأخرى للنور. 6 وهكذا، في نصوص البهلوية، فإن التردد الذي يشير به أهورامزدا، وهو تأهيل زرادشت نبيه، إلى: "نحن، رؤساء الملائكة"7 يتوافق، في الأفيستا نفسها، مع استخدام كلمة مازدا بصيغة الجمع، "حكمة الرب"،8 للإشارة إلى الأمهراسباندس ككل. بالمقارنة، يمكننا

أن نتذكر كيف أن اللوغوس عند فيلو - إن لم يكن الله نفسه - يُطلق عليه اسم رئيس الملائكة، لأنه "9 ."Ἀρχον ᾿Αγγέλων تقليديًا، في الأيقونات الذهنية، وكذلك بلا شك في الأيقونات الحقيقية،*10* يتم تصوير الآلهة السبعة على أنها مقسمة إلى مجموعتين: ثلاثة رؤساء ملائكة ممثلين على أنهم ذكور على يمين أهورامزدا، وثلاثة رؤساء ملائكة أنثويين على يساره. يُعيد أهورامزدا نفسه توحيد طبيعتهم المزدوجة، إذ يُقال عنه إنه كان في آنٍ واحدٍ أبًا وأمًا للخلق.11 وقد أنتجت القوى السبع مجتمعةً الكائنات المخلوقة بفعلٍ طقسي، أي بإقامة القداس السماوي.12 كلٌّ من قوى النور السبع، بفضل الطاقة المتدفقة من كيانها، تُخرج جزءًا من الكائنات التي تُمثل في مجمل الخلق طقوسها الخاصة، والتي يُمكن لهذا السبب تسميتها باسمها.

كطقوسه الخاصة، وكهدف لنشاطه الإبداعي والعناني، اتخذ أهورامزدا الإنسان، أو بتعبير أدق ذلك الجزء من البشرية الذي اختار الاستجابة على الأرض لكائنات النور.13 من بين الملائكة الثلاثة الذكور: فوهو ماناه (الفكر الممتاز، فوهومان في البهلوية، بهمن في الفارسية) تولى حماية جميع المخلوقات الحيوانية؛ أرتا فاهيشتا (الوجود الكامل، أرتفاهيشت، أورديبهيشت)، حاكم النار بجميع مظاهرها المختلفة؛ خشاترا فيريا (الحكم المرغوب، شاتريفار، شاهريفار)،

حاكم المعادن. أما بالنسبة للملائكة الثلاثة الإناث: سبينتا أرميتي (سبيندارمات، إسفنداموز) فلها طقوسها الخاصة التي تعتبر الأرض شكلاً من أشكال الوجود الذي صورته الحكمة، وتعتبر المرأة كائناً من نور؛ إلى هارفاتات (النزاهة، خرداد) تنتمي إلى المياه، العالم المائي بشكل عام؛ إلى أمرتات (الخلود، مرداد) تنتمي إلى النباتات، المملكة النباتية بأكملها. هذه هي العلاقات الهرمية التي تُشير إلى البشر بدقة أين وكيف يلتقون بقوى النور الخفية، أي بالتعاون معها من أجل خلاص العالم المخلوق الذي يعتمد على عنايتها الخاصة.

في هذا العمل، يتلقى رؤساء الملائكة العُليا العون في المقام الأول من العديد من اليزاتاس (إيزاد بالفارسية، وتعني حرفيًا "العزيزات"، وهنّ موضوعات طقوس الياسنا)؛ هؤلاء هم الملائكة الخاصون بالمازدية، وفكرة تعاونهم مع الأمهراسبند تشير إلى تقارب لافت مع علم الملائكة في الأفلاطونية المحدثة.15 ومن بينهم زاميات، ملاك الأرض المؤنث، بصفتها إلهة الأرض ومجدها، والتي تتعاون مع رئيس الملائكة أرميلتي. لقد اعتبرها البعض مجرد نسخة مكررة من سبينتا أرميتي؛ وفي النهاية سنرى أن وظائفهما وشخصياتهما متميزة.18 علاوة على ذلك، فإن جميع السماويين هم أيزدان، بما في ذلك أهورامزدا وأماهراسباند، على الرغم من أن جميع الأيزدان ليسوا جميعًا أماهراسباند، والذين يشكلون بالنسبة لهم نوعًا من التسلسل الهرمي التابع. وأخيرًا، هناك عدد لا يُحصى من الكيانات السماوية الأنثوية التي تُسمى فراڤارتي (وتعني حرفيًا "الذين اختاروا"، أي الذين اختاروا القتال من أجل نصرة أهورامزدا)؛17 وهي في آنٍ واحد النماذج السماوية للكائنات وملائكتها الحامية؛ ومن الناحية الميتافيزيقيَة، لا تقل أهميتها عن الأيزدان، إذ لولا مساعدتهم لما استطاع أهورامزدا الدفاع عن خلقه ضد الغزو المدمر للقوى الشيطانية.18 وهي تفترض بنية كونية للوجود والكائنات وفقًا لعلم الوجود المازدي. كل كيان مادي أو معنوي، وكل كائن كامل أو مجموعة كائنات تنتمي إلى عالم النور، بما في ذلك أهورامزدا، وأماهراسباند، و إيزادز ، له فراڤارتي خاص به.18

لذا، فإن ما يعلنونه للكائنات الأرضية هو في جوهره بنية ثنائية تمنح كل فرد نموذجًا سماويًا أو ملاكًا، وهو نظيره الأرضي.20 وبهذا المعنى، توجد ثنائية أكثر جوهرية في علم الكونيات المازدي من ثنائية النور والظلام، وهي الجانب الأكثر شيوعًا في تذكره؛ فهذه الثنائية تعبر ببساطة عن المرحلة الدرامية التي مر بها خلق النور عندما غزاته القوى الشيطانية وشوهته، وهي ثنائية تفسر هذه السلبية دون مساومة، دون اختزال الشر إلى مجرد حرمان من الخير. أما بالنسبة للثنائية الجوهرية، فهي تجمع بين كائن نور وكائن نور آخر؛ ولكن لا يمكن أبدًا أن يكتمل كائن نور بكائن ظلام، إذا كان ظله: إن خاصية الأجسام النورانية على الأرض المتحولة هي تحديدًا عدم "إلقاء ظل" وفي البليروما يكون دائمًا "منتصف النهار". 21

يُؤسس هذا الهيكل الثنائي علاقة شخصية توازي تلك العلاقة الأساسية الأخرى التي تم التعبير عنها في علم الكونيات المازدي من خلال التمييز بين حالة المينوك وحالة الغيتك للكائنات. هذا التمييز ليس بالضبط بين المعقول والحسي، ولا ببساطة بين غير المادي والمادي (لأن القوى السماوية لها أجسام نورانية دقيقة للغاية)؛22 إن التمييز هو بالأحرى مسألة العلاقة بين غير المرئي والمرئي، والدقيق والكثيف، والسماوي والأرضي، شريطة أن يكون من المفهوم بوضوح أن حالة غيتك (الأرضية، المادية) في حد ذاتها لا تعني بأي حال من الأحوال انحطاط الوجود، بل كانت هي نفسها، قبل الغزو الأهريماني، كما ستكون بعد ذلك، حالة مجيدة من النور والسلام وعدم الفساد. يمكن تصور كل كائن في حالته المينوك، وكذلك في حالته الغيتك (على سبيل المثال، في حالتها السماوية، تسمى الأرض زام؛ وفي حالتها التجريبية والمادية والملموسة تسمى زاميك، أو زامين بالفارسية).23 وهنا تحديدًا نصل إلى ذلك النمط الخاص من إدراك

الكائنات والأشياء الذي، من خلال الوصول إلى إمكانية فهم ليس فقط ما هي عليه، بل من هي، سيسمح لنا بمقابلتها في شخص ملاكها. من الواضح تماماً أن الرؤية الذهنية لملاك الأرض، على سبيل المثال، ليست تجربة حسية. إذا صنفنا هذه الحقيقة، بحكم العادة المنطقية،

على أنها خيالية، فإن السؤال يبقى مطروحاً حول ما يمكن أن يبرر تحديد ما هو خيالي بما هو اعتباطي وغير واقعي، والسؤال حول ما إذا كانت التمثيلات المستمدة من الإدراك المادي هي الوحيدة التي يجب اعتبارها معرفة حقيقية، وما إذا كان يمكن تقييم الأحداث القابلة للتحقق المادي فقط على أنها حقائق. علينا أن نتساءل عما إذا كان الفعل الخفي للقوى التي تتجلى بشكل مادي بحت في العمليات الطبيعية قد لا يُفعّل طاقات نفسية أُهملت أو شُلّت بسبب عاداتنا، ويؤثر بشكل مباشر على خيال، وهو أبعد ما يكون عن كونه اختراعًا عشوائيًا، بل يتوافق مع ذلك الخيال الذي أطلق عليه الخيميائيون اسم "الخيال الحقيقي" والذي هو النجم في الإنسان.24

إن الخيال النشط الذي يتم تحفيزه بهذه الطريقة لن ينتج عنه بناء تعسفي، أو حتى غنائي، يقف بيننا وبين "الواقع"، بل على العكس من ذلك، سيعمل بشكل مباشر كملكة وأداة للمعرفة حقيقي تمامًا مثل أعضاء الحس، إن لم يكن أكثر واقعية منها. ومع ذلك، فإنه سيدرك بالطريقة المناسبة له: الأداة ليست ملكة حسية بل هي صورة نموذجية امتلكها منذ البداية؛ إنها ليست شيئًا مشتقًا من أي إدراك خارجي. وستكون خاصية هذه الصورة تحديداً هي إحداث تحويل للبيانات الحسية، وحلها إلى نقاء العالم الخفي، من أجل استعادتها كرموز يتم فك شفرتها، حيث يتم نقش "المفتاح" في النفس نفسها. وبالتالي فإن هذا الإدراك من خلال الخيال يعادل "إزالة المادة"؛ فهو يغير البيانات المادية المنقوشة على الحواس في مرآة نقية، وشفافية روحية؛ وهكذا تسمح الأرض، وأشياءها وكائناتها، التي ارتفعت إلى درجة التوهج، لظهور ملائكتها بالتغلغل إلى الحدس الرؤيوي. وبناءً على ذلك، فإن أصالة الحدث وحقيقته الكاملة تتكون أساساً من هذا العمل الرؤيوي ومن الظهور الذي تم تأكيده من خلاله. وهذا هو المعنى العميق لما يسمى في تاريخ العقيدة بالدوسيتية، والتي تكررت بشأنها نفس الأخطاء بلا كلل وبشكل رتيب.

وهكذا يتشكل هذا العالم الوسيط، عالم من الأشكال السماوية المثالية التي لا يستطيع إدراكها إلا

الخيال النشط. لا يُشيّد هذا الخيال شيئًا غير واقعي، بل يكشف الحقيقة الخفية؛ وفعله، باختصار، هو فعل التأويل، وهو التفسير الروحي الذي يمارسه جميع المتصوفين في الإسلام، والذي يتميز بخاصية التأمل الخيميائي: إخفاء الظاهر، وإظهار الخفي.26 في هذا العالم الوسيط، تأمل أولئك المعروفون باسم "العراف"، أي العارفين المتصوفين، بلا كلل، حيث يُقصد بالمعرفة *(الغنوص)* هنا الإدراك الذي يُدرك الشيء لا في موضوعيته، بل كعلامة، وإيحاء، وإعلان هو في النهاية إعلان النفس لنفسها.

عندما أعاد السهروردي، في القرن الثاني عشر، إلى إيران فلسفة النور وعلم الملائكة في بلاد فارس القديمة، تم بناء مخططه للعالم على أساس عالم الصور المثالية، وهو عالم وسيط تحدث فيه تحولات الأشياء الزائلة إلى رموز روحية، وهو، بحكم هذا، العالم الذي يتم فيه إحياء الأجساد. 28 في الواقع، كما خُلق جسد آدم الفاني من الأرض المادية، كذلك تُثبت النفس جسد قيامتها من الأرض السماوية، التي تُسقطها وتتأمل فيها. العلاقة وثيقة. إن الخيال النشط هو عضو التحولات: إن تحويل الأرض إلى مادة جسد القيامة يعتمد على طريقة تأمله في الأرض. إن هذا التأمل، باعتباره مصدر أنشطة النفس، هو أداة هذه الولادة. إن فكرة أن الجسد قد تم فصله عن تمثيلات الجسد الفاني، تؤدي حتما إلى فكرة هذه الأرض الصوفية لهُورقَلْيَا التي سنراها تحكم روحانية المذهب الشيخي. أما الأخيرة فهي مدرسة نشأت في خضم الشيعية الإيرانية في نهاية القرن الثامن عشر، ولا تزال هذه الفكرة بلا شك المساهمة الإبداعية الحقيقية لتلك المدرسة في عصرنا.

تتمثل المهمة الآن في البحث عن كيفية وتحت أي ظروف يتشكل شكل الملاك بالضبط عند النقطة التي يتم فيها رفع بيانات الإدراك الحسي، كما لو كان الأمر كذلك، إلى الحالة الشفافة بواسطة الخيال النشط (عندما يتم إدراك الغيتك في المينوك. تتمثل هذه المهمة بشكل أساسي في توضيح نوع الأداة الذي تمثله

هذه الصورة المثالية، والذي من خلاله يقوم الخيال النشط، عن طريق إدراك الأشياء مباشرة، بتحويلها؛ وكيف أنه بمجرد حدوث هذا التحويل، تعكس الأشياء صورتها الخاصة للنفس، وكيف أن هذا التعرف الذاتي للنفس يؤدي إلى وجود علم روحي للأرض والأشياء الأرضية، بحيث تُعرف هذه الأشياء في ملاكها، كما تنبأت به الحدسية الرؤيوية لفيشنر.

هنا تبرز طاقة تُقدّس كلاً من حالة المينوك وحالة الغيتك؛ إن تمثيل هذه الطاقة أساسي للغاية في الرؤية المازدية للعالم لدرجة أنها دُمجت بالكامل في الترميم الفلسفي الذي كان عمل السهروردي.27 تعمل هذه الطاقة منذ اللحظة الأولى لتكوين العالم وحتى الفعل الأخير المُعلن والمُتنبأ به في المصطلح التقني فراشكارت، والذي يُشير إلى التحول الذي سيتحقق في نهاية العصر على يد الساوشيانت أو المُخلصين القادمين من سلالة زرادشت. هذه هي الطاقة التي يُشار إليها بمصطلح كسفارناه في الأفيستا (خُرَّة، فَرّه بالفارسية). حاول العديد من المترجمين تعريفها، ونقل جميع دلالاتها.28 ويبدو لنا أن مصطلح "نور المجد" يعيد ما هو جوهري، إذا ما أخذنا في الاعتبار في الوقت نفسه المقابلات اليونانية المذكورة أعلاه: أي المجد والمصير.19 إنها المادة النورانية المطلقة، النور الخالص الذي تشكلت منه مخلوقات أورمزد في أصلها. "ومنها خلق أهورامزدا العديد من المخلوقات الجيدة ... الجميلة، الرائعة ... المليئة بالحياة، المتألقة" (يشت التاسع عشر، 10). إنها طاقة النور المقدس التي تمنح التماسك لوجودهم، والتي تقيس في الوقت نفسه القوة والمصير الممنوح للكائن، والتي تضمن انتصار كائنات النور على الفساد

والموت اللذين أدخلتهما قوى الظلام الشيطانية إلى خليقة أهورامَزدي. 80 ترتبط هذه الطاقة بشكل أساسي بالآمال الأخروية؛ لذلك، في الترانيم الطقوسية

المخصصة لزاميات، ملاك الأرض، فإن ذكر مخلوقات النور، التي سمتها نور المجد هذا، يستدعي في كل مرة، في اللازمة، التمجيد التالي: "من هذا النوع سيصنعون عالماً جديداً، متحرراً من الشيخوخة والفساد، من التحلل والفساد، أبدياً، ينمو

أبدياً، يمتلك القوة حسب الرغبة، عندما يقوم الموتى مرة أخرى، عندما تأتي الخلود للأحياء، وعندما يجدد العالم نفسه كما هو مرغوب" (يشت 19، 11 وما بعدها).) .

في الأيقونات، يتم تمثيلها بالهالة المضيئة، أورا غلوريا، التي تحيط بملوك وكهنة الديانة المازدية، ولاحقًا عن طريق النقل، بشخصيات بوذا وبوديساتفا، بالإضافة إلى الشخصيات السماوية للفن المسيحي البدائي. وأخيرًا، يحدد مقطع في كتاب بندهشن العظيم، وهو كتاب التكوين المازديني، بدقة متناهية الاتجاه الذي تتجه إليه هذه الصورة، عندما يربط بين كسفارناه، ذلك النور الذي هو المجد والمصير، وبين النفس نفسها.81 لذا، فهذه، في النهاية والأساس، هي الصورة الأساسية التي من خلالها تفهم النفس نفسها وتدرك طاقاتها وقدراتها. في المازدية، يمثل هذا ما علمنا إياه علم النفس العميق لتمييزه كصورة نموذجية؛ هنا هو صورة النفس. وربما نكون بذلك نقترب من البنية السرية التي كشفت عنها رؤية الأرض في ملاكها وأصبحت ممكنة.

إن نور المجد هذا، الذي يمثل الصورة الأصلية للنفس المازدية، هو في الواقع العضو الذي تدرك به النفس عالم النور الذي هو من نفس طبيعتها، والذي من خلاله، في الأصل وبشكل مباشر، تُحدث النفس تحويل البيانات المادية، وهي البيانات التي تعتبر بالنسبة لنا "إيجابية"، ولكنها ستكون "غير مهمة" بالنسبة للنفس. هذه هي الصورة التي تُسقطها النفس على الكائنات والأشياء، فترفعها إلى وهج ذلك النصر! النار التي أشعلت بها النفس المازدية كل الخليقة، والتي أدركتها قبل كل شيء في فجر متوهج على قمم الجبال، في المكان الذي كانت تتوقع فيه الكشف عن مصيرها، وتحول الأرض.

باختصار، من خلال إسقاط صورتها، تقوم النفس، من خلال إحداث تحول الأرض المادية، بإنشاء صورة أرضية تعكس وتعلن صورتها الخاصة للنفس، أي صورة يكون كسفارناه الخاص بها هو كسفارناه النفس نفسه. عند تلك النقطة - -في هذا الانعكاس المزدوج لنور المجد نفسه، ومن خلاله- يتجلى ملاك الأرض للرؤية الذهنية

أي أن الأرض تُدرك في شخص ملاكها. وهذا ما يتم التعبير عنه بشكل رائع وعميق في إحدى سمات علم الملائكة المازدي، والتي لم يتم التفكير فيها إلا نادرًا حتى الآن، عندما يتم الإشارة إلى أن أماهراسباند سبينتا أرميتي، رئيسة الملائكة الأنثوية للوجود الأرضي، هي "أم" دِينَا.

في الواقع، دِينَا هي الملاك الأنثوي الذي يرمز إلى "الأنا" المتعالية أو السماوية؛ تظهر للروح عند الفجر الذي يلي الليلة الثالثة بعد رحيلها عن هذا العالم؛ إنها مجدها ومصيرها، وعصرها. وبالتالي فإن معنى هذا المؤشر هو أن جوهر "الأنا" السماوي أو جسد القيامة قد تولد وتشكل من الأرض السماوية، أي من الأرض التي يتم إدراكها والتأمل فيها في ملاكها. وهذا يعني أيضاً أن مصير الأرض الموكل إلى القوة التحويلية لنفوس النور يؤدي إلى تحقيق هذه النفوس، وأن هذا الأمر متبادل. وهذا هو المعنى العميق لصلاة المازدية، التي تتكرر مرات عديدة في سياق الطقوس الدينية: "ليكن من بين أولئك الذين سيحققون تحول الأرض" ((يَسْنا 9 ،XXX).

إن لغز هذه الصورة النفسية التي تُسقط الصورة الأرضية، وبالمقابل لغز هذه الصورة الأصلية للأرض التي "تؤكد" تكوين الذات الكلية المستقبلية، يتم التعبير عنه، بالتالي، بمصطلحات ملائكية في العلاقة المشار إليها أعلاه. سبينتا أرميتي، التي تُفسر في النصوص البهلوية على أنها الفكر الكامل، والتأمل الصامت، والتي يُنير اسمها، الذي ترجمه بلوتارخ بشكل ممتاز باسم صوفيا، طريق علم الحكمة المازدية - سبينتا أرميتي هي "أم" دِينَا، وفي نفس الوقت هي التي يُعلِّم المؤمن المازدي، عند انضمامه في سن الخامسة عشرة، أن يعلن عنها: "أمي هي سبيندارمات، رئيس ملائكة الأرض، وأبي هو أهورامزدا، رب الحكمة". 32 في ما هو هنا مبدأ العلاقة يمكننا أن ندرك شيئًا مثل

سر الأرض المازدية؛ في جوهرها، ومن اسمها سبنتا أرمَيتِي صوفيا، يمكن وصفها بأنها جيوصوفيا، أي أنها السر الصوفي للأرض، والذي سيكون تحوله هو تحولها الأخروي (فراشكارت

). ما زلنا بحاجة إلى صياغته بدقة هنا بخطوط عريضة هو تحول وجه الأرض كما يراه عضو الخيال النشط لدى المازدي.

من الواضح أن إدراك سر الأرض الصوفيانية، أو علم الجغرافيا، لا يمكن أن يحدث في إطار الجغرافيا الإيجابية. إنها تفترض جغرافيا رؤيوية، ما أطلق عليه بحق "منظر طبيعي لـ كسفارناه"، أي منظر طبيعي ينبئ بـ فراشكارت. هذا لا ينتشر على مساحة دنيوية محددة مسبقًا، ولكنه يتركز أو يركز مساحة مقدسة في وسط العالم، في مركز الرؤية المتأملة في حضور النفس الرؤيوية (أو المجتمع الرؤيوي)، وهذه المساحة لا تحتاج إلى تحديد موقعها، لأنها في حد ذاتها موقعية. إن المعالم الجغرافية، كالجبال على سبيل المثال، لم تعد هنا مجرد معالم مادية؛ بل لها دلالة على النفس؛ إنها جوانب نفسية كونية. إن الأحداث التي تحدث هناك تتمثل في رؤية هذه الجوانب بحد ذاتها؛ إنها أحداث نفسية. لذا فإن جنة فيرنا، جنة النماذج الأصلية، موجودة في هذا المركز لأنها مكان التقاء الكائنات السماوية والكائنات الأرضية.

هكذا ستكشف لنا الطريقة الخرائطية للإيرانيين القدماء عن صورة الأرض. وكما أن مشهد كسفارناه لا يمكن التعبير عنه من خلال الفن التمثيلي، بل يتعلق أساساً بالفن الرمزي، فإن رسم الخرائط هذا لا يؤدي إلى إعادة إنتاج الخطوط العريضة لقارة. بل إنها تشكل أداة للتأمل تجعل من الممكن عقلياً الوصول إلى المركز، أو الوسط الكوني، أو بالأحرى اتخاذ موقع هناك مباشرة. لا يمكن أن تكون الجغرافيا الرؤيوية مسرحاً للأحداث الرؤيوية إلا إذا كانت هي نفسها تشارك فيها؛ فالنباتات والماء والجبال تتحول إلى رموز، أي يتم إدراكها بواسطة أداة الصورة الذي هو في حد ذاته وجود حالة رؤيوية. ومثل الشخصيات السماوية، تظهر المناظر الطبيعية الأرضية محاطة بهالة من نور المجد، وقد استعادت نقاءها الفردوسي، وتحدث رؤى زرادشت، ولقاءاته مع أهورامزدا ورؤساء الملائكة، ويتم "تخيلها" في مشهد من الجبال المتوهجة عند الفجر والمياه السماوية التي تنمو فيها نباتات الخلود.

2. أرض الكيشوارات السبعة

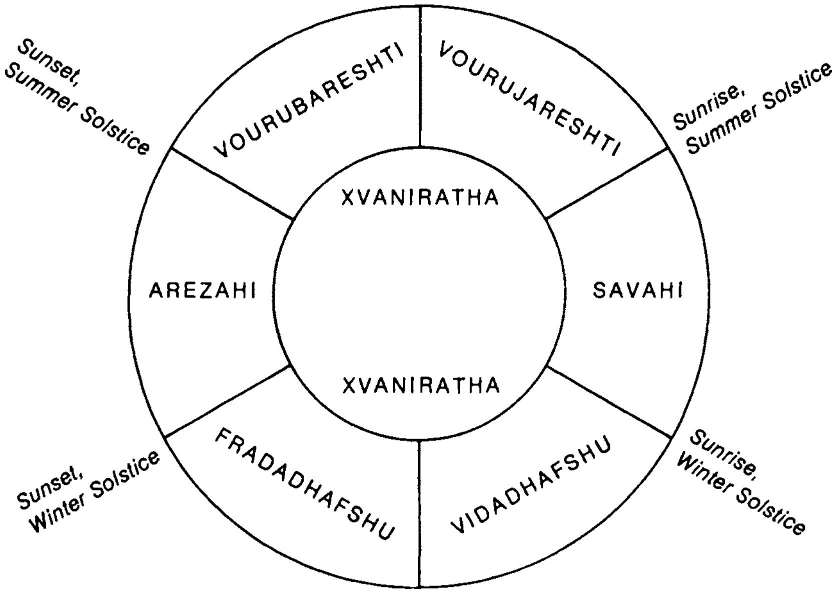
إن مخطط سطح الأرض، كما تصوره هنا الخيال النشط، هو كما يلي.88 في البداية، تم تأسيس الأرض ككل متصل، ولكن بسبب قمع القوى الشيطانية، تم تقسيمها إلى سبعة كيشوارات [kishvar] (الأفستية karshvar). ينبغي فهم هذه الكلمة على أنها تمثل شيئًا مشابهًا للكلمة اللاتينية *orbis (الأرض الثابتة)*: هذه الكيشوارات هي مناطق من Terra firma (الأرض الصلبة)، وليست "مناخات". ليس

الأمر مجرد اختلاف في الصورة من الناحية الاشتقاقية، ولكن من المستحسن تجنب الخلط مع التقسيم إلى مناخات بالمعنى الصحيح، والذي سيأتي لاحقًا.

يوجد الكيشوار المركزي، المسمى Xvaniratha خَوانيراث (والذي يعني شيئًا مثل "العجلة المضيئة")[34]، والذي يساوي حجمه في حد ذاته حجم جميع الكيشوارات الستة الأخرى، والتي تم ترتيبها حوله ويفصلها المحيط الكوني المحيط بها. يوجد كيشوار شرقي واحد، وكيشوار غربي واحد، واثنان في الشمال، واثنان في الجنوب. يُطلق على الكشوار الموجود على الجانب الشرقي اسم سافاهي؛ والكشوار الموجود على الجانب الغربي يُطلق عليه اسم أريزاهي؛ والكشواران الموجودان في الجنوب هما فرادهافشو وفيدادهافشو؛ والكشواران الموجودان في الشمال هما فوروباريشتي وفور-جارشتي. يُطلق على المحيط الأسطوري الذي يحيط بهما ويفصل بينهما اسم فوروكاشا. أما بالنسبة لوضعهم، فقد تم استنتاج ذلك فلكياً فيما يتعلق بالكيشوار الذي يمثل المركز، والذي بالتالي فإن وجوده له خاصية تحديد موقع الفضاء، قبل أن يتم وضعه هو نفسه في ذلك الفضاء. بمعنى آخر، الأمر لا يتعلق بمساحة موجودة مسبقًا ومتجانسة وكمية تتوزع فيها المناطق، بل يتعلق بالبنية المثالية لمساحة نوعية.

يمتد كيشوار الشرقي، سافاهي، من النقطة التي تشرق منها الشمس في أطول يوم إلى النقطة التي تشرق منها في أقصر يوم. يمتد الكشواران الجنوبيان من هذه النقطة الأخيرة إلى النقطة التي تغرب عندها الشمس في أقصر يوم. ومن هناك إلى النقطة التي تغرب عندها الشمس في أطول يوم يمتد المناخ الغربي، أرزاهي. وأخيراً، يمتد خطا الكشواران الشماليان من هذه النقطة الأخيرة إلى حيث تشرق الشمس في

أطول يوم. إن أسماء الكيشوارات الستة التي تحيط بالمناخ المركزي لـ الخَوانيراث تتوافق في الواقع مع المناطق الأسطورية (الشكل 1). ولهذا السبب كان من الممكن اعتبارها



جنوب

الشكل رقم *1*. رسم تخطيطي للكيشوارات الأسطورية السبعة.

في الأصل تشير إلى تضاريس سماوية تم تطبيقها لاحقًا على المواقع

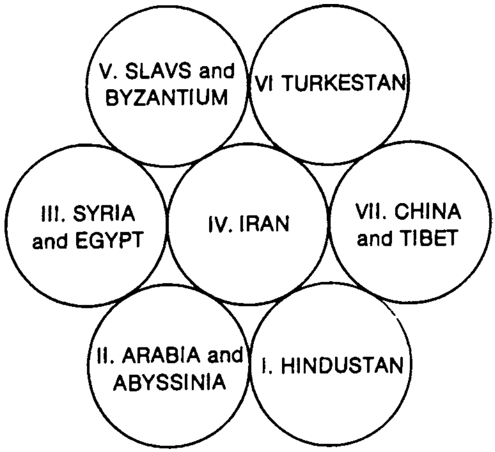
الأرضية؛ وبالتالي فإن البحيرات والجبال على الأرض ستسمى على اسم نماذجها السماوية. أما بالنسبة لأهمية أسماء هذه الكشوارات، فيمكننا استنتاجها من أسماء السوشيانت الستة (المنقذين) الذين يقابلونها بشكل متناظر، أي من أسماء الأبطال الستة الذين سيتعاون كل منهم، في كشواره الخاص، مع آخر السوشيانت في تحويل العالم.35

كما ذكرنا للتو، فإن ترتيب هذه التماثيل التي تتوافق مع المناطق الأسطورية لا يؤكد بيانات الجغرافيا الإيجابية، ولكنه يعطي شكلاً لـ صورة الأرض التي تم إسقاطها من خلال الإدراك الخيالي. وبناءً على ذلك، لم يعد من الممكن اليوم، كما كان في البداية، أن ينتقل البشر من كيشوار إلى آخر.38

أريانيم فايجا (باللغة البهلوية). إيران-فيج)، مهد أو بذرة الآريين (= الإيرانيين)، تقع في الخَوانيراث في وسط كيشوار المركزي. هناك تم خلق الكيانيين، أبطال الأسطورة؛ وهناك تأسست الديانة المازدية ومنها انتشرت إلى الكيشوارات الأخرى؛ وهناك سيولد آخر الساوشيانت، الذي سيجعل أهريمان عاجزًا ويحقق القيامة والوجود الآتي.

بدورها، تم تقسيم الخَوانيراث ، التي تمثل مجمل الفضاء الجغرافي المتاح للإنسان الآن، على الرغم من أنها ليست سوى جزء واحد من الأجزاء السبعة المأهولة بالأرض،37 لاحقًا إلى سبع مناطق، وفقًا لخطة تمثل فيها دائرة مركزية أرض إيران، وحولها ست دوائر أخرى، ولكن هذه المرة متماسّة مع بعضها البعض ولها نصف قطر متساوٍ. كانت هذه هي طريقة التمثيل الدائري التي نقلها الجغرافيون الإيرانيون في العصر الساساني إلى العرب؛ فعلى سبيل المثال، ينسب ياقوت، الذي عمل على بيانات قديمة، هذه الطريقة في التمثيل الجغرافي صراحةً إلى زرادشت (الشكل 2). 38

هذه الطريقة هي بالضبط ما يسمح لنا باكتشاف طريقة مناسبة تمامًا لتخيل الأرض والتأمل فيها. 39 في الواقع، إنها تحدد بنية مستقلة عن جميع أنظمة الإحداثيات المكانية: "إن مجرد افتراض أصل هو كل ما يتطلبه الأمر". 40 عند التأمل في هذا الهيكل، يتقارب انتباه المرء نحو المركز ويتم استدعاؤه دائمًا إلى هناك، لأن موقع واتجاه وتوجيه الكيشوارات الأخرى يتم تحديدها بواسطة المركز وتنشأ منه (من أجل فهم التباين، يكفي مقارنته بالطريقة الخرائطية لبطليموس، حيث يتم تمثيل المناخات بأحزمة متوازية تمتد للخارج من خط الاستواء). لذلك، فإن الهيكل بأكمله مرتب بالنسبة إلى هذا المركز الأصلي". أينما كان المكان



الشكل 2. الكشوارات الجغرافية السبعة وفقًا للبيروني (القرن العاشر).

الذي يجب أن نضع فيه التاريخ البدائي للإيرانيين وفقًا للجغرافيا الإيجابية - سواء كان ذلك شرقًا في آسيا الوسطى أو غربًا في أذربيجان - فإن العملية الذهنية للتذكر هي نفسها: لقد وقعت الأحداث ويتم تذكرها في:إيران-فيج، أي في المركز، الذي هو في نفس الوقت الأصل.

إيران-فيج، أي في المركز، وهو في نفس الوقت الأصل. إن وجود الذات في المركز ليس وجودًا مرتبطًا بموضع محدد، بل وجودٌ يتحدد بحسب الموقف أو السياق. في وسط العالم ، لم تعد فس مقيدة بالإحداثيات المكانية. بدلاً من "الوقوع في" أو الاضطرار إلى التواجد في مكان محدد مسبقاً، فإن النفس نفسها "تحدد مكانياً"، وهي دائماً أصل المراجع المكانية وتحدد بنيتها. ولهذا السبب نجد هنا ليس تمثيلاً تجريبياً، بل شخصية نموذجية.

هناك أمثلة أخرى محتملة لهذا الشكل، والتي تميل دائمًا إلى ترسيخ النفس في المركز أو إعادتها إلى هناك، لأنه ليس في التشتت ولكن في التركيز يمكن أن تعكس صورة الأرض صورتها الخاصة إلى النفس، أو بالعكس، يمكن للنفس أن تثبت تأملها على الصورة الأصلية. كان هذا، على سبيل المثال، معنى فن وبنية الحدائق في إيران (من المعروف أن كلمتنا paradiu مشتقة من

كلمة ميدية، 41 *pairidaeza*. ولهذا السبب يمكن القول إن تمثيل الأرض مع تماثيلها السبعة كنموذج أصلي هو أداة للتأمل. يتم تقديمها على شكل ماندالا. إنها توجه حركة فكرية لا تسير على مسار قياسي أو جدلي، ولكن كما هو الحال في التأويل، أي تفسير الرموز، وهو تفسير روحي يؤدي إلى الأصل، وهو المركز 42، حيث يمكن إخفاء الظاهر وإظهار الخفي (تمامًا كما هو الحال في الخيمياء، كما ذكر أعلاه). هذا، في الواقع، هو التحول الحقيقي لما هو مكتوب (سواء في كتاب أو في الكون) إلى رموز؛ ما هو مكتوب يرتفع إلى درجة التوهج وتتألق الدلالة الخفية من خلال الغطاء، الذي يصبح شفافًا. من هذه النقطة يمكننا أن نفهم صلة هذه الخرائط بأحداث جغرافية رؤيوية، جغرافية عالم ينشر نوره الخاص، مثل تلك الفسيفساء البيزنطية التي ينير ذهبها الفضاء الذي تحيط به، أو مثل الأيقونات أو المناظر الطبيعية لبعض المدارس الفارسية، حيث تحول الخلفية الحمراء الذهبية الألوان؛ أو مثل جنة فيرنا، في وسط العالم، وكذلك أرض هُورقَلْيَا، التي سنتناولها بالتفصيل في الصفحات التالية.

من هذه النقطة، يمكننا أن نتجاوز المستوى الذي طُرح فيه أحد أكثر الأسئلة إزعاجًا، والذي عذب أجيالًا عديدة من المستشرقين: أين جرت الدعوة الزرادشتية؟ أين كان إيران-فيج، بما أن

زرادشت كان يرى رؤاه ويبدأ في تعليمها في إيران-فيج؟ اليوم، يعتبر معظم المستشرقين أن مكان دعوته (التي لا يزال بإمكاننا سماعها عند قراءة الغاثات) كان في آسيا الوسطى، في مكان ما في منطقة أعالي نهر جيحون، على الحدود الشرقية للعالم الإيراني.43 من ناحية أخرى، يتعارض هذا اليقين العلمي السائد مع التقاليد الإيرانية اللاحقة، من العصر الساساني وما بعده، والتي تُرجِع ميلاد زرادشت ودعوته إلى الحدود الغربية للعالم الإيراني، في أذربيجان. لقد كانت هناك محاولات للتوفيق بين هذه التناقضات ولكن دائماً مع الرغبة في البقاء على أساس الحقائق الإيجابية: من المحتمل أن يكون زرادشت قد ولد في الغرب ولكن من المحتمل أن يكون قد قام بالتبشير في الشرق.

من الواضح أن أحد الحلول الحديثة مستوحى من نظام الكيشوارات. في هذه الحالة، يُقترح أن التاريخ المقدس للزرادشتية البدائية قد حدث في شرق العالم الإيراني؛ وأن البعثة الزرادشتية توغلت بعد ذلك بشكل تدريجي نحو غرب العالم الإيراني حتى انعكس التوجه الجغرافي في يوم من الأيام (أصبح كيشوار الشرقي كيشوار الغربي). حتى كلمة "التزييف" تدخل في الموضوع على أساس أن المجوس الغربيين حددوا الأماكن المقدسة للتاريخ المقدس (أراكس، جبل سافالان، مدينة شيز المقدسة) بعد الحدث، دون أن يكون لهذا التحديد أدنى قيمة "تاريخية"! 44

في الواقع، مصطلح "التزييف" غير ذي صلة تمامًا، لأن هذه الأسئلة تشير في الواقع إلى الحفاظ على بنية فضاء نوعي أساسًا، حيث يتم ترتيب مناطقه بالنسبة لبعضها البعض، ليس وفقًا لإحداثيات هندسية محددة مسبقًا، ولكن وفقًا لمؤهلاتها الجوهرية. إذا كان هناك تبديل كامل لمكان المشاهد التاريخية، فإن هذه الحقيقة تفترض وتشهد في المقام الأول على إمكانية وجود عملية عقلية، والتي يفلت التحقق منها وأهميتها من العلم الوضعي، الذي، لكونه مرتبطًا بالبيانات المادية فقط، يختزل بالتالي إلى الشك في "التزييف"، حتى لو كان غير واعٍ. لكن مخطط الـ 7 كيشوارات الذي يعتبر تمثيلاً نموذجياً يكشف لنا بوضوح هذه الإمكانية والعملية المتضمنة، أي الوجود الذي يشكل المركز والذي، على هذا النحو، هو أصل المراجع المكانية وليس نتيجتها، وهو ليس موقعياً بل ظرفياً. يحمل هذا الوجود مساحته معه دون الحاجة إلى تغيير نظام المراجع المكانية ككل. أو بالأحرى، بما أن هذا المركز لا يزال وفي جميع الأوقات هو المركز، فإنه في واقع الحدث النفسي، لم يكن هناك انتقال حقيقي (في الفضاء). إن أهمية المركز، أو الوسط العالمي، باعتباره المكان الذي تحدث فيه الأحداث النفسية والروحية دائمًا، باعتباره فضاء التجليات الإلهية، 45 تسمح لنا بطرح المشكلة على مستوى لا تتعارض فيه اليقينيات التقليدية مع يقينيات العلوم الوضعية.

ليس هدفنا بأي حال من الأحوال حصر التاريخ المقدس للزرادشتية في "عالم الأساطير". ولكن من الضروري

أن نأخذ في الاعتبار أنه أينما وقع حدث تاريخي (بالمعنى الحالي للكلمة) في الواقع المادي الخارجي، والذي يمكن التحقق منه بحواس أولئك الذين شهدوه، كان لا بد من وجود - حتى يصلنا إشعار الحدث بهويته الروحية، بغض النظر عن تنوع المواقع المادية - عضو للذاكرة يعمل بطريقة مختلفة تمامًا عن عمليات التحقق التي يقوم بها علمنا الموضوعي، والذي يقتصر على ما يعتبره "حقائق"، وبالتالي لديه فهم أحادي الجانب للحدث المادي. إن أداة التذكر والتأمل الديني هذه هي الصورة المثالية التي تمكنت، من خلال إسقاطها على مساحات جغرافية متنوعة مادياً، من تحويلها عن طريق إعادتها إلى نفسها كمركز، بطريقة تجعل الفضاء الإلهي دائماً وفي كل حالة في المركز. ثم تمكن الخيال النشط من تكريسها كأماكن مقدسة وتحديدها في كل مرة على أنها بالفعل نفس أرض الرؤية؛ وليس العكس، أي أن بعض الصفات المادية (حتى "التاريخية") للأماكن هنا وهناك تفرض دليلاً على قدسيتها، أو تحدد هويتها، أو على العكس من ذلك تتسبب في "وقوع خطأ". تحدث الظواهر الروحية في النفس، لا في الأشياء. وهو الحدث الذي يحدث في النفس والذي يحدد ويؤهل ويقدس المكان الذي يتم فيه تخيله.

إذن، ما هي الأحداث التي تجري في إيران-فيج؟ هناك طقوس دينية لا تُنسى، احتفل بها أهورامزدا نفسه، والكائنات السماوية، والأبطال الأسطوريون. في إيران- فيج، أقام أهورامزدا نفسه طقوسًا تكريمًا لأرادفي سورا أناهيتا ، "العالية، والسيادية، والطاهرة"، إلهة الملائكة للمياه السماوية، من أجل أن يطلب منها أن يكون زرادشت مرتبطًا به وأن يكون نبيه الأمين (يشت الخامس، 18). طلب زرادشت من الإلهة نفسها هداية الملك فيشتاسبا (ياشت الخامس، 105). 46 في إيران-فيج، تلقت ييما الجميلة، "ييما ذات الجمال المتألق، أفضل البشر"، الأمر ببناء السور، فَر، حيث تم جمع المختارين من بين جميع الكائنات، الأجمل والأكثر رقة، ليتم حفظهم من شتاء البشر الذي أطلقته القوى الشيطانية،

وفي يوم من الأيام يعيدون تعمير عالم متغير. في الواقع، تُعتبر منطقة فَر ييما بمثابة مدينة، بما في ذلك المنازل والمخازن والأسوار. تحتوي على أبواب ونوافذ مضيئة تخفي الضوء بداخلها، لأنه مضاء بضوء غير مخلوق وضوء مخلوق. لكن مرة واحدة في السنة، تُرى النجوم والقمر والشمس وهي تغرب وتشرق؛ ولهذا السبب تبدو السنة وكأنها يوم واحد. كل أربعين عاماً، ينجب كل زوجين بشريين زوجين آخرين، أحدهما ذكر والآخر أنثى. وربما يشير هذا إلى الحالة المزدوجة للجنس لتلك الكائنات التي "تعيش أجمل حياة داخل فَر ييما غير المتغيرة".

هل يمكننا أن نأمل في اكتشاف آثار جنة النماذج الأصلية هذه، هذه الأرض السماوية في مركز العالم التي تحفظ بذرة أجساد القيامة، من خلال التأمل أم من خلال حملة تنقيب أثرية؟ لا يمكن تحديد جنة ييما على سطح خرائطنا، فهي تخضع لنظام إحداثيات. إن المطلوب هنا ليس البحث الطبوغرافي، بل تحقيق الشفافية التي تسمح بظهور الصورة الأصلية، في المكان الوحيد الذي يكون فيه ذلك ممكناً، في وسط العالم. لذا، فإن هذا هو سعينا: كيف تتشكل الجغرافيا الرؤيوية، عند إدراكها من هذا المركز للعالم، وما هي الأحداث النفسية والروحية التي تشير إلى وجودها؟

3. الجغرافيا الرؤيوية

مرة أخرى، فإن ترنيمة "يشت التاسع عشر"، وهي الترتيلة الطقوسية المخصصة صراحة لزاميات، ملاك الأرض، الإلهة الأرضية، هي التي تلقي الضوء الكامل على صورة الأرض المازدية. يبدأ النشيد بشكل مميز باستحضار يعدد جميع الجبال، 48 احتفالاً بـ كسفارناه وأصحابها المتميزين، ومن بينهم بعض هذه الجبال على وجه التحديد. في الواقع، تلعب هذه الأخيرة دوراً أساسياً في تكوين المشهد الخيالي الذي ينبئ بتحول الأرض. إنها في المقام الأول مقر التجليات الإلهية والملائكية. بحسب الطقوس، في اليوم الثامن والعشرين من الشهر (يوم زاميات)، تُقدم الطقوس إلى "الأرض التي هي ملاك، إلى جبال الفجر، إلى جميع الجبال،

إلى نور المجد". 49 تم تحديد العلاقة بالفعل، وستتضح الأنماط التي تتضمنها.

يقدم كتاب التكوين المازدي (بندهشن) وصفًا مذهلاً لتكوين الجبال: 50 تحت هجوم قوى أهريمان الشيطانية، بدأت الأرض ترتجف، واهتزت في رعب وتمرد. وكأن الأرض أرادت أن تقيم حصناً منيعاً ضد هذه القوى، فرفعت جبالها. أولاً سلسلة الجبال القوية المحيطة بها، والتي تسمى في الأفيستا "هارا بيريزايتي". من الناحية الاشتقاقية، هذا هو الاسم الفارسي إلبون، وهو الاسم الذي يطلق حتى اليوم على سلسلة الجبال التي تحد إيران من الشمال، من الغرب إلى الشرق؛ وهكذا هنا، وسط قمم وهضاب تلك السلسلة، أعادت التقاليد الساسانية اكتشاف مواقع الأحداث في التاريخ المقدس للزرادشتية. على أي حال، هناك أو في أي مكان آخر، يفترض الفضاء الرؤيوي تحويل البيانات الحسية. لكي تتوافق منطقة البرز "الحقيقية" مع هذا الفضاء الرؤيوي، على سبيل المثال، يجب على الخيال النشط أن يعيد استعادتها في أنواعها المثالية. ولهذا السبب يمكننا أن نترك جانباً هنا كل نقاش حول التضاريس المادية الإيجابية، وأن نهتم فقط بالصورة، بقدر ما هي عضو للإدراك، وبقدر ما يتم إدراكها من خلال الجغرافيا النفسية.

في الواقع، نحن بعيدون كل البعد عن الرؤية العادية والبراهين الإيجابية. لم يتوقف البرز عن النمو طوال ثمانمائة عام: مائتا عام إلى مقام النجوم، ومائتا عام إلى مقام القمر، ومائتا عام إلى مقام الشمس، ومائتا عام إلى مقام الأنوار اللانهائية.51 وهذه هي درجات سماء المازدية الأربع. لذلك فإن جبل البرز هو بالفعل الجبل الكوني، الذي رُفع بفضل الجهد الأسمى الذي بذلته الأرض لكي لا تنفصل عن السماء. إنه "الجبل المتألق... حيث لا ليل ولا ظلام ولا مرض بألف موت ولا عدوى من صنع الشياطين". 52 إنه مقر القصور الإلهية التي أنشأها رؤساء الملائكة. وتنشأ الجبال الأخرى جميعها منه، كما لو كانت من شجرة عملاقة تنمو وتدفع جذوراً تنبت منها أشجار أخرى. وهكذا، يشكل النظام الجبلي شبكةً، حيث تمثل كل قمة عقدةً فيها. وقد حاول الناس تحديدها بناءً على خصائصها.

يشير الرقم *2244* في التقاليد: وقد تم وصف البعض بأنه "حقيقي"، والبعض الآخر بأنه "أسطوري". إن الشيء الوحيد الذي يرشدنا بيقين هو الصورة، التي تدرك كلاً من الصور "الحقيقية" و"الأسطورية".

إذن، لدينا هنا مجموعة من القمم العالية التي تمثل صعوبات لا يمكن حلها على الإطلاق من قبل أولئك الذين يسعون إلى وضعها بالطريقة الإيجابية. وعلى النقيض من ذلك، فإن وضع هذه القمم العالية يعلمنا عن الأرض كحدث تعيشه النفس، أي أنه يوضح لنا كيف تم التأمل في الأرض بواسطة عضو الخيال النشط. سيكون من الصعب بالفعل تحديد مواقع هذه الجبال عن طريق التضاريس الإيجابية، لأن نية وهدف هذا التأمل كانا مختلفين تمامًا عن نية وهدف علمنا الإيجابي. جميع الجبال التي يدرك فيها الخيال النشط ظهورًا أسطوريًا لـ كسفارناه موجودة في إيران-فيج، في وسط العالم؛ عليها، يعرض كسفارناه مشاهد الأحداث التي تمت تجربتها أو التنبؤ بها، مما يعطيها جسدًا، لأن الخيال النشط هو في حد ذاته جوهرها وجسدها، وهو الذي يقوم في نفس الوقت بتجسيدها وتجربتها.

يوجد في إيران-فيج جبل يسمى هوكيريا (هوجار، العالي جدًا)، 54 جبل مرتفع مثل النجوم، ومنه يتدفق سيل من المياه السماوية لأردفر سورا أناهيتا، "العالي، السيد، الطاهر"، 55 سيل "يمتلك كسفارناه عظيم مثل كل المياه مجتمعة التي تتدفق على الأرض". 58 هناك يتم تخيل المسكن الأرضي لإلهة المياه السماوية. وهكذا تظهر كمصدر فردوسي لماء الحياة. تنمو النباتات والأشجار الرائعة في هذا النبع أو حوله، وفوق كل ذلك نبات الهوما الأبيض، "غاوكارينا"،57 الذي يقال عنه: "من يشرب منه يصبح خالداً". 58 ولهذا السبب سيتم صنع إكسير الخلود من هذا في لحظة التحول النهائي. تنمو الشجرة التي تشفي جميع الأمراض و"التي تودع فيها بذور جميع النباتات"59 بجوار نبات الهوما الأبيض. في الواقع، تعتمد خصوبة جميع الكائنات بجميع أشكالها على الإلهة أو الملاك الأنثوي أردوي سورا. لكنها ليست بأي حال من الأحوال "أم الأرض" على غرار سيبيل،

على سبيل المثال؛ بل هي أقرب إلى عذراء المياه، نقية، عفيفة، لا تشوبها شائبة، تذكرنا بأرتميس اليونانية.60

في منطقة إيران-فيج، بالقرب من جبل هوكيريا ، يوجد جبل الفجر (أوشيدارينا). يبدأ الترتيل الطقوسية للملاك زاميات بمقطع شعري في مدح جبل الفجر هذا. إنه مصنوع من الياقوت، من جوهر السماء؛ وهو تقع في وسط البحر الكوني فوروكاشا، الذي تصب فيه المياه التي يتلقاها من هوكيريا. إنه أول جبل تضيئه نيران الشفق القطبي؛61 ولهذا السبب، فهو الوعاء، وكنز الفجر، وكذلك (بالتجانس الصوتي) ما يعطي العقل للبشر. ويُقال إن "الجبل الذي تُضيئه أشعة الفجر أولاً يُنير العقل أيضاً، لأن الفجر والعقل واحد (أوشا و أوشي).62

وأخيراً، يؤكد الطقس الصلة الأساسية هنا بين جبل الفجر وعلم الآخرة: 63 فهو ينص على تقديم قربان للملاك أرشتات في ساعة أوشاهين (أي بين منتصف الليل والفجر)، والسبب المذكور هو أن جبل الفجر مذكور من أجل استرضاء الملاك أرشتات. والآن تتضح الصلة: ففي الفجر الذي يشرق بعد الليلة الثالثة التي تلي الموت، يتعين على النفس أن تواجه محنة جسر تشينفات. وهكذا، يُغمر جبل الفجر بنور المجد في الساعة التي تُستدعى فيها النفوس للإدلاء بشهادتها عن وجودها الأرضي أمام الملاك أرشتات وملاك الأرض زاميات، وكلاهما يُساعدان أماهراسباند أمرتات في "وزن" النفوس.64 "تكون النفوس في نور الفجر حين تذهب لتقديم حسابها؛ ويحدث مرورها عبر الفجر الباهر." إذن ما يُدرك هنا في الجبل المحاط بهالة مجد الفجر ليس ظاهرة فلكية، بل فجر الخلود: إذ أن صورة المجد تُسقط على الفجر الصاعد، فيظهر هذا الفجر للنفس على أنه حضور متوقع لحالة عاشت بالفعل، أي على أنه توقع لعلم الأخرويات الشخصي.

جبل شاهق آخر، هو تشاكاد دارتيك (قمة

الحساب)، يُكمل هذا المشهد نفسه من علم الآخرة الفردي، ويقع أيضًا في: إيران-فيج، وسط العالم.65 من قمته ينبثق جسر تشينفات، الذي عند مدخله يحدث لقاء النفس إما مع دِينَا، "أناها" السماوي، أو على العكس من ذلك، مع الظهور الرهيب الذي لا يعكس سوى "أنا"، مشوهًة بكل أنواع القبح، ومنفصلًة عن نموذجها السماوي الأصلي. إذن، هذا هو الوضع، قبل كل شيء، عندما تُظهر صورة الأرض ، وهي تُحوّل البيانات المادية الخارجية، للنفس الكاملة الأماكن والمناظر الطبيعية الرمزية لأبديتها المتوقعة، والتي تلتقي فيها بصورتها السماوية. تعبر النفس الكاملة جسر تشينفات بدافع رحلتها الروحية وقوة أفعالها: فهي تتحرك نحو النجوم، ثم إلى القمر، ثم إلى الشمس، ثم إلى الأنوار اللانهائية.66 وهنا نجد مرة أخرى المراحل الأربع لنمو البرز. وهكذا يربط جسر تشينفات بالقمة التي تقع في مركز العالم بالجبل الكوني؛ ويؤدي صعود الأخير إلى غاروتمان، إلى "مقر الترانيم".

لذلك لن نستغرب بعد الآن من ذكر الجبال في بداية ترنيمة زاميات، ولن ننظر إلى الأخيرة على أنها مجرد قائمة من المعالم الطبيعية الخالية من أي مضمون ديني.67 في الواقع، لا ينتمي أي من هذه المعالم - الفجر المتوهج على قمم الجبال، وسيول مياه الينابيع، ونباتات الخلود التي تنمو فيها - إلى الأرض التجريبية التي يمكن التحقق منها بشكل محايد عن طريق الإدراك الحسي. هذه هي الأرض التي تُرى في إيران-فيج أنها الأرض الإيرانية الأصلية؛ هذه أرض حولها الخيال المازدي النشط إلى رمز ومركز النفس، والتي تندمج في الأحداث الروحية التي تكون النفس نفسها مسرحًا لها. هنا نلمح بالفعل أن ما تدركه النفس من خلال صورتها الأرضية هو في الواقع صورتها المثالية الخاصة وتجسيد لدراماها العقلية الخاصة.

لا يُنظر إلى الفجر، ولا إلى المياه الجارية، ولا إلى النباتات، على أنها مكافئة لما نسميه الظواهر الفلكية أو الجيولوجية أو النباتية. إن الفجر الذي يتجلى فيه دِينَا، والمياه السماوية أرادفي سورا، ونباتات أمرتات، كلها - الفجر والمياه والنباتات - تُدرك

في ملاكها، لأنه تحت المظهر يصبح الظهور مرئيًا للخيال. وهذه هي ظاهرة الملاك، الصورة التي يكشف عنها الخيال النشط، والتي يكشفها لنفسه تحت المظاهر المدركة، هي صورة ملائكة الأرض. ولهذا السبب فإن الظواهر الأرضية هي أكثر من مجرد ظواهر: إنها تجليات خاصة بالمازدية، والتي تكشف، في الكائنات والأشياء، عن ماهية هذه الكائنات والأشياء، أي من هو شخصها السماوي، مصدر كسفارناه.[68] وبعبارة أخرى، فإن الكائنات والأشياء، بعد أن حولها الخيال إلى حالتها الدقيقة (مينوك)، تتجلى كأفعال فكر شخصي، وهي جوهره.

إن الخيال النشط يدرك ويظهر لنفسه أرضاً تختلف عن تلك الأرض التي تُرى في التجربة الحسية العادية. تلك الأرض الأخرى هي الأرض التي أشعتها وحوّلتها كسفارناه. لكن نور المجد ليس بالتأكيد صفة مادية متأصلة في المواد الحسية، يمكن إدراكها من قبل جميع البشر دون تمييز؛ من الناحية الظاهراتية، ينبغي أن نفهمه على أنه في نفس الوقت النور الذي يشكل النفس ويحيطها وينيرها، والصورة البدائية لذاتها التي تسقطها النفس. وهكذا فهو العضو الذي تُظهر به النفس لنفسها الأشياء الأرضية المتغيرة، أو التي تنتظر التحول النهائي. لا بد أن يكون للنفس صورة عن نفسها من هذا النوع بحيث تستطيع، من خلال إسقاطها، أن تكتشف في رؤيتها أشكال نور المجد. في النفس التي ترتفع إلى التوهج بواسطة نور المجد هذا، الذي يتم التعرف عليها في النهاية، 69 يصبح من الممكن، مثل فيشنر، أن نرى أن "الأرض ملاك"، أو بالأحرى أن تُرى الأرض في شخصها السماوي، وبفضلها، في الوقت نفسه أن تُرى جميع الملائكة الأنثوية للأرض على أنها "أخوات"، أو "أم" الملاك دِينَا، الأنا السماوي، النفس السماوية. تتجلى صورة الأرض هنا في شكل ملاك، لأنها متخيلة في صورة النفس؛ ويتجلى تشابههما في القرابة نفسها بين ملائكتهما.

لذلك يمكننا أن نقول هذا: إن صورة الأرض، على الرغم من أنها

إن أداة الإدراك نفسه يشير أيضًا إلى تلك الجوانب والأشكال من الأرض التي يتم إدراكها، ليس فقط عن طريق الحواس أو كبيانات تجريبية حسية، ولكن عن طريق الصورة الأصلية، الصورة المسبقة للنفس نفسها. إذن، الأرض هي رؤية، والجغرافيا هي جغرافيا ذات رؤية. ومن ثم فإن صورة الذات وصورتها الخاصة هي التي تعيد النفس اكتشافها وتلتقي بها. إن هذه الصورة التي يعرضها هي في نفس الوقت الصورة التي تنيره والصورة التي تعكس إليه الأشكال الموجودة في صورته، والتي هي بدورها صورته، أي: ملائكة الأرض الأنثوية التي تشبه دينا-أنيما. ولهذا السبب فإن الظواهرية المازدية للأرض هي، بالمعنى الصحيح، علم الملائكة.

من الدراسات الجغرافية، ظهر في عصرنا خط جديد من الدراسة، يوصف بأنه الجغرافيا النفسية: *70* والهدف هو اكتشاف العوامل النفسية التي تلعب دورًا في التكوين المعطى للمناظر الطبيعية. الافتراض الظاهري الضمني في هذا النوع من البحث هو أن الوظائف الأساسية للنفس، أو النفسية، تشمل إسقاط طبيعة، أو الطبيعة؛ وعلى العكس من ذلك، يكشف كل هيكل مادي عن نمط النشاط النفسي الروحي الذي يجعله يعمل. وبهذا المعنى، يمكن التعرف على فئات القداسة "التي تمتلك النفس" في المشهد الذي تحيط به والتي تشكل موطنها فيه، سواء من خلال إسقاط الرؤية على أيقونات مثالية، أو من خلال محاولة نقش نموذج للرؤية وإعادة إنتاجه على الأرض الفعلية. ولهذا السبب، فإن كل تجلٍّ من تجليات جغرافيتنا الرؤيوية يقدم مثالاً على حالة من حالات الجغرافيا النفسية لا مثيل لها. سنقتصر هنا على وصف سريع لمثالين من هذا القبيل.

المثال الأول يتم تقديمه من خلال أيقونات ما يسمى "منظر مدينة كسفارناه".
كيف يمكن للمرء أن يصور مشهداً أرضياً يتحول فيه كل شيء بفعل نور المجد الذي تسلطه النفس عليه؟ عندما تدرك النفس المازدية أن طاقة النور المقدس هذه هي القوة التي تتسبب في تدفق الينابيع، وإنبات النباتات، ومرور السحب، وولادة البشر، وأنها القوة التي تنير عقولهم، وتمنحهم

قوة نصر خارقة للطبيعة، وتكرسهم ككائنات نور من خلال إلباسهم كرامة هرمية ـ لا يمكن التعبير عن أي من هذا في الرسم التمثيلي، ولكن فقط من خلال فن رمزي بارز. باعتبارها روعة أرضية للألوهية، فإن كسفارناه التي تتخيلها النفس تحول الأرض إلى أرض سماوية، منظر طبيعي مجيد يرمز إلى المنظر الفردوسي لما وراء الطبيعة. لذلك، يتطلب هذا شكلاً من أشكال التعبير يجمع بين جميع العناصر الإلهية لهذا المجد ويحولها إلى رموز نقية ذات طبيعة متغيرة.

لعل أفضل مثال على ذلك الذي وصل إلينا اليوم موجود في مخطوطة متأخرة تعتبر حتى الآن فريدة من نوعها، والتي تم تنفيذ لوحاتها ذات الصفحة الكاملة بألوان رائعة في شيراز في جنوب بلاد فارس في نهاية القرن الرابع عشر (1398م).71 (انظر اللوحة المقابلة للصفحة: 32) وهنا سيكون من المناسب استحضار المناظر الطبيعية في بعض الفسيفساء البيزنطية، دون التوقف حتى للنظر في الأسئلة المثيرة للجدل حول التأثيرات المادية أو السببية التاريخية.

ويمكن ملاحظة المثال الثاني لتصور الأرض السماوية في علم النبات المقدس الذي يربط زراعة الزهور وفن تنسيق الزهور بالطقوس الدينية. من السمات المميزة لعلم الملائكة المازدي أن يُعطى كل من رؤساء الملائكة والملائكة زهرة كرمز، للإشارة، كما لو كان، إلى أنه إذا رغب المرء في التأمل عقليًا في كل من هذه الشخصيات السماوية وأن يصبح وعاءً لطاقاتهم، فإن أفضل أداة للتأمل هي بالفعل الزهرة التي تمثل رمزهم. لذلك، لكل من رؤساء الملائكة أو الملائكة الذين تم تخصيص يوم واحد من الشهر لهم، والذين سمي ذلك اليوم باسمهم، توجد زهرة مقابلة. بالنسبة لأهورامزدا، الآس. بالنسبة لفوهومان، الياسمين الأبيض. بالنسبة لـ أرتفا-هيشت ، المردقوش. بالنسبة لشاتريفار، النبات الملكي (الريحان). بالنسبة لـ سبيندارمات ، المسك (الريحان الحلو). بالنسبة لخُرداد، الزنبق. بالنسبة لأمرتات، تلك الزهرة الصفراء المعطرة التي تسمى "كامباك" بالسنسكريتية.

بعد أماهراسباند تأتي الملائكة الأنثوية، وهي أكثر ارتباطًا بالروح، وبـ كسفارناه، و بـ

1. صورة الأرض المازدية

الأرض: لدى أرادفي سورا زهرة السوسن كشعار لها؛ دينا، الوردة ذات المائة بتلة؛ أشيش فانوهي (أشيسانغ)، أختها، جميع الزهور البرية (أو الأقحوان، بوفثالموس)؛ أرشتات ، الهوما الأبيض؛ زاميات ، الزعفران، 72 وهكذا. لعبت هذه الزهور دورًا مهمًا في الممارسات الطقوسية الزرادشتية القديمة؛ حيث تم استخدام أنواع معينة من الزهور لكل ملاك يتم الاحتفال بطقوسه بشكل خاص. كان لدى الفرس القدماء أيضاً لغة الزهور، والتي كانت لغة مقدسة. 73 علاوة على ذلك، فإن هذا الرمز الدقيق والحساس يوفر إمكانيات غير محدودة للخيال الطقوسي وكذلك لطقوس التأمل. وبالتالي، فإن فن الحدائق وزراعة الحديقة يكتسبان معنى الطقوس الدينية والتجسيد الذهني للرؤية. في هذا الفن، تلعب الأزهار دور المادة الأولية للتأمل الخيميائي. وهذا يعني إعادة تكوين الجنة ذهنياً، ومصاحبة الكائنات السماوية؛ إن التأمل في الزهور التي هي رموزها يثير ردود فعل نفسية، والتي تحول الأشكال المتأملة إلى طاقات تتوافق معها؛ وتذوب هذه الطاقات النفسية في النهاية في حالات الوعي، وفي حالات الرؤية العقلية التي تظهر من خلالها الأشكال السماوية.

في كلا المثالين اللذين قمنا بتحليلهما للتو، نرى أن نية النفس وجهدها يميلان إلى إعطاء شكل للأرض السماوية وتحقيقها، مما يجعل ظهور كائنات النور ممكناً. يجب الوصول إلى أرض الرؤى في وسط العالم، حيث تكون الأحداث الحقيقية هي الرؤى نفسها. وهكذا، في الواقع، هي الأحداث الموصوفة في الديباجة المتعلقة بالتنصيب النبوي لزرادشت. يخبرنا كتاب زارا-توشت-ناما (كتاب زرادشت) عن ذلك ببساطة سامية: "عندما بلغ زرادشت سن الثلاثين، راودته الرغبة في الوصول إلى إيران-فيج، وانطلق مع بعض الرفاق، رجالاً ونساءً". 74 إن الرغبة في إيران-فيج هي الرغبة في أرض الرؤى، والوصول إلى مركز العالم، الأرض السماوية، حيث يتم اللقاء مع القديسين الخالدين. في الواقع، فإن الأحداث التي تميز تقدم ودخول زرادشت ورفاقه إلى عالم إيران-فيج، واللحظة الزمنية التي يتم فيها تحقيق هذا الدخول، ليست أحداثًا خارجية ولا


والحمد لله رب العالمین والصلوة والسلام علی خیر خلقه محمد وآله
الطیبین الطاهرین وسلم تسلیما کثیرا کثیرا

تواريخ يمكن تسجيلها زمنيًا. إنها حلقات وعلامات إرشادية.

إن المناظر الطبيعية والأحداث حقيقية تماماً، ومع ذلك فهي لم تعد تعتمد على التضاريس الإيجابية، ولا على التاريخ الزمني. الدليل الأساسي هو أن الوصول إلى إيران-فيج يمثل قطيعة مع قوانين العالم المادي. تقف مساحة كبيرة من الماء في طريق المجموعة الصغيرة؛ بقيادة زرادشت، عبروها جميعًا دون أن يخلعوا ملابسهم: "كما تنزلق السفينة فوق الأمواج المتدفقة، كذلك ساروا على سطح الماء" (زارا توشت ناما، الفصل السادس عشر). وبالتوافق

مع الفضاء المقدس، لم يعد الوقت وقتًا دنيويًا بتواريخ يمكن تسجيلها في سجلات التاريخ (على الرغم من محاولة ذلك). يحدث الوصول إلى إيران-فيج، أرض الرؤى في عالم الوسط، في اليوم الأخير من السنة

(عشية عيد النوروز؛ في الثيوصوفيا الشيعية، يحدث ظهور الإمام الخفي بالمثل في اليوم الأول من السنة، عيد النوروز). الآن، كل شهر من أشهر التقويم المازدي، وكذلك السنة بأكملها، هو نظير العصر، الدورة العظيمة لزمن الهيمنة الطويلة. وبالتالي فإن "التاريخ" في هذه الحالة هو علامة مقدسة: فهو ينذر بنهاية ألفية، وفجر عصر جديد (وسنرى فيما بعد أن الأرض السماوية لهورقليا تقع على الحدود بين الزمن والـ الدهر). وبالمثل، سيحدث الظهور الإلهي الأول في الخامس عشر من شهر أرديبهشت، والذي يتوافق مع القسم المتوسط لاثني عشر ألف سنة، أي اللحظة التي أُرسل فيها فراڤارتي (الكيان السماوي) زرادشت في مهمته إلى الأرض. هنا التواريخ هي تواريخ دورة طقسية لإحياء ذكرى وتكرار "الأحداث في السماء".

عند هذه النقطة، يترك زرادشت رفاقه. يصل إلى نهر دايتي، في وسط منطقة إيران-فيج (زارا توشت ناما، ص.

25، رقم 6؛ زات-سبرام، الجزء الثاني، 6)، على ضفاف النهر الذي ولد فيه. وهكذا يعود إلى الأصل، إلى العالم النموذجي، وهو التمهيد الضروري للرؤية المباشرة لقوى النور المثالية. ها هو ذا، وحيداً، على ضفة النهر الهائل الذي لا قعر له، والذي ينقسم إلى أربعة فروع. يدخلها بلا خوف، وينغمس أكثر فأكثر في كل فرع من فروع النهر الأربعة

(زارا توشت ناما، الفصل 20). لقد نجح التقليد الزرادشتي هنا في تجسيد الشعور بالأهمية النفسية والروحية للحدث لدرجة أنه يطبق عملية التأويل أو التفسير الباطني للروحانيات الإسلامية على التاريخ الخارجي، ويعيد الحدث إلى الواقع الروحي الذي يمنحه موضوعه وبنيته. إن عبور الفروع الأربعة لنهر دايتي يعادل في هذا السياق الإنجاز العقلي لكامل العصر. إنه يمثل بعث زاراثوسترا من جديد في شخص سوشيانت الثلاثة المنبثقين من كسفارناه، والذين سيحققون تحول العالم (زارا توشت ناما، الفصل 21؛ زات - سبرام ، 21، 7).

وعندما يحدث التجلي الإلهي الأول، عندما تتخذ الرؤية شكل رئيس الملائكة بهمن (فوهو ماناه)، ذو الجمال المرموق، "المتألق من بعيد كالشمس والمرتدي رداء من نور75، يأمر رئيس الملائكة زرادشت بخلع ملابسه، أي جسده المادي، وأعضاء إدراكه الحسي، والسماح لنفسه بالدخول في الحضور المبهر للثيوقراطية الإلهية للسبعة. يبدأ الحوار على غرار الحوار بين هرمس ونوس، بويماندريس. يسأل رئيس الملائكة: "أخبرني باسمك، وما الذي تبحث عنه في العالم، وإلى ماذا تطمح؟" بصحبة رئيس الملائكة، كان زرادشت في حالة من النشوة بحضور مجلس رؤساء الملائكة. هنا يتم تقديم تفصيل جديد عن علم وظائف الأعضاء الصوفي - بمجرد أن دخل زرادشت في اجتماع السماويين، لم يعد "يرى إسقاط ظله على الأرض، بسبب الروعة المبهرة لرؤساء الملائكة" (زات-سبرام، 13، XXI). وهذا يعني أن خلع "اللباس المادي" هو بمثابة تذوق لحالة جسد النور، أو جسد القيامة، وهو التوهج النقي الشفاف لأنوار رؤساء الملائكة؛ هذا التوهج النقي يتحد مع الأنوار دون أن يلقي بظلاله، لأنه في حد ذاته مصدر للضوء. إن عدم إلقاء الظل هو من خصائص الجسد المجيد، وهو أن يكون في المركز. وتكمن أهمية كل هذا في أن مقر وجهاز الأحداث التي تجري في أرض :إيران-فيج الجسم اللطيف للنور.76

وأخيراً، تحدث التجليات الإلهية على قمم هذه الأرض العالية. يذكر كتاب الأفيستا الجبل والغابة حيث

تجري المحادثات المقدسة.77 وهناك تقاليد متأخرة تربط هذا الجبل بجبال معينة ذات جغرافيا إيجابية؛78 وقد حاولنا بالفعل تحديد العملية الذهنية التي تؤدي إلى مثل هذا التماثل. دعونا نستحضر هنا الإشارات الواردة في نصوص البهلوية التي تشير على وجه الخصوص إلى اثنين من هذه الجبال، والتي كانت أماكن هذه التجليات الإلهية: هورقليا، جبل المياه البدائية، حيث ينمو نبات الهوما الأبيض، نبات الخلود، 79 وجبل الفجر، الذي يحيط به نور المجد في الساعة التي يشرق فيها فجر الحياة السماوية في النفس. لذلك، من الصحيح أن نشوة زرادشت تحدث تحديداً حيث تختبر الرؤية الداخلية علم الأخرويات الفردي مسبقاً. إن قمم جبال الأرض التي تمثل الرؤى هي قمم جبال النفس. الصورتان النموذجيتان، صورة الأرض و صورة النفس ، تتوافقان مع بعضهما البعض: جبل الرؤى هو الجبل النفسي الكوني.

علاوة على ذلك، فقد تم تأكيد ذلك من خلال بعض التقاليد القديمة التي تم حفظها في النصوص اليونانية المتعلقة بزرادشت. فعلى سبيل المثال، يصف فَرفوريوس خلوة زرادشت في مغارة في جبال فارس، مزينة بالزهور والينابيع المتدفقة، والتي وفرت صورة مثالية لصورة العالم لتأمله.80 يذكر ديون كريسوستوم القمة العالية التي اعتزل عليها زرادشت لكي "يعيش على طريقته الخاصة"، حيث تتكشف طقوس النشوة، غير المرئية لعيون العامة، في مشهد من النار وروعة خارقة للطبيعة.81 إن الاعتكاف على الجبل النفسي الكوني يمثل في الواقع مرحلة أساسية من كل فلسفة غامضة: فعلها الأخير هو النشوة؛ عندها تصبح الأشكال السماوية، كما تتجلى من خلال أداة صورتها الأصلية، مرئية للنفس. وهنا مرة أخرى ربما ندين بتفاصيل أساسية عن النشوات المقدسة في :إيران-فيج إلى نص يوناني؛ فقد كان أغاثوس دايمون (الروح الصالحة) هو من قام بتأهيل زاراثوسترا الحكمة بشكل مباشر. والآن، سمحت لنا الأبحاث السابقة بالتعرف على أغاثوس دايمون كشخصية مماثلة لشخصية دينا أ، الكائن السماوي "الأنا"، النفس السماوية.82

لذا، في النهاية، فإن رؤية المشهد الأرضي المحاط بهالة كسفارناه، نور المجد، بالإضافة إلى الشخصية المتسقة

للأحداث، المرئية فقط للنفس، والتي تحدث هناك، كل هذا يبدأ في نقل توجه أخروي. إنها بمثابة مقدمة لكل من التحول النهائي للأرض (فراشكارت) والحدث العظيم لعلم الأخرويات الفردي، وهو اللقاء الشفقي مع "أنا" السماوي، الملاك دينا، عند مدخل جسر تشينفات. ولهذا السبب تخلق هذه الجغرافيا الرؤيوية أيقونية ذهنية توفر الدعم للتأمل فيما كنا نسميه سابقًا بالجيوصوفيا (حكمة الأرض)، وتتجلى على أنها لا تنفصل عن علم الآخرة، لأن وظيفتها الأساسية هي تهيئة ميلاد الإنسان الأرضي لـ "أنا" السماوي، وهو دينا، ابنة سبنتا أرمَيتِي صوفيا.

4. الجيوصوفيا والملائكة الأنثوية للأرض:

لذلك سيميل عرض هذه الجيوصوفيا إلى اتخاذ شكل مخطط لعلم الصوفية المازدية. إن مصطلح "جيوصوفيا" المقترح هنا ليس سوى ترجمة لاسم سبنتا أرمَيتِي، صوفيا والملاك الأنثوي للأرض. 83 ما يوضحه هذا المصطلح منذ البداية هو الفرق الصارخ بين الشعور الغامض (والمفهوم الشائع) لكون المرء "ابن الأرض" من جهة، ومن جهة أخرى الشعور والمعرفة التي يتم التعبير عنها بشكل مميز في إعلان الإيمان المازدي، والتي يتم غرسها في المتمرس في ذلك السياق، لكونه فرداً بشرياً هو ابن سبنتا أرمَيتِي، رئيسة ملائكة الأرض الأنثوية. 84 لم يعد الطرف الثاني في العلاقة الأبوية رجلاً مسجوناً بين حدود الميلاد والموت الأرضيين، بل أصبح إنساناً بكليته، بما في ذلك ماضي وجوده السابق ومستقبل وجوده اللاحق. تمتد العلاقة الأبوية مع رئيس الملائكة سبنتا أرمَيتِي من "الأنا" السماوية السابقة للوجود إلى "الأنا" السماوية التي ستنجب الرجل من خلالها ولأجلها. إنها تتويج لشكل من أشكال الوجود الذي تم التمهيد له في السماء 85 في اللحظة الدرامية التي يقبل فيها الفراڤارتي النزول إلى الأرض المادية وخوض المعركة هناك إلى جانب قوى النور ضد جميع الشياطين ذات الوجوه البشرية. بالنسبة للنفس البشرية، إنها لحظة

اختيار المجيء إلى الأرض والإجابة هناك عن قوى النور، حيث ستُحاسب الأخيرة عليها بعد الموت.

لذلك فإن اختيار النفس سيكون أيضاً حكمها. إن كل نفس من نور، من خلال مشاركتها في كل لحظة من العصر في العمل النهائي للسوشيانت، يجب أن تقاتل من أجل تحويل الأرض، ومن أجل طرد القوى الشيطانية من خلق أهورمزدي. والرؤية التي تحول الأرض وأشياء الأرض إلى رموز هي التي تدشّن بالفعل استعادة الأرض إلى نقائها الفردوسي. يُقاس انتصار النفس المتجسدة في الوجود الأرضي بدرجة هذا الاستعادة، أي بدرجة كسفارناه النفس، ونموها نحو وجودها السماوي القادم، وجسد قيامتها، الذي تتكون مادته، بشكل متبادل، من تلك الأرض السماوية التي هي فعلها وعملها.

إن قيام الإنسان بمثل هذا العمل هو بالضبط القيام في كيانه بما تسميه نصوص باهلافر سبيندارماتيك 85 (اسم مجرد مشتق من سبيندارمات ، وهو شكل بهلوية لاسم سبنتا أرمَيتِي)، والذي يمكننا ترجمته على أنه الحكمة ، أي الطبيعة الصوفية لـ سبنتا أرمَيتِي التي تعتبر صوفيا (وفقًا لترجمة بلوتارخ ونصوص بهلوية). من خلال تبني هذه الطبيعة، يصبح الإنسان، بالمعنى الحقيقي، ابن ملاك الأرض، وبالتالي قادراً على رؤية رؤيتها ذهنياً. ثم تستيقظ النفس أيضاً على وعي بقرابتها السماوية. حول دينا،ابنة سبنتا أرمَيتِي والتي هي صوفيا نفسها، تتجمع شخصيات الآلهة الملائكية التي تم وصف ظهورها في الأفيستا بعبارات رائعة (تشيستي، آشي فانوهي، أرشتيت، زاميات، أرادفي سورا أناهيتا)، والتي تكشف عن الأشكال الشخصية التي تم من خلالها اقتراح تجسيدات لنفس النموذج الأصلي تجريبياً للوعي المازدي، وهذا النموذج الأصلي هو الرمز المركزي الذي يتم من خلاله إعلان كمال وجوده للإنسان. هنا يتم تنظيم التجربة وفقًا لعلم الملائكة الأساسي للرؤية المازدية للعالم. تم إدراك وتجربة وجود ملاك أنثوي للأرض في البليروما السماوية. تُؤسس هذه العلاقة

سر الأرض المازدية، وهو سر صوفياني يتعلق بالأرض.

لا بد من الاعتراف بأنه لم تُبذل سوى جهود قليلة جداً لجمع كل شخصيات علم الملائكة المازدية في وحدة متماسكة. عادةً ما يكتفي الناس بتجميع "الحقائق". نادراً ما تم بذل جهد التأمل من أجل فهم هذه الشخصيات، وتفعيل خصائصها الشخصية، وتحفيز أفعالها وتفاعلاتها. ما نحتاج إليه هنا هو التأكيد على الشخصيات الرئيسية بين هؤلاء الملائكة الإناث في الأفيستا، فيما يتعلق بعلاقتهم بالسر الصوفياني للأرض. أما بالنسبة لإنجاز هذا السر، فقد حددناه للتو على أنه يتكون، في حالة الإنسان، من الانخراط في سبيندارماتيك ، أي مع "صوفية" سبنتا أرمَيتِي صوفيا. هذا التنصيب ضروري للتحقق من (تحقيق) تعليم مزدوج يتعلق برئيسة الملائكة الأنثوية للأرض؛ من ناحية، أنها هي التي يُعلِّم المؤمن المازدي أن يعلن عنها منذ سن الخامسة عشرة: "أنا ابن سبنتا أرمَيتِي"، ومن ناحية أخرى، أنها هي "أم" نفس دينا. وهذا يعني أن العلاقة "الأمومية" بين سبنتا أرمَيتِي

والإنسان تصل في النهاية إلى ذروتها، حيث يكون من الصحيح بنفس القدر القول بأن ديناقد وُلدت فيه، أو القول بأنه هو نفسه قد وُلد في دِينَا. وهكذا تتحقق العلاقة مع الأم رئيسة الملائكة للأرض على الأفق الأخروي، وتتعاون الملائكة الأنثوية الأخرى في هذا التحقيق. دعونا نحاول بإيجاز الإشارة إلى العملية كما تبدو لنا، مع الإشارة إلى أنه سيكون من الضروري بالتأكيد التأمل فيها بتفصيل أكبر مما نستطيع هنا.

إن افتراض سبيندارماتيك يعني أن الإنسان

سيجسد في شخصه نمط وجود سبنتا أرمَيتِي كرئيسة الملائكة الأنثوية للأرض والوجود الأرضي، أي نمط الوجود الحالي لـ فراڤارتي المتجسد. يمكننا أن نكتشف ما ينطوي عليه هذا "الافتراض" وما الذي يجعله ممكناً، وذلك من خلال دراسة السمات التي تحدد شخصية سبنتا أرمَيتِي نفسها، ومن خلال الرسم التخطيطي الأولي للأنثروبولوجيا الصوفية التي تحدد عملية استيعاب أو

استغلال السمات التي تؤدي إلى الولادة الجديدة في الحالة السماوية. تُنسب الأيقونات الذهنية سمات إلى شخصية سبنتا أرمَيتِي تربطها ارتباطًا وثيقًا بصوفيا التي تُعتبر صانعة ماهرة لخلق يهوه.87 إنها ابنة "رب الحكمة"، وهي "سيدة بيته" و"أم مخلوقاته"،88 وهي المسكن: "نقدم هذه الطقوس لكِ يا من أنتِ المسكن نفسه، سبنتا أرمَيتِي". 89 بالطبع، لم يتم توجيه الدعاء لا إلى مبنى ولا إلى مادة أرضية. إنها موجهة إلى من هي تحديداً "سيدة المسكن"، والعيش هناك يعني أن يتبنى المرء تجاه المسكن نمطاً من الوجود والمسؤولية يتوافق مع العمل الطقوسي والتدبيري لرئيسة الملائكة الأنثوية التي تقع تحت وصايتها ورعايتها. لا يُحدد ذلك في حد ذاته علاقة مكانية، بل علاقة شخصية، وهي العلاقة التي بفضلها تُنجز مهمة فراڤارتي المتجسد، وهي نفس المهمة التي صاغتها سبنتا أرمَيتِي مباشرة إلى زرادشت خلال محادثة سرية. 90

تسمح لنا بعض المؤشرات بإلقاء نظرة خاطفة على كيفية تطور الطبيعة الصوفية لسبنتا أرمَيتِي في أعماق كيان الكائن البشري الأهورمزدي. ويُقال إنه من بين الملائكة الثلاثة المؤنثة (أماهراسباند): "تمتلك مخلوقات أهورامزدا الحياة من خلال خُرداد (ملاك الطبيعة المائية)، والخلود من خلال أميرتات (ملاك الطبيعة النباتية)، والفكر الكامل (بافانداك مينشنيه) من خلال سبنتا أرمَيتِي". 91 كما هو الحال مع الفكر المثالي، فكر الهدوء واللطف، الخيال التأملي والتأمل الصامت، 92 فإن خصم رئيس الملائكة سبنتا أرمَيتِي هو رئيس الشياطين تاروماتي (الفكر الجامح، العنف، الضجة، القمع). وهذا النشاط العقلي المثالي ("الفكر المثالي تحت النظرة النقية للحب") يحدد الطبيعة الصوفية لـ "ابنة" إله النور. عندما يتبنى المؤمن هذا سبيندارماتيك,93 ويعيد إنتاج فكرة الحكمة التي هي جوهر ملاك الأرض في نفسه، فإنه يتسبب في وجود سبيندارمد ، ابنة أهورامزدا ، في شخصه. إنه ليس ابن أم الأرض فحسب، بل ابن ملاك الأرض الأنثوي، أي أنه يتسبب في انفتاح الأرض السماوية،

التي تعتبر سبنتا أرمَيتِي "سيدتها"، في داخله. وبنفس القدر الذي يكون فيه هذا التأمل في الحكمة هو أداة ولادة الأرض السماوية، يصبح من الصحيح القول إنه بالنسبة لكل روح مازدية، فإن سبنتا أرمَيتِي هي أم دينا، أي أم "الأنا" السماوية، صورة النفس، المرآة التي تعكس تحولها الخاص، جيوصوفياها، في صورة الأرض.

يمكن متابعة هذه العملية التي من خلالها يؤدي التأمل الصوفي إلى وصول النفس إلى "أنا" السماوية بفضل بقايا علم وظائف الأعضاء الصوفي، الذي يصعب تتبعه في المازدية لدرجة أنه لا يتم إيلاء أي اهتمام له، وهو أمر أكثر قيمة لهذا السبب. "في الطاقة الحيوية للإنسان، توجد فكرة: هناك تسكن سبنتا أرمَيتِي." في هذا الفكر كلمة: فيها تسكن آشي فانوهي (الملاك الأنثوي الذي هو أخت دينا). وفي هذا الفكر، يوجد فعل: فيه تكمن دينا. 94 يتم استيعاب ثلاثية من القوى الملائكية الأنثوية على مستوى هذه الثلاثية المقدسة للزرادشتية (الفكر، الكلمة، الفعل). تماشياً مع التسلسلات المتماثلة، وكما أن الفعل المحقق أو الفكر المعلن يعطي جسداً للفكر الداخلي، فإن دينا هي الشخصية السماوية التي تظهر للرؤية العقلية إلى الحد الذي تدرك فيه النفس وتفعّل في نفسها حكمة سبنتا أرمَيتِي، مما يعني أن التأمل أو "الفكر الكامل" هو العضو الذي يولد "الأنا" السماوية، أو أن سبنتا أرمَيتِي هي "أم دينا". لذلك فإن هذا الفكر الكامل، الخيال النشط للأرض السماوية، ليس "خيالاً"؛ بل هو قوة قادرة على "التأكيد" و"الإحياء". وذلك لأنها في الإنسان مقر قوة، كما أشير بحق، مماثلة لتلك الشخصية الأخرى المسماة في المانوية "ماتر فيتاي" أو "ماتر فيفينتيوم"، أي أم الحياة أو أم الأحياء.95 لذلك، فإن الشكل الصوفي للتعبد المازدياني لملاك الأرض يميل في نهاية المطاف إلى إحداث انفتاح في الوعي لتلك الصورة المثالية التي يسميها علم النفس العميق "أنيما"، والتي هي الحضور الخفي للأنوثة الأبدية في الإنسان. 96

لفهم صحيح لتفعيل هذه الصورة، يجب أن تكون الدراما ما قبل الأرضية التي أشرنا إليها سابقًا

حاضرة في الفكر: المقدمة في السماء، والاختيار المقدم للبشر فرافارتي ("أولئك الذين اختاروا"): إما البقاء بمنأى عن المساس في العالم السماوي، أو النزول إلى الأرض وخوض المعركة هناك من أجل عالم الملاك. وهذه هي المفارقة بالفعل. الفرافارتي هم النماذج السماوية الأصلية والملائكة الحامية، وهم مرشدو جميع الكائنات، السماوية والأرضية على حد سواء. ماذا يعني ذلك إذن، إذا تجسد البشر فرافارتي (الذين يمثلون البشرية الأهورمزدية) على الأرض؟ هل بذلك يتم إلغاء الثنائية الجوهرية التي تجمع بين كائنين من نور؟ على الرغم من أن هذه المشكلة لم يتم التفكير فيها بشكل كافٍ (فهي ذات أهمية ضئيلة لعلم التاريخ في حد ذاته)، إلا أن التضخيم الذي يقدمه حلها يمكن أن يستند بيقين إلى البيانات التي تظهر على مستوى الوعي المازدي. في الواقع، فإن فراڨارتي المتجسد، نفس الملاك التي تخلت عن حالتها "السماوية" لمواجهة رعب البشرية الأهريمانية، ليست وحيدة: فالنفس في حالتها الأرضية، تتحد مع جميع كائنات النور، وتخوض إلى جانبهم "معركتها من أجل الملاك". إن "الملاك" هو في آن واحد إيمانها وقاضيها، وجودها ووجودها الفائق، وقرينها السماوي. لن تُكشف هذه الحقيقة للنفس إلا بعد الموت، ولهذا السبب يُطلق على دينا، ملاك النفس المتجسدة (التي اختارت فراڨارتي، بعد قدومها "إلى الأرض"، أن تُجيب عنها)، اسم رافان-إي روح ، أي "النفس على الطريق"، أي النفس السماوية التي تلتقي بها النفس البشرية "على الطريق" إلى جسر تشينڤات.97

ولهذا السبب فإن للنفس رؤيتها المسبقة (انظر أعلاه، § 3)، في فجر البشارة للمشهد الرؤيوي في وسط العالم، على القمة التي يبرز منها جسر تشينفات، مع وجود دينا عند المدخل لتسهيل مرور الكائن الذي هي النفس السماوية. هي نفسها شخصية أخرى تجسد نموذج صوفيا الأصلي؛ فهي ابنة صوفيا، وقد قورنت أكثر من مرة بشخصية صوفيا في العهد القديم98، حيث الحكمة هي ابنة يهوه والصانع الماهر لخلقه، تظهر في هيئة عذراء بهيّة، يعقد كلُّ فتىً متّقد الرغبة في المعرفة عهدَ الوفاء لها.99 أو بتعبير أدق، كما أشير، هناك تشابه

مع كور في الهرمسية، وكذلك مع "عذراء النور" في المانوية وكتاب صوفيا الغنوصي بيستيس صوفيا. إن اسم دينا نفسه يجمع بين عدة جوانب لا ينبغي تجزئتها أو معارضتها، بل يجب استعادتها في وحدة "شخصها". 101 من الناحية الاشتقاقية (من الأفيستية day، السنسكريتية dhi)، فهي النفس الرؤيوية أو العضو الرؤيوي للنفس، والضوء الذي ينبعث منها والذي يجعل الرؤية ممكنة، وفي الوقت نفسه الضوء الذي يُرى، والشخصية السماوية التي تواجه النفس عند فجر خلودها. دينا هي رؤية العالم السماوي كما هي

معاشة، أي كدين وإيمان معلن،102 ولهذا السبب بالذات فهي الفردية الأساسية، "أنا" السماوي المتعالي. من خلال الجمع بين هذين الجانبين أو الفكرتين في شخصيتها، تعلن أن الإدراك يتوافق حتماً مع الإيمان. وبهذا المعنى، ولأنها النموذج الأصلي، الملاك الحارس الذي يرشد ويلهم حياة المؤمن، فهي أيضاً قاضيته، 108 التي تكشف له مدى إرضاء وجوده الأرضي لأهم قانون شخصي لوجوده، في التعبير الحي عنه. عندما تسأل الروح في دهشة: "من أنت؟" الفتاة، الأكثر إشراقًا من أي جمال شوهد في العالم الأرضي، تتجه نحو مدخل جسر تشينفات وتجيب: "أنا ديناتك"،104 وهذا يعني: أنا شخصيًا الإيمان الذي أعلنته وهي التي أوحى به إليك، أنا هي التي أجبتها وهي التي أرشدتك، وهي التي طمأنتك وهي التي تحكم عليك الآن، لأنني أنا شخصيًا الصورة التي وُضعت أمامك منذ ولادة وجودك والصورة التي رغبت بها أنت نفسك في النهاية ("كنت جميلة، لقد جعلتني أجمل"). ولهذا السبب فإن دينا هي أيضًا إكسفارناه، المجد الشخصي والمصير، وعلى هذا النحو فهي "عصر، خلودك". 105 ليس في قدرة

الإنسان أن يدمر فكرته السماوية؛ ولكن في قدرته أن يخونها، وأن ينفصل عنها، وأن لا يجد عند مدخل جسر تشينفات شيئاً يواجهه سوى الصورة الكاريكاتورية البغيضة والشيطانية لـ "أناه" التي سلمها لنفسه دون راعٍ سماوي.

ولدى دينا صوفيا "أخوات"، وهن بمثابة نماذجها المسبقة ووسطاءها ورسلها، من وجهة نظر

التسلسل المثالي الذي يتم فيه ترتيب الأحداث الرؤيوية. وهناك الملاك تشيستي، الذي تم الاحتفال به في يشت السادس عشر، وهو مخصص تحديدًا لدينا. اسمها أيضاً ينقل فكرة النور النشط الذي ينير ويكشف عن شكل من أشكال النور. إنها هي التي تمنح كل كائن القدرة على الرؤية، وخاصة للمشارك في الطقوس الدينية، الذي بفضلها يتمكن من رؤية وفهم معنى كلمات وإيماءات الطقوس. كما ورد في اليشت (المقطع 2): "قدم زرادشت القرابين لها قائلاً: انهضي من عرشك، تعالي من مسكن الترانيم، يا تشيستي الأكثر استقامة، التي خلقها مازدا والمقدسة." "في الطقوس المكرسة لـ دينا، فإن تشيسي هي التي تكشف عن وجودها في الرؤية الذهنية كوسيطة لـ "أختها" وكشخصية مؤدية لهذه الطقوس.106 إنها تحمل القرابين، وهي الكاهنة بشخصها. وبما أنها هي التي تمنح الرؤية، فهي نفسها الرؤية التي تحدد ملامح أيقونتها: طويلة ونحيلة، ترتدي الأبيض وهي بيضاء.107 إنها تمنح الثلاثية الزرادشتية معناها المقدس الطقوسي الحقيقي المتمثل في "الفكر، والكلمة، والفعل"، ولهذا السبب فإن دينا، التي يقع مركزها أو "مقرها" (انظر رقم 94 أعلاه) في الإنسان، في الفعل المقدس الذي يتم تنشيطه من خلال الفكر التأملي (سبنتا أرميتي)، يتم تصويرها في شخص "أختها"، صورتها المرآوية، التي تتوافق ملامحها مع ما يتم تجربته وعيشه أثناء العمل الطقوسي. هذا الفعل يضع الإنسان في إيران-فيج، في وسط العالم، حيث يمكن للكائنات السماوية والكائنات الأرضية التواصل. بصفتها ملاك الطقوس، فإن تشيستي هي الوسيطة لأختها دينا، أي التي تجعل العمل الطقوسي

رؤية واستباقًا للقاء الأخروي.108

تُدعى النفس مرة أخرى لتجربة ترقب حدسي مماثل من قبل أخت دينا الأخرى، الملاك آشي فانوهي، التي تعمل أيضًا، في ثلاثية القوى الموصوفة أعلاه، كوسيط بين سبنتا أرمَيتِي، التي هي "ابنة" لها، ودين، التي هي "أخت" لها. تتشابه صفاتها مع صفاتهم: فهي أيضًا "ابنة أهورا مازدا، أخت رؤساء الملائكة"؛109 تتخذ شكل فتاة فخورة وجميلة، حزامها مربوط عاليًا، نقية، نبيلة، لا تُقهر.110 لا تقتصر ملامح أيقونتها على محاكاة ملامح الملائكة الإناث الأخريات

(دينا، أردفي سورا)، مما يجسد نفس الصورة المثالية، بل إنها، مثل أردفي سورا، تتمتع بامتياز الأسبقية الاستثنائية، حيث يقدم أهورا مازدا نفسه، سيد أماهراسباند وجميع اليزاتاس، القرابين في إيران-فيج لها ولأردفي سورا (باعتبارهما مالكين وموزعين لـ كسفارناه).111 في إيران-فيج، أي في وسط العالم، تلتقي زاراثوسترا أيضًا بالملاك آشي فانوهي. وقد تم وصف هذا الحدث بشكل لافت للنظر في كتاب يشت السابع عشر. يتم استدعاء الملاك الإلهة، وهي تقود عربة النصر الخاصة بها، باعتبارها قادرة على كل شيء وباعتبارها هي نفسها التي تمتلك كسفارناه. إن هذه غلوريا فيكتريكس الإيرانية هي بالفعل شقيقة نايكي في التماثيل اليونانية (تلك "الانتصارات" التي كانت، بشكل رئيسي بسبب التأثير الغنوصي، أصل أولى تمثيلات الملاك في الأيقونات المسيحية المبكرة). ثم، وهي منتصبة على عربتها المنتصرة، تدعو زاراثوسترا إلى الاقتراب، ليركب ويجلس بجانبها: "أنت جميل يا زاراثوسترا، أنت جميل جداً... لقد أُعطي جسدك كسفارناه، وروحك نعيم دائم. ها أنا أعلنها لك." 112

وهكذا، فإن الملاك آشي فانوهي يمتلك ويمنح كسفارناه، نور المجد، ولكن في الوقت نفسه هي نفسها النصر، نار النصر. تتجسد في شخصها أهمية كل من المجد والمصير، هالة المجد لكائن من نور. وهكذا اعتبرتها الميثرائية (بمعنى Fortuna Victrix، Gloria-Fortuna). 113 إن لقاء rvxn-آشي-فانوهي في إيران-فيج، ودعوتك للجلوس بجانبها على عربة نصرها، هو في الواقع الحدث الروحي الذي يستبق في الوقت نفسه، ويتنبأ، ويجعل من الممكن اللقاء بعد الموت مع "أختها" دينا، بعد أن تحقق المجد والقدر. إنها صورة النفس المنتصرة، وتقديسها بواسطة كسفارناه، وكشف نموذجها السماوي الأصلي. إن الرؤية في إيران-فيج تتنبأ بظهور الفجر على جسر تشينفات، ولهذا السبب يعترف تقليد البهلوية بأن آشي فانوهي، أخت دينا-صوفيا، هي روح الحكمة التي توجه كائنات النور نحو "الوجود الكامل"، أي الوجود "المثالي" 114. كما يطلق عليها أيضًا اسم "ملاك المسكن الفردوسي"، وهي "مساعدة" سبنتا أرمَيتِي، التي هي "مسكننا".

عند هذه النقطة، يحدث الاقتران بين مصير

النفس - فراڤارتي المتجسد في الوجود الأرضي - ومصير تلك الأرض الأرضية التي جاءت إليها فقط لمساعدة أهورامزدا وقوى النور على إنقاذ الأرض من القوى الشيطانية. آشي فانوهي هي الملاك الذي يشع بنور كسفارناه، نور المجد؛ لكن هذا الإشعاع الدائم، أي الإشعاع الدائم الذي يتم استعادته من خلال الرؤية، يصبح الآن ذلك الملاك الأنثوي الآخر الذي يُدعى باسم أرشتات. *116* في شخصها هي صورة المجد التي تعكس للنفس صورة الأرض المتحولة إلى صورة النفس التي تحولها. لفهم الدراما الذهنية التي يهيمن عليها شخصية الملاك أرشتات، دعونا نتذكر الآثار الأخروية

لصورة كسفارناه. في يشت التاسع عشر، نسمع عن المخلوقات التي ستأتي من عالم النور، وفي صورة سوشيانت، تجدد الوجود الأرضي، جاعلةً منه وجودًا ذا طبيعة نار، عندما تمتلك جميع المخلوقات جسدًا غير قابل للفساد من نار مضيئة.117 لكن هذا حدث تعمل جميع مخلوقات النور من أجله الآن، في الوقت الحاضر. كان هذا العمل وهذا الحدث هما السبب الرئيسي، منذ البداية، لاختيار ومعركة فرافارتي. إن مخلوقات النور تحصل على قدرتها على تحقيق هذا التحول أو توقعه تحديداً بفضل النار المنتصرة التي يتجسد إشعاعها في الكائنات باسم الملاك أرشتات.

إن التنبؤ بهذا التحول النهائي (فراشكارت)، ووعي الانتماء إلى مخلوقات النور التي تعمل معًا من أجله في كل لحظة من العصر، هي تصورات، مثل الجغرافيا الرؤيوية للمناظر الطبيعية المذكورة أعلاه، لا تدخل حيز التنفيذ فيزياء بسيطة تنشأ من الإدراكات الحسية، بل فيزياء رؤيوية. هذه الطاقة المتحولة التي يمثل صورة المجد مصدرها وعضوها، تغلف النفس بأكملها. إن إدراك نار المجد الأرضي يعلن عن إشعاع نار روحية تجلب النفس إلى التوهج، إلى نور المعرفة المنقذة (الغنوص)، ويقدم النفس إلى أرض النور، وإلى جميع الكائنات التي تشكل عالمها الخاص، العالم الذي هي مسؤولة عنه. ولهذا السبب يتم أحيانًا استبدال شخصية دينا، نور المعرفة و

صورة المجد،*118* بشخصية الملاك أرشتات. ولهذا السبب أيضًا، في "الحكم" الذي يمثل مواجهة النفس مع النماذج السماوية التي كان عليها أن تجيب عنها على الأرض، يقف الملاك أرشتات بجانب زاميلت، إلهة الأرض، في "وزن" النفس، وكلاهما يساعدان رئيس الملائكة أمرتات. 119

لأن هذه المواجهة تدفع النفس إلى التساؤل: بأي "وزن" وزنت كسفارناها التي كانت من أجل تحويل الوجود؟ إلى أي مدى كانت هي نفسها سوشيانت، وبالتالي تحقيق نذر دعائها الخاص: "ليكن من بين أولئك الذين سيحققون تحول الأرض" (ياسنا 9 ،XXX). إذا كان أرشتات وزاميلت هما "القاضيان" على النفس أمام أمرتات (الخلود)، فكذلك أختهما دييا بنفس المنطق. نتيجة الصراع إما التحول أو التشويه الشيطاني. لكي تصبح صورة الأرض شفافة لشكل الملاك في رؤية ملائكية مثل رؤية فيشنر، يجب أن يزهر شكل الملاك في النفس نفسها. والآن يكمن في ذلك ميلاد الروح إلى دينا، إلى "أناها" السماوي، وقد أشرنا بالفعل إلى كيف يتم تحقيق المعنى النهائي لإعلان الإيمان في هذا علم الأخرويات الفردي: "أمي هي سبنتا أرمَيتِي، رئيسة ملائكة الأرض". هنا نبدأ في رؤية كيف أن زاميات، ملاك المجد الأرضي، الذي يُلمح في لهيب الفجر على قمم جبال مناظر كسفارناه الطبيعية، ليس مجرد "نسخة" من سبنتا أرمَيتِي. لا يمكن رؤية زاميلت إلا للنفس التي من خلالها ومن خلالها يصبح صحيحًا أن سبنتا أرمَيتِي هي "أم" دينا-صوفيا. إن ولادة "الأنا" السماوية وتحول الأرض يشكلان دورة ما حاولنا وصفه هنا بأنه "جيوصوفيا".

لذلك، انطلاقاً من هذه "الجيوصوفيا" التي تحققت من خلال ملائكة الأرض الأنثوية، شكل الخيال الديني المازدي تاريخاً أسطورياً، حيث أن رؤية رئيس ملائكة الأرض وهو يولد إنساناً، لا يزال ما قبل الأرض، ترمز بالفعل إلى التوليد الخارق للطبيعة للمخلص، سوشيانت النهائي الذي سيأتي، والذي باسمه وعمله يشارك كل فرافارتي من خلال كفاحه الخاص.

تم خلق غايومارت، الإنسان البدائي، في إيران-فيج، على

ضفاف نهر دايتي في مركز العالم. عندما نجح أهريمان في جعل الموت يخترقه، سقط غايومارت على جانبه الأيسر، وبما أن جسده كان مكونًا من "معدن" نقي، فإن المعدن المطلق الذي يشكل الكل المعدني، قد خرج من جسده سبعة معادن، كل منها ينبثق من العضو الذي يتوافق معه. إن علم الأنثروبولوجيا الذي يشكل جسراً بين الأهمية الكونية للإنسان البدائي والتكهنات المتعلقة بالعالم الصغير، يبرز بوضوح شديد تطابق المعادن مع أجزاء جسم الإنسان. إلى جانب ذلك، فإنه يعطي تعريفًا أساسيًا: الذهب، باعتباره المعدن الثامن، وبسبب تفوقه، ينبثق من روح (كسفارناه) غايومارت ومن نسله. يرمز الذهب، الذي تفوقت مكانته على جميع المعادن الأخرى، هنا بـ"الأنا" الأساسي، أي النفس، التي تضاف إلى "الأعضاء" الفردية التي يهيمن عليها، والتي ترتبط بها المعادن على التوالي. هذا الذهب، كما نعلم، هو في التقاليد الكيميائية، الرمز فوق كل الرموز الأخرى لابن الملك، أو "جسد القيامة"، أو الذات. والآن، هذا هو الذهب الذي جمعته سبنتا أرمَيتِي. لقد احتفظت بها لمدة أربعين عامًا 120، وفي نهاية تلك الفترة نبتت نبتة غير عادية من "التربة"؛ شكلت هذه النبتة أول زوجين بشريين، ماهرياج-مهرياناج، كائنين متشابهين للغاية، ومتحدين مع بعضهما البعض بشكل وثيق، لدرجة أنه لا يمكن تمييز الذكر عن الأنثى، ناهيك عن عزلهما. على هذين الكائنين، أو بالأحرى على هذا الكائن المزدوج، هذا الكائن الخنثى، نزلت روح واحدة هي كسفارناه، نور المجد نفسه،

نفس النفس، التي كانت موجودة قبل الكائن المادي.111

ما يتم فهمه في هذه الرؤية هو مرة أخرى حدث البشرية ما قبل آدم (آدم وحواء، وليس آدم وحواء بعد). لا تبدأ الإنسانية الآدمية حقًا إلا من نسل ماهرياج-مهرياناج - عندما يصبح المذكر والمؤنث، المتميزين عن بعضهما البعض، اثنين. وهنا مرة أخرى، تتجلى أعماق الإيمان ومعناه: "الديّ سبنتا أرمَيتِي كأمي، وأستمد حالتي البشرية من ماهرياج-مهرياناج. إن الأرض التي تجمع "ذهب" غايومارت ليست بالتأكيد أرض الفيزياء العادية، بل هي "شخص" ملاك الأرض، سبنتا أرمَيتِي."

لا ينبغي استبدال فئات علم الجيولوجيا لدينا، ولا فئات علم الأجنة الطبيعي، بطريقة الإدراك التي هي هنا بشكل صحيح "الجيوصوفيا". ولا يُعدّ الإنسان الذي أنجبته سبنتا أرمَيتِي من ابنها غايومارت 123 إنسانًا في وضعنا البشري الحالي. إنه الإنسان الكامل، ولا يزال ذا طبيعة مزدوجة الجنس، ماهرياج-مهرياناج. ومع ذلك، بما أن أهريمان قد تسبب في دخول الموت إلى غايومارت، فإن بنية هذا الكيان الكلي، هذا الكائن المزدوج الجنس المنبثق من ذهبه، أي من نفسه أو ذاته، والتي تعتبر أرميتي صوفيا وعاءً لها - هذه البنية غير مستقرة وهشة؛ إنها غير قابلة للحياة على الأرض، التي هي فريسة للقوى الشيطانية. وأخيراً، من خلال انقسام ازدواجيته الداخلية، يولد هذا الكائن نسله، الإنسانية التاريخية، التي هي الحالة الوحيدة التي يمكننا تجربتها، والتي يكون ظهورها بالتالي لاحقاً للكارثة العظيمة، إلى "اليوم التالي"، غزو "الشر". يتم التعبير عن فكرة الازدواجية المستعادة في اقتران الإنسان بعد وفاته مع دينا، التي هي بالضبط "ابنة سبنتا أرمَيتِي"، تمامًا كما أن الإنسان في حالته ما قبل التاريخية أو فوق الأرضية هو "ابنها". ولهذا السبب فإن الحدث الذي وقع في عصور ما قبل التاريخ (جمع سبنتا أرمَيتِي للذهب أو الذات من غايومارت، ابنها الملوث بالموت) يتنبأ بشكل نموذجي بالحدث الذي يمثل "خاتمة" التاريخ، وعتبة ما وراء التاريخ. وبعبارة أخرى: عندما تصبح سبنتا أرمَيتِي أماً لإنسان بالمعنى وبالدرجة التي هي بها أم دينا، فإن هذا "الميلاد" يشير إلى اقتران أخروي، بحيث يتم استكمال السر الصوفي المنقوش في اسم ملاك الأرض، أرميتي-صوفيا، مع الأخرويات العامة. عندها فقط يتضح المعنى العميق للنصوص التي تقدم أردفي سورا أناهيتا على أنه "المساعد"، زميل العمل (هامكار) لـ سبنتا أرمَيتِي.

سيكون من المستحيل حقًا فهم أسطورة غايومارت وإنصاف اللغز الإيراني المتعلق بالأنثروبوس إذا تم عزل شخصية غايومارت عن مبدأها. يمثل كل من غايومارت وزاراثوسترا وسوشيانت الأخير بداية ووسط ونهاية الإنسان وعالم

الإنسان الخاضع لـ "الخلط". زاراثوسترا هو أيضًا الإنسان البدائي، غايومارت المبعوث ، تمامًا كما سيكون السوشيانت الأخير هو زاراثوسترا المبعوث، وكما تتوقع المعرفة المازدية تمجيد الإنسان في شخص السوشيانت. ولهذا السبب فإن المفهوم الخارق للطبيعة والعذري لـ سوشيانت، النموذج الأولي للبشرية التي تم خلاصها أخيرًا من الموت، يمثل، فيما يتعلق بـ "لحظة" شخص زرادشت، عملية مماثلة ولكنها معكوسة لتلك التي أدت من غايومارت، من خلال وسيط سبنتا أرمَيتِي، إلى تسليم البشرية إلى الحالة الفانية. وقد تم الإعلان عن هذه الحالة التاريخية للبشرية من خلال انقسام الكيان الكلي، الذي يتكون من الذهب أو الذات لغايومارت.

وبالتالي فإن صورة سوشيانت هي نقيض صورة الإنسان الذي دمرته القوى الشيطانية. إن الولادة العذرية، من خلال عملية خارقة للطبيعة، تلغي القوانين البيولوجية، أو بالأحرى تتجاوز المعنى المادي للظواهر من خلال تجاوز ثنائية وتناقض الذكورة والأنوثة: كائن واحد يتولى وظيفة كليهما. وكما حُفظ الذهب الصادر من غايومارت بواسطة سبنتا أرمَيتِي تحت حماية ملائكة الأرض، كذلك، لم تكن البذرة بالمعنى الفيزيولوجي للكلمة، بل ذهب كسفارناه (ذهب) زرادشت، هالة مجده، استقبلها الملاك نيريوسانغ، وأوكلها إلى مجد (كسفارناه) المياه، أي إلى الملاك الإلهة أردفي سورا أناهيتا، "العالية، والسيادية، والطاهرة". وهنا أيضاً، لا يمكن إدراك وتوقع تحول الإنسان والأرض إلا من خلال فلسفة الجيوصوفيا. يتم الاحتفاظ بمجد زرادشت بواسطة أردفي سورا "شخصيًا"، أسطوريًا في مياه بحيرة كانساويا، التي ينبثق منها جبل الفجر، مونس فيكتورياليس؛125 ويحرسه عدد كبير من الفرافارتيس. في نهاية الاثني عشر ألف سنة، عندما ينتهي عصرنا، ستدخل عذراء، تعمل كرمز أرضي ومرئي لأردفي سورا شخصيًا، مياه البحيرة الغامضة. سيكون نور المجد كامناً في جسدها، وستحمل "شخصاً يجب أن يتغلب على جميع أعمال الشر للشياطين والبشر". 126" ولهذا السبب تُلقب الأم العذراء، إردهات

فدري، بالفعل باسم فيسبا تاورفايري ("القاهرة")، أومنيفيكتريكس. لذلك، فإن أردفي سورا أناهيتا، الذي يحفظ كسفارناه من زاراثوسترا، والذي يولد منه بطل الاستعادة النهائية *(apokatastasis)*، هو بالفعل، كما تقول الليتورجيا 127، "شريك" سبنتا أرمَيتِي، الذي يحفظ الذهب الصادر من غايومارت؛ وفيسبا تاورفايري هي المرأة الأرضية التي ترمز إلى كليهما. كما أن علم الأخرويات المازدي، مثله مثل سر الأرض الصوفي، يتحقق من خلال تمجيد صوفيا.128

كل هذا، بالطبع، يتحقق في إيران-فيج (حيث مات غايومارت، وحيث ولد زرادشت، وحيث سيولد السوشيانت، وحيث ستقام الليتورجيا النهائية التي تشعل العالم بالنار)؛ وهكذا فإن هذه الدراما بأكملها لا يمكن إدراكها إلا في إيران-فيج، في مركز العالم، أي في قمة النفس.

لقد سمعنا فيشنر وهو يحزن لأن رؤى من هذا النوع تعتبر في أيامنا هذه خيالية وغير واقعية. لعلنا نستطيع اليوم أن نقدر، أكثر مما كنا عليه في القرن الماضي، الفلسفات التي لم تخلط بين الخيالي، أو بالأحرى الواقع المقابل للإدراك الخيالي، وبين غير الواقعي. بين كون يتكون من فيزياء خالصة وذاتية تفرض العزلة على نفسها، نتوقع الحاجة إلى عالم وسيط لربط أحدهما بالآخر، شيء من طبيعة عالم روحي من الأجسام الدقيقة. لقد تم التأمل في مثل هذا العالم الوسيط بلا هوادة، وخاصة في إيران الإسلامية، من قبل أساتذة الفلسفة السهروردية، وأتباع فلسفة النور، وأتباع المذهب الشيخي. لم يعد هذا العالم الوسيط مجرد مركز العالم، مثل إيران-فيج، بل أصبح مركز العوالم. إن عالم المتخيل، وعالم الواقع الخيالي، وعالم الصور المثالية، يتم تأسيسه كوسيط بين عالم الجواهر النقية والمفهومة والكون الحسي. هذا العالم هو كيشوار الثامن، المناخ الثامن: "أرض المدن الزمردية"، الأرض الصوفية لهورقليا.

2. أرض هورقليا الغامضة

1. التقدم المتناغم: فاطمة، ابنة النبي، والأرض السماوية

كل من لديه بعض المعرفة بالأداة يعرف ما يسمى بـ "المفاتيح". بفضل هذه المحطات، يمكن لكل نغمة أن تتسبب في "تحدث" عدة أنابيب بأطوال مختلفة في وقت واحد؛ وبالتالي، إلى جانب النغمة الأساسية، يمكن سماع عدد من النغمات التوافقية. ومن بين الوسائل التي تنظمها، يشير مصطلح التقدم المتناغم إلى مجموعة من النغمات التي تسمح بسماع المزيد والمزيد من النغمات المتناغمة كلما صعد المرء نحو السجل الأعلى، حتى عند درجة صوت معينة، يتردد صدى النغمة الأساسية في نفس الوقت.

تم وصف هذا بإيجاز شديد ودون أي ادعاء بالدقة التقنية، ولكن لغرض محدد. إن هذه الظاهرة تبدو لنا التشابه الأكثر فائدة في فهم العنوان الفرعي لهذا الكتاب: "من إيران المازدية إلى إيران الشيعية". ونتيجة للصلة التي تم إقامتها بين إيران المازدية القديمة وإيران الشيعية - وهي صلة يجب أن نولي فيها اهتمامًا خاصًا للمدرسة الروحية التي أعادت تنشيط المعرفة الشيعية التقليدية في الإسلام الإيراني منذ نهاية القرن الثامن عشر - يحدث شيء يشبه التقدم المتناغم. كلما ارتفعنا، كلما سمعنا المزيد من التناغمات. وأخيراً، سيصبح الصوت الأساسي، الذي أعطى الفصل السابق نغمته، مسموعاً مرة أخرى.

قد يُمكّننا هذا التشبيه المقترح في النهاية من فهم بعض سمات التاريخ الروحي لإيران. لقد تم تخصيص القليل من الدراسات حتى الآن في الغرب لفلسفة الإسلام

الإيراني، سواء كانت شيعية أم لا، لدرجة أن أولئك المتخصصين في دراسة إيران القديمة، وكذلك المتخصصين في الفلسفة الإسلامية في حد ذاتها، يبدون أحيانًا متفاجئين، إن لم يكونوا منزعجين، عندما يتم الإشارة إلى صلة لم تكن مرئية في مخططهم حتى ذلك الحين. من ناحية أخرى، هناك عدد قليل جداً من الإيرانيين المثقفين الذين لا يدركون هذه العلاقة. لكي ننجح في تمثيلها بشكل كافٍ، ربما يتعين علينا التخلي عن بعض فئاتنا المعتادة التي لا تأخذ في الاعتبار سوى التاريخ الخارجي، حيث تتم دراسة كل شيء بهدف اكتشاف التيارات الرئيسية، واستنتاج التأثيرات والتفسيرات السببية، ومحاولة اختزال الأشياء إلى قاسم مشترك بكل الطرق. إذا لم تسمح ظاهرة ما باختزالها إلى هوية من خلال السبب والتأثير، وإذا رفضت أن تتناسب مع التصنيف المسبق، فسيشتبه المرء بسهولة في أنه قد ضلل بسبب بعض المواد غير الأصلية. هذا ما جعل من الصعب للغاية مناقشة الحقائق الروحية على هذا النحو، وخاصة تلك التي حدثت في إيران، لأن الحقائق الروحية، على هذا النحو، غير متصلة وغير قابلة للاختزال؛ فهي لا تتعاقب في زمن متجانس؛ بل كل منها يمثل زمنه الخاص.

سنتناول الآن بإيجاز اثنين من هذه "الأوقات". من ناحية أخرى، "زمن" السهروردي، الذي ينتمي عمله، من الناحية الزمنية، إلى القرن الثاني عشر الميلادي. يسعى المؤلف في هذا الكتاب إلى تحقيق هدف إحياء حكمة بلاد فارس القديمة، أو ما يُعرف بالثيوصوفيا (الحكمة الإلهية)، في الإسلام. تهيمن على نظرته الميتافيزيقية، من جهة، فكرة كسفارناه، نور المجد، وعلم الملائكة المازدي الذي يفسر من خلاله الأفكار الأفلاطونية؛ ومن جهة أخرى، "زمن" الشيعة، الذي تحدده من حيث النوع فكرة الإمام الخفي ومجيئه. هذه الفكرة تبدو وكأنها صدى لنغمة أساسية سمعناها بالفعل في الفكرة الزرادشتية عن المخلص الأخروي أو سوشيانت. لكن لا السهروردي ولا الشيعة زرادشتيون. إنهم موجودون ويعتزمون البقاء في الإسلام، في إسلام روحي بالتأكيد، وهو يختلف اختلافاً عميقاً عن الإسلام الشرعي، الدين الرسمي للأغلبية. إذا اقتصر المرء على التاريخ الإيجابي للأشياء الخارجية، دون معرفة كيفية إحداث اختزال ظاهري، فكيف

يمكن للمرء أن يمنح أصالة "تاريخية" لظاهرة تعبر، في عالم معين، عن قيم وواقع تصورات معينة تم تلقيها في عالم غريب، بل ومتباين، عن العالم السابق؟ إن مثل هذه المحاولة ستؤدي إلى الحديث عن التوفيقية، والتوفيق الجدلي، والتحويل الاصطناعي. وسيكون ذلك نهاية الأمر.

إن أتباعنا الروحانيين، في الواقع، لا ينغمسون في التوفيق بين الأديان، ولا يتعين عليهم محاولة التوفيق الجدلي، لأن لديهم نمطًا من الإدراك يختلف عن النمط الذي اختزلنا إليه بسبب وعينا التاريخي أحادي البعد. أولاً، لديهم تحت تصرفهم عالم من عدة مستويات، وأحد هذه المستويات تحديداً هو ما يحاول هذا الكتاب وصفه وتحديد موقعه. خلال هذا الكتاب، سنصادف التعبير التالي لأحد مؤلفينا: "أن ترى أو تدرك الأشياء في هورقليا". يكمن في ذلك تلميح إلى تفعيل ملكة الإدراك، والتي هي متاحة أيضاً وبشكل ضروري لهؤلاء الروحانيين. يُشار إلى تفعيل هذه الملكة بالمصطلح التقني "تأويل"، والذي يعني لغوياً "إعادة" البيانات إلى أصلها، إلى نموذجها الأصلي، إلى مانحها. ولهذا، يجب إعادة التقاط نفس البيانات في كل درجة من درجات الوجود أو المستويات التي كان عليهم "النزول" من خلالها للوصول إلى نمط الوجود الذي يتوافق مع المستوى الذي يكونون فيه واضحين لوعينا العادي. تؤدي هذه الممارسة إلى جعل هذه المستويات ترمز إلى بعضها البعض.

ومن ثم فإن التأويل هو في المقام الأول تأويل الرموز، والتفسير، وإخراج المعنى الروحي الخفي. لولا التأويل، لما وُجدت حكمة الإشراق للسهروردي، ولا تلك الظاهرة الروحية بشكل عام، وهي المعرفة الشيعية، التي من خلالها يتغير معنى الإسلام. وبالمقابل، لا يمكن أن يكون هناك تأويل بدون عالم هورقليا، الذي ندرسه حاليًا؛ أي بدون عالم الصور النمطية حيث يعمل ذلك الإدراك التخيلي ويستطيع، من خلال تحويل البيانات المادية للتاريخ الخارجي إلى رموز، أن يتغلغل إلى المعنى الباطني. باختصار، يتعلق هذا بـ "التاريخ الروحي" الذي

تجري أحداثه في هورقليا. يفترض التأويل وجود تراكب بين العوالم وما بين العوالم، كأساس مترابط لتعدد المعاني في النص نفسه.

من المؤكد أن هذه "التقنية" كانت معروفة في وقت من الأوقات في الغرب. إلا أنه سرعان ما تحول هناك إلى أسلوب اصطناعي، ولكن في الواقع لأسباب خارجية عن طبيعته والتي شوهت ممارسته، وذلك لأنه انفصل عن الثيوصوفيا التي هو مقابل لها، ولأنه حُرم من العفوية بواسطة سلطة عقائدية. اليوم، في نظر علماء اللغة والمؤرخين، يُنظر إليه على أنه شيء مصطنع وغير مهمل، إن لم يكن لا يطاق. لا أعتقد أن هناك أي فائدة من النقاش الذي يهدف إلى التوفيق بين وجهتي النظر. بغض النظر عما حدث لهذه التقنية في الغرب، تبقى الحقيقة أن ممارستها في التصوف الإسلامي (الحكمة الإلهية) استمرت مدعومة بوسائل أخرى تمامًا، وللحفاظ على عفويتها. إذا لم يفهم المرء من أين ينبع، فإن جميع الحقائق الروحية المرتبطة به ستظل غير مفهومة. إن التأويل، بلا شك، هو مسألة إدراك تناغمي، أي سماع صوت متطابق (نفس الآية، نفس الحديث، بل وحتى نص كامل) على عدة مستويات في وقت واحد. يسمع المرء أو لا يسمع. لكن من لا يملك الأذن الداخلية ("هورقليا") لا يمكن جعله يسمع ما يستطيع من يملكها سماعه. لأن سر تطور الأوتار، في التناغم، يعتمد على تأويل وتر معين.

سنقرأ لاحقاً في هذا الكتاب بضع صفحات عن السهروردي، المعلم الشاب الذي استشهد في سن الثامنة والثلاثين (587-1191) والذي أصبح فيما بعد يُعرف باسم "شيخ الإشراق" لأن هدفه الأسمى كان إحياء الحكمة الإيرانية القديمة. لقد ذكرنا اسمه بالفعل وسنفعل ذلك مرة أخرى، لأن عمله ذو أهمية بالغة لموضوعنا - "الأرض السماوية". في السياق الحالي، نعتزم فقط لفت الانتباه إلى بضع صفحات من عمله الرئيسي، والتي تذكر صراحة رتبة ووظيفة رئيسة الملائكة الأنثوية للأرض تحت الاسم الذي تمنحه لها الحكمة المقدّسة المزدية تقليديًا،

§ *1*. فاطمة والأرض السماوية

سبنتا أرمَيتِي. هذا الاسم، في اللغة الإيرانية الوسطى أو البهلوية، يصبح سبيندارمات ، والذي يعطينا في اللغة الفارسية الحديثة إسفندار-موز. في الفصل السابق، رأينا كيف كانت كوكبة ملائكة الأرض الأخرى مصطفة حولها. في المذهب السهروردي، يظهر مخطط الأكوان الروحية في الخطوط العريضة على النحو التالي: من النور "المنتصر" الأول (قاهر)، أو رئيس الملائكة الأول المنبثق من نور الأنوار، والذي اسمه المازدي التقليدي بهمن (فوهو مناه)، ينبثق عدد لا يحصى من كائنات النور، أنوار عاقلة خالصة، مستقلة تمامًا عن أي جسم مادي؛ هذا هو عالم الجبروت. ومنه ينبثق بليروما آخر من مواد الضوء، بعضها يجب أن يتولى مسؤولية حماية نوع مادي، وهو ما يُعرف بـ "السيمياء"، بينما يتعين على البعض الآخر أن يملأ دور النفوس، التي تُحيي جسماً مادياً لفترات أطول أو أقصر. الأول هم الملائكة المثالية أو ملائكة الأنواع، ومن بينهم يُشار إلى أماهراسباند الزرادشتيين بالاسم: يفسر السهروردي الأفكار الأفلاطونية على مستوى علم الملائكة هذا. أما الثانية فهي نفوس الأفلاك (ملائكة السماء) ونفوس البشرية. تشكل هاتان الفئتان معًا عالم الملكوت، وأرض الملكوت هي الأرض السماوية لهورقليا.

يُعتبر إسفندار-موز من بين ملائكة هذا النوع. ومن المهم والمؤكد أن السهروردي بدوره يستخدم المصطلح الإيراني القديم المميز الذي، كما رأينا، حددت به الأفيستا بالفعل وظيفة سبنتا أرمَيتِي، وهي كاد بانوئية وظيفة "سيدة المنزل". وبصفته ملاك الأرض، يتولى إسفندار-موز. على وجه الخصوص حماية العوالم الطبيعية التي يسود فيها العنصر الأرضي، لأن الأرض هي "السيمياء" الخاصة بملاكها. الأرض هي "التي تستقبل"؛ باعتبارها وعاءً لتدفق وتأثيرات الأفلاك السماوية، فإنها تتخذ الدور الأنثوي فيما يتعلق بالدور الذكوري. هذا أحد المواضيع التي سيتم تطويرها بشكل أكبر من قبل المعلق العميق للسهروردي،;صدرالدين شيرازي (توفي عام 1640، انظر أدناه، الجزء الثاني، الفنون، 1، VI، وIX) عندما كان يُدرّس في شيراز. من ناحية أخرى، فإن العلاقة بين الأرض كما نعرفها

والأشكال الأخرى التي هي موضوعات للإدراك الحسي تشبه تلك الموجودة بين الأرض المثالية، أي ملاك الأرض، والمواد المنفصلة الأخرى أو ملائكة الأنواع. هذا لا يعني بالطبع أنه يمكننا الحديث عن "السلبيات" (الانفعالات) في عالم العقول: إن أنوثة ملاك الأرض تستند إلى حقيقة أنها "التي تتلقى"، والتي تتجلى فيها تعدد آثار وتأثيرات "العقول النشطة" الكروبينية وفقًا لتدرج وجودي وبنية معقولة، بنفس الطريقة التي تتجلى بها آثار المجالات السماوية التي تمثل هذه العقول قواها المحركة على هذه الأرض، من خلال نفوسها، وفقًا لتسلسل زمني وبنية يمكن إدراكها بالحواس. على كوكبنا الأرض، هكذا يُنظر إلى وظيفة كاد بانوئية لجعل كوكبنا الأرض يرمز إلى ملاكه، إسفندار-موز.. 2

هذا المثال البسيط الذي اخترناه من بين أمثلة أخرى يكفي لإظهار كيف أن الثيوصوفيا التأملية لإيران الإسلامية، من السهروردي في القرن الثاني عشر إلى صدر الدين الشيرازي في القرن السابع عشر (ويجب أن نشمل خلفائهم حتى يومنا هذا)، تحافظ على شخصية ملاك الأرض وتستمر في التأمل فيها، والتي تعلم الإيرانيون القدماء من خلال الديانة المازدية التعرف عليها. لقد احتفظ هذا الشكل، أو ما يُعرف بالبنية الكلية، بهويته بالكامل، على الرغم من تغير عناصر السياق. إن ما يثير الإعجاب هو قوة التأويل في علم التأويل الروحي، القادر على إعطاء قيمة لجميع الرموز و"إعادتها" إلى النموذج الأصلي. هذه هي الوظيفة التأسيسية التي يتخذها الإسلام الروحي، في شخص "سيد حكمة الإشراق" ومقلديه.

وهذا ليس كل شيء. عندما نجد السهروردي مرة أخرى يستخدم اسم إسفندار-موز.، ملاك الأرض وصوفيا المازدية، لا نجد صعوبة في التعرف على سماتها، حيث تم نقل حتى الاسم المميز لوظيفتها من الطقوس المازدية إلى السياق الإسلامي الأفلاطوني المحدث للسهروردي. لكن قد يحدث أن اسمها لم يعد يُنطق، وأن تظهر شخصية باسم مختلف تمامًا في سياق مختلف تمامًا،

ومع ذلك لا يزال بإمكاننا تحديد نفس السمات، نفس البنية الكلية. لكن دعونا نولي اهتماماً دقيقاً للطبيعة الخاصة للظاهرة الروحية التي ستستحوذ على انتباهنا. كما يبدو، لا يمكننا ببساطة أن نقول إن هذه الشخصية هي مجرد تجسيد جديد للنموذج الأصلي الذي تجسده سبنتا أرمَيتِي. على مستوى المستوى الذي سنتمكن فيه من إدراك هذا الشكل، ينبغي لنا بالأحرى أن نتحدث عن شكل نموذجي للنموذج الأصلي، كما لو كنا نقترب من ذروة التقدم التناغمي، وأنه هناك أخيرًا ـ وهناك فقط ـ سيُمنح لنا أن نسمع مرة أخرى وفي نفس الوقت الصوت الأساسي في القاعدة. إنها رئيسة الملائكة الأنثوية لأرض فوق سماوية، تتخذ رتبة وامتياز صوفيا الإلهية، والتي يُقترح أن ندرك، على مستوى عالم اللاهوت، الحقيقة الأبدية لفاطمة المبهرة، ابنة النبي، كما يتم التأمل فيها في المعرفة الشيعية، أو بشكل أدق، في مدرسة الشيخ.

صحيح، للأسف، أنه في غياب عمل شامل حتى الآن حول مذاهب الشيعة، وخاصة مذاهب الشيخية، التي يمكننا الرجوع إليها، قد يُشتبه في أننا نقبل بسهولة بالغة الإشارات الغامضة. الشيعية ـ هذه الكلمة تأتي من العربية شيعي وتشير إلى جماعة المتبحرين الذين يتبعون أئمة آل بيت النبي ـ الشيعة، الذي كان شكل الإسلام في إيران لخمسة قرون، حيث كانت مراكز انتشاره منذ البداية، لا يزال غير معروف بشكل كبير في الغرب. في كثير من الأحيان، يتأثر الناس بالتقليعات المعاصرة، فيختزلون أصولها إلى مسائل الخلافة السياسية. وبذلك، يتجاهلون تماماً مجموعة مهمة من الأدبيات التي تتألف من محادثات أول المتبحرين مع الأئمة المتعاقبين حتى القرن التاسع الميلادي. تشهد هذه المحادثات على أن ازدهار التشيع كان في الأساس ازدهارًا، أو بالأحرى عودة ظهور، المعرفة (الغنوص) في الإسلام (إذا عاد المرء ودرس أصول العقائد، فلن يستطيع فصل التشيع الإثني عشرية والتشيع الاسماعيلي). إن المعرفة الشيعية هي في المقام الأول الباطنية للإسلام، وعندما أصبحت الدين الرسمي للدولة من قبل

الصفويون في القرن السادس عشر، أدى ذلك إلى تأسيس نوع من رجال الدين الرسميين الذين يهتمون بشكل حصري تقريبًا بالفقه. كان التأثير الرئيسي لهذه المحنة هو جعل أتباع المعرفة الشيعية الإيرانيين، حتى اليوم، أكثر صرامة في ممارستهم لـ "انضباط الأسرار".

بينما يعتبر علم النبوة عنصراً أساسياً في الدين الإسلامي في حد ذاته، فإنه في الثيوصوفيا الشيعية تنقسم إلى علم النبوة وعلم الإمامة. إلى جانب الوظيفة النبوية، التي تنقل رسالة الوحي الحرفي، هناك الوظيفة التلقينية، التي تُعرّف بالمعاني الخفية للوحي، وهي وظيفة الإمام. بعد دورة النبوة التي انتهت دائرة النبوة، "خاتم الأنبياء"، تأتي دورة التلقين، وهي دائرة الولاية، الدورة الحالية الموضوعة تحت الحكم الروحي للإمام الثاني عشر، الإمام الخفي، "الحاضر في القلوب ولكنه غير مرئي للحواس". 3

لقد مثلت مدرسة الشيخية، التي ازدهرت في نهاية القرن الثامن عشر تحت تأثير الشخصية الروحية السامية والقوية للشيخ أحمد الأحسائي (توفي عام 1826)، إحياءً استثنائياً للمعرفة الشيعية البدائية. أدبها مجهول، ومعظمه لا يزال في شكل مخطوطات. لا يمكننا هنا حتى أن نحدد جميع المذاهب، ولكن في سياق الصفحات التالية سنرى كيف ولماذا يعد موضوع هورقليا أحد مواضيعها الأساسية. وقد تم في هذا الكتاب فحص معنى الإمامية بدقة وعمق كبيرين (أو ارتفاع). إن الأئمة الاثني عشر الذين تولوا الوظيفة التأسيسية بعد الرسالة النبوية للمسلم، وشخصه، وشخص ابنته فاطمة، التي نشأ منها خط البليروما، يتم فهم وتأمل هذا الـ "الأربعة عشر المطهرين" ليس فقط فيما يتعلق بالظهور الفاني على الأرض لأشخاصهم، ولكن في حقيقة كياناتهم الأبدية السابقة للكون. شخصياتهم هي في جوهرها تجليات إلهية؛ إنهم الأسماء والصفات الإلهية، وهي وحدها التي يمكن معرفتها عن الألوهية؛ إنهم أعضاء الألوهية؛ إنهم "عملياتها الفعالة". من وجهة نظر هيكلية، في اللاهوت الشيعي، يلعب علم الإمامة نفس الدور الذي يلعبه علم المسيح في اللاهوت المسيحي. ولهذا السبب،

فإن كل من عرف الإسلام السني فقط، يواجه في إيران شيئاً غير متوقع، وينخرط في حوار لا يمكن التنبؤ بثرائه وعواقبه.

وهكذا، فإن الأئمة الاثني عشر، في شخصياتهم الإلهية، إلى جانب النبي و فاطمة المتألقة، يشكلون البليروما لـ "الأربعة عشر الأطهار جداً"؛ وعند التأمل في جوهرهم وشخصهم الأبدي، فإنهم يتخذون نمطاً من الوجود وموقعاً مماثلاً لـ للايونات في البليروما في الغنوص الفالنتيني. أما فيما يتعلق بموضوع اهتمامنا هنا، وهو موضوع الأرض السماوية، فإن موقع ودور فاطمة في هذا البل روما يكتسبان الآن أهمية بالغة. في المخطط المذكور أعلاه لـ "حكمة الإشراق" السهروردية، تم توضيح كيف أن أرضنا وملاكها الأنثوي، إسفندار-موز.، يحتلان مكانة في عالم النماذج الأصلية، عالم النفس أو الملكوت. وهكذا، كان لدينا كون ثلاثي الأبعاد: العالم البشري الأرضي، وهو موضوع الإدراك الحسي؛ وعالم النفس أو الملكوت، وهو، بالمعنى الدقيق للكلمة، عالم الإدراك الخيالي؛ وعالم العقول الكروبينية الخالصة، الجبروت، وهو موضوع المعرفة الذكية.

في الثيوصوفيا الشيعية للشيخية، يتم فرض كون آخر (كما عند ابن عربي) على الأكوان الثلاثة المذكورة أعلاه: كون اللاهوت، مجال الإله. لكن السمة المميزة للشيعية والشيخية هي تصور هذا اللاهوت بشكل صريح على أنه يشكل البليروما "الأربعة عشر النقية جداً". يمكن للمرء أن يقول إنها تسمح لنا بسماع لحن الأرض السماوية، مثل جميع الألحان الأخرى، في طبقة صوتية أعلى. كل طبقة هي عالم جديد، بداية جديدة، حيث يتم إعادة اكتشاف كل شيء، ولكن على مستوى مختلف، أي في نمط وجود أعلى. إن هذا التتابع من الطبقات هو ما يسمح بممارسة التأويل، أو التأويل الروحي، بشكل أصيل. علاوة على ذلك، في شخصية فاطمة المتعالية كعضو في البليروما العليا، سنسمع شيئًا يشبه دافع الأرض السماوية العليا؛ ومن خلال هذه الأرض السماوية العليا، نقاد إلى فكرة صوفية شيعية، والتي من خلالها سندرك من جديد شيئًا أدركته صوفية المازدية بالفعل في شخصية ملاك الأرض، ولكن هذه المرة على

مستوى جديد وأعلى، لأن التقدم التناغمي ينتج رنين التناغمات التي ظلت صامتة حتى ذلك الحين.

سنلخص هنا بعض الصفحات الأساسية من عمل عظيم باللغة الفارسية، في أربعة مجلدات، ألفه، بالإضافة إلى العديد من المؤلفات الأخرى، الشيخ الحج محمد كريم خان كرماني

(توفي عام 1288/ 1870)، وهو الثاني في سلسلة الخلافة من الشيخ أحمد الإحسائي كرئيس للمدرسة الشيخية. يزخر كتابه "الدليل الروحي" بلمحات تُفتح للقارئ بفضل فكره العميق والأصيل (يحتوي الجزء الثاني من هذا الكتاب، المادة العاشرة، على بضع صفحات منه). لفهم بنية البليروما في فلسفة الشيعة والدور الذي لعبته فاطمة فيها،8 يجب أن يسترشد المرء بالفكرة الأساسية التي يتم تذكيرنا بها باستمرار في النص، وهي أن جميع الأكوان ترمز إلى بعضها البعض. وهنا نلتقي مرة أخرى بالسماوات والأرض، لكن هذه ليست سماوات وأرض عالمنا، ولا سماوات وأرض الملكوت، ولا سماوات وأرض الجبروت، بل سماوات وأرض ذلك الكون الفائق الذي هو مجال الإله، اللاهوت. ثم يتم تطوير الإيقاع الذي يحدد بنيته المعمارية في بُعد الزمن الأرضي. إن اكتشاف بنية في هذا البعد التاريخي نفسه تجعل من الممكن رؤية التتابع على أنه مماثل لبنية البليروما - سيكون هذا في جوهره التأويل الباطني، التأويل؛ سيكون اكتشافًا للمعنى الحقيقي والخفي، والتاريخ الروحي الذي يصبح مرئيًا من خلال سرد الأحداث الخارجية. سيعني ذلك "رؤية الأشياء في هورقليا".

إن تشبثنا في الغرب بمادية الحقائق التاريخية، التي نخشى فقدان موطئ قدمنا في غيابها، يجعل من الصعب علينا أن نفهم أن أصل كل الإيمان والأمل الإسلامي، وكذلك المسؤولية التي يقوم عليها ضمير المؤمن، لا يكمن في حقيقة تاريخية، بل في حقيقة ما وراء التاريخ - العهد الأزلي الذي تم إبرامه عندما سأل الكائن الإلهي جميع البشر الموجودين في الكائن البشري، آدم السماوي: "ألست أنا ربكم؟" ألست أنا ربكم؟ 7: 171). لقد رأينا بالفعل أيضًا أن عقيدة وأخلاق المازدية تعتمد على حقيقة استجواب السيد

الحكمة للفراڤارتيس عما إذا كانوا على استعداد للنزول إلى الأرض، هناك لمحاربة قوى أهريمان. لكن ثمة ما هو أكثر من ذلك: فحدث ما وراء التاريخي- نفسه الذي ينشأ منه التاريخ الروحي للآدميين ليس إلا إعادة ظهور، على مستوى البشرية الآدمية، لحدث يتردد صداه من طبقة هابطة إلى طبقة هابطة، لكن مشهده البدائي هو البليروم الأسمى. في الواقع، يشفر الاستجواب للإدراك الخيالي اللغز الذي لا يمكن فهمه لأصل الأصول. يقترح ابن عربي هذا النهج عندما يصرح بأن الكائن الإلهي كان في نفس الوقت السائل والمجيب.

هذا السؤال هو في الواقع مفتاح لغز التجلي الإلهي البدائي، وهو الكشف عن الكائن الإلهي الذي لا يمكن الكشف عنه إلا لنفسه في ذات أخرى، ولكنه غير قادر على التعرف على نفسه كآخر أو التعرف على ذلك الآخر على أنه نفسه، إلا في كونه إله الآخر. إن حقيقة ظهور كائنات البليروما العليا في ترتيب أسبقية وجودية يتوافق مع الترتيب الذي أجابوا به على الاستجواب البدائي هي طريقة، بالنسبة للإدراك الخيالي، لفك شفرة بنية البليروما كمكان للتجلي الإلهي البدائي. وكما أن السماوات المرئية تُخلق من خلال أعمال التأمل التي تقوم بها العقول الكروبينية المنبثقة من بعضها البعض، فإن "سماوات البليروما"، في مجال اللاهوت، تتحقق من خلال أعمال التجلي الإلهي.

تتزامن هذه الأعمال الإلهية مع التمايز التدريجي لقطرات المحيط البدائي للوجود، أي الوجود الذي أعطاه الخالق إستو. 6

إن خاصية التحول، الكامنة في كل قطرة، تمكنها من إعطاء الإجابة التي تختتم العهد الإلهي الأبدي. بما أن ترتيب التتابع الأنطولوجي للإجابات يحدد بنية بليروما اللاهوت، فإن النتيجة هي أن التسلسل الهرمي للكيانات الروحية العليا الأربعة عشر سيظهر على الأرض، في وقت دورة نبوءة محمد، في تتابع الأشخاص الذين يرمزون إليه، "الأربعة عشر طاهرين جداً": النبي محمد، وفاطمة ابنته، والأئمة الاثنا عشر.

أول الكيانات الروحية التي تجيب هو أول الكائنات، "الكائن غير المكتمل"، الذي سيظهر تجسيده الحسي على الأرض في شخص النبي محمد. ولهذا السبب فهو السماء العليا للبليروما، وهو الذي له نظير في السماوات الفلكية وهو مجال الأفلاك، والعرش، والإمبيريان (جنَّة الخُلد). وبعده، كان ثاني الكيانات الروحية الأبدية استجابة هو ذاك الذي سيظهر على الأرض في شخص حضرة الأمير (أي الإمام الأول، علي بن أبي طالب، ابن عم النبي وزوج فاطمة)؛ ونظيره في السماوات الفلكية هو السماء الثامنة، السماء التي تحتوي على "البروج" أو كواكب البروج، سماء الكواكب الثابتة (الكرسي)، الفلك. لذلك، فإن سماء خلد البليروما هي سماء النبوة؛ وسماءها هي سماء التأهيل (الولاية). وبفضل ذلك، فإن هذا الفلك هو جنة التأهيل المتكاملة؛ إن الإمام الأول، في شخص تجليه الإلهي، يعيد تلخيصها في مجملها.

ومع ذلك، فإن مجمل سماء التأهيل هو اقتران اثني عشر شخصًا أو الأقانيم البدائية (النظائر الفلكية لها هي علامات الأبراج الاثني عشر)، أي الكيانات الروحية التي ستتجلى على الأرض على أنها الأئمة الاثني عشر. لكل منهم علامته المميزة في دائرة الأبراج الخاصة بالبليروما، أي في اندماج التأهيل الذي تم تلخيصه في سماء الإمام الأول. لكن كل واحد منهم، وفقًا لرتبته الوجودية المتميزة، ينتج جنته الخاصة أيضًا. اثنان منهم يعبّران عن ردهما، وهذان الاثنان اللذان سيقابلان على الأرض ذلك الزوج من الإخوة، الإمامين الشابين، الحسن والحسين (أمير الشهداء)، ابني علي وفاطمة؛ هذان الكيانان ينتجان، على التوالي، سماء الشمس وسماء القمر للبليروما العليا. ثم يأتي من سيكون ظهوره على الأرض هو الإمام الثاني عشر، الإمام الخفي،8 أي إمام عصرنا، الذي هو بالنسبة للنبي محمد كما هو آخر سوشيانت، زرادشت المتجسد، بالنسبة للنبي زرادشت نفسه. وفي وقت لاحق، ينطق الأئمة الثمانية الآخرون بردهم بالتتابع، بالترتيب الذي سيتم تمثيله فلكياً في التأهيل الأبدي بواسطة الأجرام السماوية الأخرى

وتلك المتخيلة لتفسير حركات القمر.

وأخيراً يأتي رد حضرة فاطمة لإكمال لاهوت البليروما وإعطائها كمالها وأساسها. وهكذا، فهي أرض البليروما العليا، ولهذا السبب يمكن القول إنها على هذا المستوى الوجودي أكثر من مجرد الأرض السماوية، إنها الأرض فوق السماوية. وبعبارة أخرى، فإن السماوات والأرض في عالم لاهوت البليروما مرتبطة بالسماوات والأرض في عالم هورقليا، والتي سنتحدث عنها كثيراً لاحقاً في هذا الكتاب، بنفس الطريقة التي ترتبط بها السماوات والأرض في عالم هورقليا بالسماوات والأرض في العالم الحسي. أو مرة أخرى، فإن الشخص البليرومي في فاطمة بالنسبة للأرض السماوية . لهورقليا هو كما سبنتا أرمَيتِي بالنسبة للأرض المازدية المحاطة بنور كسفارناه.

لا يمكن لأي إنسان أن يصل إلى رؤية البليروما العليا؛ للقيام بذلك، سيحتاج إلى "اللحاق" بتلك الكيانات الروحية التي تسبق إلى الأبد مجمل المخلوقات. إن ذرة واحدة من الأرض فائقة الاتساع، إذا تم إسقاطها في مليون من أكواننا، ستكون كافية - بسبب جمالها ونقائها ونورها - لجعلها في حالة اندماج متوهج. لا تظهر كائنات لاهوت البليروما إلا في أشكالها الشبحية، والتي هي بمثابة أوعية لتجلياتها الإلهية. لذلك، فإن وظيفة من هو في شخصه الأرض السماوية العليا، الفردوس الذي يتجاوز الفردوس، هي البدائية، بنفس القدر الذي تكون فيه الأرض السماوية لهورقليا هي أرض الرؤى الإلهية. وبعبارة أخرى، كما سنرى، بدون شخص فاطمة لن يكون هناك ظهور للإمامة، ولا الولاية الإسلامية. لأن بليروما هذه الكيانات النورانية هي المكان نفسه للسر الإلهي. نورهم هو النور الإلهي نفسه؛ وشفافيتهم تسمح له بالتألق، دون أن يحتفظوا بأي شيء منه كأنه ذاتهم الخاصة. هذه البلورات المتوهجة النقية التي لا تستطيع العين النظر إليها لأنها تُظهر الشمس المتألقة، "الأربعة عشر شديدة النقاء" ليست فقط أصدقاء الله وأحبائه؛ بل هي جوهر الحب الأزلي؛ إنها هوية الحب والعاشق والمحبوب، تلك الهوية التي طمحت جميع الصوفيين

إلى عيشها، والتي، وفقًا للروحانيات الشيعية، لا يمكن الوصول إليها لأي شخص لم يتم تأهيله فيسر الإمامية. وهذا يمكن أن يفسر، على سبيل المثال، موقفهم الحذر، موقف المذهب الشيخي، على سبيل المثال، تجاه الصوفية غير الشيعية.

من هذا المنظور، نصل إلى رؤية يتم من خلالها تطوير علم الصوفية في المذهب الشيخي. على هذه الأرض، كانت فاطمة، ابنة النبي، زوجة علي بن أبي طالب، وهو ابن عم النبي. إن اتحادهم المثالي هو مظهر من مظاهر الاقتران الأبدي الذي ينشأ في أبدية بليروما اللاهوت. 9 يرتبط الإمام الأول وفاطمة ببعضهما البعض بنفس الطريقة المتبادلة مثل الأقنيمين الأولين، العقل والنفس، أو بمصطلحات أكثر ألفة لنا (لأنها تعود إلى فيلو): اللوغوس وصوفيا.

إن الزوجين "علي-فاطمة" هما تجسيد، وتجلي على الأرض، للزوج الأبدي لوغوس-صوفيا. وبالتالي، يمكننا أن نتوقع الآثار المترتبة على كل شخص من هؤلاء. إن اللوغوس (العقل) في مذهب الشيخي هو الجوهر الخفي لكل كائن ولكل شيء؛ إنه النداء فوق الحسي للشكل المرئي من أجل الظهور. يشبه الخشب الذي سيظهر فيه شكل التمثال. بل والأفضل من ذلك، أنه يشبه الجسم النموذجي، الكتلة النجمية الداخلية للشمس، غير المرئية للإدراك البشري، فيما يتعلق بالشكل المرئي، وهو هالتها وتألقها وبهائها. المقام (هذه الكلمة تعني الحالة، والرتبة، والدرجة، والمستوى، وأيضًا درجة النوتة الموسيقية) - مقام فاطمة يتوافق تمامًا مع هذا الشكل المرئي للشمس، والذي بدونه لن يكون هناك إشعاع ولا حرارة. ولهذا السبب أطلق على فاطمة اسم شمسي: فاطمة الزهراء، المشرقة والمتألقة. إن مجمل الأكوان تتكون من نور فاطمة هذا، وروعة كل شمس تضيء كل كون يمكن تصوره.

لذا يمكن للمرء أن يتحدث هنا أيضاً عن حكمة كونية، مصدرها الشخص الأبدي لـ فاطمة-صوفيا. وبذلك، فإنها تضطلع برتبة ثلاثية، وكرامة ووظيفة ثلاثية. لأنها هي الصورة الظاهرة، أي نفس الأئمة؛ وهي الباب (العتبة) الذي يفيض من خلاله

الأئمة هبة نورهم، تمامًا كما ينبعث نور الشمس من خلال شكل الشمس - وهو تألقها الباهر - وليس من خلال المادة غير المرئية لـ "جسدها الأصلي". وهكذا، في المقام الثاني، هي كل الواقع الذي يمكن تصوره، وكامل المعاني لجميع الأكوان، لأنه لا شيء مما هو موجود يمكن أن يكون بدون قيد. إن التأهيل والمعنى على نفس مستوى الوجود مثل الشكل، والشكل موجود تحديداً على مستوى وجود النفس، لأن نفس-صوفيا هي التي تمنح التأهيل والمعنى. ولهذا السبب فإن الكون بأكمله للنفس وسر المعاني التي تعطيها النفس هو الكون والسر نفسه لحضرة فاطمة. إنها صوفيا، أي الحكمة والقوة الإلهية، التي تشمل جميع الأكوان. وأخيراً، هذا هو السبب في أن شخصيتها الأبدية، التي هي سر عالم النفس، هي أيضاً تجليها (بيان)، والتي بدونها سيظل المبدأ الخالق للعالم مجهولاً وغير قابل للمعرفة، مخفياً إلى الأبد.

أو مرة أخرى: إن الرتبة الوجودية للأئمة في كيانهم الأبدي تتجاوز كل تمثيل وإدراك، وكل وسائل التعبير والتسمية من قبل الكائنات المخلوقة، في حين أن رتبة حضرة فاطمة هي مستوى تجليهم، لأن رتبة وجودها هي رتبة النفس نفسها لكل درجة من درجات الوجود. وهكذا فإن درجة الوجود في فاطمة-صوفيا تلخص جميع درجات المعرفة، أو الغنوص، بشكل كامل للغاية بحيث يتم قياس رتبة التفوق النسبي للأنبياء فيما يتعلق بمعرفتهم بالله من خلال معرفتهم بحضرة فاطمة. حتى أولئك الذين كانوا الأكثر بروزًا من بين المائة والأربعة والعشرين ألف نبي، أولئك الذين تم تكليفهم قبل محمد بمهمة الكشف عن كتاب سماوي، فإنهم لا يزالون أدنى من مرتبة فاطمة- صوفيا، لأنها هي مصدر كل معارفهم ووحيهم وقدراتهم الخارقة، لأن فاطمة- صوفيا هي اللوح السري (اللوح المحفوظ).

في الواقع، وفقًا للتقاليد، فإن جبريل هو ملاك الوحي وملاك المعرفة، المبشر المرسل إلى الأنبياء. لكنه هو نفسه يتلقى الوحي الإلهي، الذي يبلغه إليهم، من خلال وسيط ثلاثة ملائكة آخرين، وهم عزرائيل، سيرافئيل، ميخائيل، الذين هم

دعامة العرش. إن رئيس الملائكة ميخائيل وحده هو الذي يتلقى بشكل مباشر جزءًا من المعرفة المخفية في اللوح المحفوظ، مما يشير إلى الرتبة نفسها ومكانة فاطمة- صوفيا باعتبارها قلب العالم الروحي المتعالي.

في القرآن الكريم آيات لا يمكن فهم معناها الكامل إلا من خلال التأويل الروحي، التأويل الشيعي؛ على سبيل المثال، الآية (التي نترجمها على أنها مطلوبة بهذا التأويل) التي يقول فيها الله تعالى: "كَلَّا وَالْقَمَرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۝ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۝ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ" *(74: 35-39)*. هذه العلامة من بين العلامات الكبرى هيفاطمة-صوفيا في وسط "الأربعة عشر الطاهرين جداً".

بعد إعادة تلخيص الامتيازات الأنطولوجية لحضرة فاطمة-صوفيا مع شيخنا الجليل، يمكننا أن نقول عنها، التي من خلالها يتحول الوجود الأرضي إلى فجر أرض فوق سماوية، إنها التجلي الإلهي. يتصاعد الموضوع ويتوسع إلى درجة كبيرة لدرجة أن شيخنا الإيراني (الذي ندين له أيضًا برسالة عن الألوان) يصل إلى آفاق تنبأ بها غوته في ختام فاوست الثاني: أنوثة أبدية، تسبق حتى المرأة الأرضية لأنها تسبق تمايز الذكر والأنثى في العالم الأرضي، تمامًا كما تحكم الأرض السماوية جميع الأراضي، السماوية والأرضية، وتوجد قبلها. إن فاطمة-صوفيا هي في الواقع النفس: نفس الخلق، نفس كل مخلوق، أي الجزء المكون للإنسان الذي يظهر بشكل أساسي للوعي الخيالي في شكل كائن أنثوي، نفس. هي الأنوثة الأبدية في الإنسان، ولهذا السبب فهي النموذج الأصلي للأرض السماوية؛ فهي الجنة والتأهيل إليها، لأنها هي التي تُظهر الأسماء والصفات الإلهية التي كُشِف عنها في الأشخاص الإلهيين، أي في سماوات لاهوت البليروما.

هنا يبدأ المرء في فهم عودة ظهور موضوع المعرفة البدائية للشيعة، وبشكل أدق المعرفة الإسماعيلية، حيث يُطلق على فاطمة اسم فاطمة فاطر، فاطمة الخالق *(بصيغة المذكر)*. في الواقع، يشير هذا إلى أنه يمكننا أن ندرك، على مستوى عالٍ

من الرنين، معنى الاسم الذي يطلقه أتباع الديانة المقدسة اليوم على حضرة فاطمة. في فاطمة يهللون لـ "ملكة النساء". لكن في هذا السياق، يشير ذلك إلى أننا نبحث عن معناه أبعد بكثير من التمايز الجنسي الذي هو حالة البشرية الأرضية، وهو معنى يتعين علينا ترجمته بشيء مثل "سيادة البشرية الأنثوية" أو "البشرية في الجانب الأنثوي". في الواقع، علينا أن نأخذ كلمة "أنثوي" بمعنى، في المقام الأول، مجمل كائنات عوالم الممكن! لقد خُلقت جميع المخلوقات من النفس نفسها، من أنيما الأئمة الأطهار؛ فهي تنبثق من "الجانب الأيسر" للأخير، كما خُلقت حواء، أنيما آدم، من جانبه الأيسر، كما يتكون نور الشمس من الشكل الظاهر وصفات الشمس.

بما أن جميع المخلوقات تتكون من نفسهم، فإن الوضع الأنطولوجي لعالم المخلوقات بالنسبة للأئمة الأطهار كقوى كونية هو وضع أنثوي. وبهذا المعنى، فإن الأئمة الاثني عشر هم "رجال الله" المشار إليهم في بعض آيات القرآن. لكن في الوقت نفسه، فإن الأئمة الذين يدشنون على الأرض دورة التأهيل في المعنى الخفي للوحي، قد خُلقوا من نفس النبي، أو بالأحرى هم روح النبي. وقد أشير إلى ذلك عدة مرات في القرآن، كما في الآية التالية على سبيل المثال: "جعل لكم من أنفسكم أزواجاً" (16: 74 و30: 20). وبهذا المعنى، فإن الأئمة هم "عرائس" النبي. وعلاوة على ذلك، بما أن التأهيل ليس إلا الولادة الروحية للاتباع، فعند الحديث عن "أم المؤمنين" بالمعنى الحقيقي، يجب أن نفهم أن المعنى الحقيقي والباطني لكلمة "أم" يشير إلى الأئمة. في الواقع، يتم هذا الميلاد الروحي من خلالهم، ويشير قول النبي التالي إلى هذا: "أنا والجميع آباء وأمهات هذه الأمة".

وهكذا فإن الأئمة الاثني عشر، باعتبارهم أدوات وأسباب فعالة للخلق، هم من جهة "رجال الله"، وذكوريون. لكن من ناحية أخرى، وفي الوقت نفسه، هم نفس النبي، أي الأنيما، أو الجانب الأنثوي من النبي الذي من خلاله تتم عملية التأهيل،

أي الخلق الروحي. نحن نعلم الآن بالفعل أن الرتبة الوجودية للنفس وحقيقة النفس هما نفس رتبة وحقيقة فاطمة صوفيا. الأئمة ذكوريون كعوامل لتكوين الكون، لأن الخلق هو نفوسهم؛ وبصفتهم مؤلفين للخلق الروحي فهم أنثويون، لأنهم النفس ولأن النفس هي فاطمة. ولهذا السبب نقرأ أن فاطمة هي التجلي الإله الأعلى، ولهذا السبب فإن الوظيفة الإلهية والتأسيسية للأئمة الأطهار هي بالضبط درجة وجودهم "الفاطمي" (فاطيتهم، والتي نترجمها بأمانة على أنها "صوفيانية")، وهكذا أصبحت فاطمة تسمى فاطمة فاطر، فاطمة الخالقة.

ترمز وظائفها مع بعضها البعض، من عالم إلى آخر: في لاهوت البليروما، باعتبارها الأرض السماوية التي هي أساسها؛ وعلى الأرض الأرضية، باعتبارها ابنة ونفس النبي، وباعتبارها التي ينحدر منها أولئك الذين هم بدورهم نفس النبي، أي سلالة الأئمة الاثني عشر. هي التجلي الإلهي وهي الولاية؛ هي مجمع النورين، التقاء النورين، نور النبوة ونور الولاية. من خلالها، كان الخلق، منذ البداية، ذا طبيعة صوفيانية، ومن خلالها تم تزويد الأئمة بالصوفيانية التي ينقلونها إلى أتباعهم، لأنها نفسه. من هذا البليروما البليغ يمكننا تمييز الصوت الأساسي الناشئ من الأعماق: أي ذلك الذي صاغته فلسفة مازدا في فكرة "سبيندور ماتيك"، وهي الفلسفة التي منحتها سبنتا أرميتي، ملاك الأرض الأنثوي، للمؤمن المؤمن.

ومع ذلك، على عكس ما وجدناه في "حكمة الإشراق" للسهروردي، لم يتم ذكر اسم سبنتا أرميتي في المقاطع التي قمنا بتحليلها والتعليق عليها للتو. ومع ذلك، إذا كان إدراكنا التناغمي يجعل من الممكن التمييز بشكل تلقائي بين الوتر الناتج عن الأرض المازدية المتحولة بنور المجد والأرض السماوية المتحولة في شخص فاطمة صوفيا، فسيتم تأكيد هذا التوافق بطريقة أخرى.

لقد تم توضيح ذلك سابقًا (الفصل1، الفقرة 4) كيف تتشكل الصلة بين سبيندارمات، ملاك الأرض، وشخص

السوشيانت، المنقذين الذين من المقرر أن يقوم آخرهم بتنفيذ ما يسمى في علم الأخرويات الزرادشتي بتحويل العالم وتجديده (فراشكارت): أبوكاتاستاسيس، أو إعادة كل الأشياء إلى مجدها البدائي وكمالها، إلى الحالة التي كانت عليها حتى غزو القوى المضادة الأهريمانية. لسوء الحظ، لا يمكننا هنا محاولة وضع مخطط مقارن يتبع من القياس الذي اقترحته، من ناحية، العلاقة بين محمد، وفاطمة، والإمام الخفي - الذي سيكون مجيئه الثاني أيضًا مقدمة للنهاية المطلقة -

ومن ناحية أخرى، العلاقة بين زرادشت، ووالدة آخر سوشيانت، وآخر سوشيانت شخصيًا.

لكن ما يجب الإشارة إليه هو أنه في الأدبيات الضخمة التي لا تزال تُنتج حتى اليوم في إيران الشرقية، حول المصادر التقليدية التي تتناول الإمام الخفي، توجد إشارات وفيرة تُظهر أن بعض اللاهوتيين الشرقيين لديهم معرفة مباشرة بالعهد القديم والعهد الجديد من الكتاب المقدس، وكذلك علم الأخرويات الزرادشتي. في القرن السابع عشر، عندما كان قطب الدين أشكيفاري، أحد أبرز تلاميذ السيد داماد (كبير علماء اللاهوت في مدرسة أصفهان)، يكتب تاريخه الروحي في ثلاث دورات (الحكماء والأنبياء القدماء، وشخصيات الإسلام السني، وصور الإسلام الشيعي)، أكد على تطابق السمات التي تميز شخصية السوشيانت الزرادشتي، والصفات وفقًا للعقيدة الشرية لشخصية الإمام الثاني عشر، أو الإمام الخفي.

كما نجد مقاطع من هذا النوع في عمل فارسي آخر لنفس الشيخ البارز، محمد كريم خان كرماني، الذي استفدنا من تعاليمه للتو. إننا نفكر بشكل خاص في الصفحات التي يشير فيها الشيخ إلى إحدى حالات النشوة عند زرادشت، والتي خلالها يعطي أهورامزدا نبيه رؤية شجرة ذات سبعة فروع، امتد ظلها إلى كل مكان على الأرض. كانت فروع الشجرة السبعة مصنوعة من الذهب والفضة والنحاس والبرونز والرصاص والفولاذ والحديد على التوالي. يشرح أهورامزدا لزرادشت معنى كل فرع: كل فرع (كما في رؤيا دانيال) يرمز إلى إحدى الإمبراطوريات العظيمة.

مع الفرع السابع، أي الفترة السابعة، التي بدأها عهد العباسيين (الذين يرمز إليهم بلونهم الأسود)، تتوالى الكوارث بسرعة، ومن بينها الانحدار السريع للمغول. لكن أهورامزدا يواسي زرادشت بإعلانه عن قدوم البطل الأخروي، بهرام فارجافاند، الذي سيأتي من الشرق، من آسيا الوسطى. تحدد بعض التقاليد أنه سيأتي من "مدينة العذارى" (شهرِ دختر)، والتي تقع في اتجاه التبت (انظر أعلاه، الفصل 1، رقم 126). اسمه يحدد شخصيته: بهرام هو الاسم الفارسي لكوكب المريخ (وقد رأينا بالفعل أنه في سماوات لاهوت البليروما، فإن نظير سماء المريخ هو سماءالإمام الثاني عشر)؛ فارجافاند يعني من يمتلك قوة وسيادة نور المجد، كسفارناه. *11* إن مساواة البطل الأخروي الزرادشتي بشخصية الإمام الخفي، الذي ينبثق ظهوره كعلامة على القيامة، يعود، كما ذكرنا للتو، إلى علماء اللاهوت الشيعي الأوائل.

لكن يمكن إجراء مصادقات أخرى. إن البطل الزرادشتي والإمام العائد كلاهما لا يملكان فقط رفاقاً في السلاح ممن يخوضون، في فترة أو أخرى، معركة الروح التي تقرب مستقبل حكمهم، بل أيضاً أولئك الذين، محفوظين في سبات غامض، ينتظرون النهوض معهم عندما يحين الوقت، وجميع أولئك من الماضي الذين "سيعودون" للمعركة النهائية. فعلى سبيل المثال، بالنسبة للزرادشتيين، هناك بيشوتون، أحد أبناء الملك فيشتاسبا الذي حمى زرادشت وشجع دعوته، وبالنسبة للشيعى، هو أول إمام شخصيًا. هذان شخصيتان عظيمتان من "الفرسان الروحيين" (جافانماردان) الذين يبرر دورهم الأخروي المتطابق التماثل الذي اقترحه شيخنا.

ومع ذلك، دعونا نؤكد على حقيقة أن مؤلفينا لا يفكرون من حيث "التيارات التاريخية" أو "التأثيرات"، ولكن في شكل دورات، مع الأخذ في الاعتبار كلاً من مخطط الأكوان التي ترمز إلى بعضها البعض ومخطط فترات التاريخ الروحي. وبالتالي، لا يتعين اختزال الأشكال المتجانسة إلى نفس الوقت المتجانس؛ كل منها له وقته

الخاص. ولهذا السبب تحديداً تُعتبر هذه الشخصيات نماذج نمطية، ولهذا السبب يمكن مقارنتها ببعضها البعض بشكل صحيح، ولهذا السبب لكل شخصية نظير لها في كل دورة. إن جعل السوشيانت مماثلاً للإمام الخفي ليس، كما نميل بلا شك إلى جعله، مسألة وزن التأثيرات في الإشارة إلى التيارات، أي في تفكيك الآلية الكاملة للتاريخ الخارجي من أجل "شرح" هويته من خلال إعادته إلى مستوى واحد. على العكس من ذلك، لأن طريقة التفكير هذه في الدورات تتطلب نوعًا من الإدراك التوافقي؛ أو مرة أخرى، إدراك بنية ثابتة، تمامًا كما يمكن إنتاج اللحن نفسه في سجلات مختلفة. في كل مرة تكون العناصر اللحنية مختلفة، لكن البنية تبقى نفسها - نفس اللحن، نفس الشكل الموسيقي، نفس البنية الكلية.

ولهذا السبب فإن التطور الذي يتيحه لنا هذا النمط من التفكير ليس تطوراً خطياً أفقياً، بل هو صعود من دورة إلى أخرى، من أوكتاف واحد إلى أوكتاف أعلى. توضح بعض الصفحات من نفس الشيخ، والتي تمت ترجمتها هنا (الجزء الثاني، المادة العاشرة، الفقرة 2)، هذا الأمر. إن التاريخ الروحي للبشرية منذ آدم هو دورة النبوءة التي تتبع دورة نشأة الكون؛ ولكن على الرغم من أن الأولى تتبع الثانية، إلا أنها في طبيعة الارتداد والعودة والصعود إلى البليروما. هذا له نكهة غنوصية، بالتأكيد، ولكن هذا هو بالضبط ما يعنيه "رؤية الأشياء في هورقليا". وهذا يعني رؤية الإنسان وعالمه بشكل أساسي في اتجاه عمودي. إن الأصل الشرقي، الذي يوجه ويجذب العودة والصعود، هو القطب السماوي، الشمال الكوني، "الصخرة الزمردية" على قمة جبل قاف الكوني، في المكان الذي يبدأ فيه عالم هورقليا؛ لذلك فهي ليست منطقة تقع في الشرق على الخرائط، ولا حتى تلك الخرائط القديمة التي تضع الشرق في الأعلى، بدلاً من الشمال. إن معنى الإنسان ومعنى عالمه يُمنح لهما من خلال هذا البعد القطبي 11 وليس من خلال تطور خطي وأفقي وأحادي البعد، ذلك "الشعور بالتاريخ" الشهير الذي أصبح في الوقت الحاضر أمراً مفروغاً منه، على الرغم من أن شروط المرجعية التي يستند إليها تظل افتراضية تماماً.

علاوة على ذلك، فإن جنة فيرنا التي تُحفظ

فيها أجمل الكائنات التي ستعيد تعمير عالم متغير، أي فَر التي تحفظ بذور أجساد القيامة، تقع في الشمال. إن أرض النور، أو الأرض اللامعة في المانوية، مثل تلك الموجودة في الماندية، تقع أيضًا في اتجاه الشمال الكوني. وبالمثل، وفقًا للمتصوف عبد الكريم جلي (انظر الجزء الثاني، المادة (الرابع) "أرض النفوس" هي منطقة في أقصى الشمال، وهي المنطقة الوحيدة التي لم تتأثر بعواقب سقوط آدم. إنها موطن "رجال الغيب"، الذين يحكمهم النبي الغامض خضر. ومن سماتها المميزة أن ضوءها يشبه ضوء "شمس منتصف الليل"، إذ لا تُقام فيها صلاة العشاء، ويشرق الفجر قبل غروب الشمس. وهنا قد يكون من المفيد النظر إلى جميع الرموز التي تتقارب نحو جنة الشمال، وأرض النور الخاصة بالنفوس، وقلعة الكأس المقدسة.

والآن يجب علينا أن نحاول فهم كيف تتكشف نصوصنا لتظهر لنا أرض النور هذه باعتبارها أرض الرؤى والأرض التي من خلالها تتم قيامة الأجساد أو، بتعبير أدق، ظهور "الأجساد الروحية". لكن فيما يتعلق بهذا العالم، الذي وصف لنا بأنه عالم الصور المثالية وعالم النفس، كان علينا أن نكوّن فكرة عمن هي نفسه. من خلال إرشادنا إلى الأوكتاف الأعلى، إلى لاهوت البليروما، أظهرت لنا فلسفة الشيخ كيف أن فاطمة-صوفيا هي الأرض السماوية العليا، لأنها النفس، أو الأنيما، أو الشكل المتجلي للبليروما العليا.

بينما يساعدنا مؤلفونا تدريجياً على الدخول في "المناخ الثامن"، سنتعلم أيضاً كيف أن "النفس الجوهرية"

للمتبحر، أو "جسده الروحي"، هي أرض فردوسه. والآن، هذه الأرض، أرض هورقليا، هي المكان الذي يعيش فيه الإمام الخفي في الوقت الحاضر. وبالتالي، سنبدأ في رؤية الرابطة الصوفية للتجسيد التي تربط النفس وشخصية التابع الشيعي مع فاطمة- صوفيا، الأصل الرئيسي للإمام الثاني عشر، وتمنح التابع الوظيفة الصوفيانية لفاطمة. فكما سنتعلم، فإن المجيء الثاني أو ظهور الإمام الخفي ليس حدثًا خارجيًا مقدرًا له أن يظهر فجأة على التقويم الزمني المادي؛ بل هو كشف تدريجي يحدث عندما يقوم حاج النفس، الصاعد

نحو عالم هورقليا، بإحداث حدث الإمام المنتظر في نفسه. إن روحانية التشيع بأكملها مبنية على هذا، كما سيتضح لنا عند قراءة المقاطع الرائعة من كتابات الشيخ سركار آغا الواردة مترجمة في الجزء الثاني من هذا الكتاب والتي تم اختيارها بدقة لمساعدتنا على فهم سبب كون هورقليا هي أرض الرؤى وأرض القيامة.

2. "المناخ الثامن"

لقد حفظ لنا المؤرخ الطبري (القرن التاسع) بعضًا من أقدم المعلومات المتاحة حول منطقة غامضة، والتي يمكّننا وصفه من تحديدها على أنها "أرض المدن الزمردية". تقع هناك مدينتان - جابلقا وجابلسا 13 - والتي تضيف إليها التقاليد التي سندرسها هنا مدينة ثالثة، وهي هورقليا؛ ثم يُستخدم اسم هورقليا للإشارة إلى هذه البلاد الغامضة ككل. يؤسفني أنني لم أتمكن حتى الآن من تقديم أصل لغوي مُرضٍ لهذه الأسماء؛ وبغض النظر عن العديد من الفرضيات المعقولة، فسوف نلتزمً هنا ببساطة بالنطق التقليدي الذي لا يزال مستخدمًا حتى اليوم في الأوساط الروحية الإيرانية.

يخبرنا الطبري أن جابلقا وجابلسا مدينتان زمرديتان تقعان مباشرة خلف جبل قاف. ومثل تلك الموجودة في القدس السماوية، فإن أبعادها تعبر عن الرباعية، رمز الكمال والتمام. سطح كل منها مربع، ويبلغ طول أضلاعه اثني عشر ألف فرسخ. لا يعرف السكان بوجود آدمنا، ولا بإبليس، الخصم؛ ويتكون طعامهم حصراً من الخضراوات؛ ولا يحتاجون إلى ملابس، لأن إيمانهم بالله يجعلهم مثل الملائكة، مع أنهم ليسوا ملائكة. وبما أنهم لا يتم تمييزهم حسب الجنس، فليس لديهم رغبة في النسل.14 وأخيرًا، يأتيهم كل نورهم من جبل قاف، بينما المعادن الموجودة في تربتهم وجدران مدنهم (مثل تلك الموجودة في جنة فيرنا المثالية) تفرز نورها الخاص. هذا المؤشر يضعنا بالفعل على الطريق الصحيح لتحديد هوية الجبل والمدن الغامضة. يقال، في الواقع، أنه في هذا الجبل لا توجد شمس ولا قمر ولا

نجوم." نعلم الآن أنه في النظام البطلمي، من خصائص الفلك التاسع، الذي يشمل جميع الأفلاك السماوية وينقل إليها الحركة اليومية، أنها سماء بلا أبراج.15 علاوة على ذلك، تصف التقاليد جبل قاف تحديدًا بأنه الجبل المحيط بكوننا، والمكون بالكامل من الزمرد، والذي يعكس لون القبة السماوية الأخضر (الذي تبدو لنا زرقاء).16 أو أنه الصخرة (الصخرة

التي تشكل حجر الزاوية للقبة السماوية، والمتخيلة على أنها مكونة من الزمرد، وتعكس ضوءها على جبل قاف. ما تدركه النور الأخضر هنا هو، بالتالي، الجبل الكوني الذي يحيط بموطننا الأرضي ويطل عليه؛ وكان الجبل الكوني أيضًا هو ما يُنظر إليه على أنه يشمل الأفق المرئي لـ:إيران-فيج، في وسط العالم، في المكان الذي يمتد فيه جسر تشينفات من قمة عالية ليلتقي بهذا الجبل الكوني، الذي يقود صعوده النفس إلى عالم الأنوار اللانهائية.

يؤكد الجغرافي ياقوت صراحةً أن جبل قاف كان يُطلق عليه في السابق اسم البرز. 17 في الواقع، إنه نفس الجبل الذي يُعتبر "أم" جميع جبال العالم؛ فهي متصلة به عن طريق فروع وأوردة جوفية. وهو أيضاً الجبل الذي يصعده حجاج الروح

- كما في "سردية المنفى الغربي" للسهروردي، على سبيل المثال - للوصول إلى الصخرة الزمردية التي تلوح أمامهم مثل الجانب الشفاف لجبل سيناء الغامض. وهناك، كما هو الحال عند مدخل جسر تشينفات في الدراما المازدية للنفس، يحدث اللقاء مع الشخصية المثالية، الشخص السماوي الذي ينبثق منه "الأنا" الأرضية.18 لذلك، يمثل جبل قاف الحد الفاصل بين عالمين، أحدهما مرئي والآخر غير مرئي للحواس. ولكي يتمكن الحاج الصوفي من التوغل في المدن المخفية على الجانب الآخر، كان عليه أن يتجاوز حدود الحواس والأعراف الشائعة، وأن يواجه المحن التي ترمز إليها الرحلة الطويلة في الظلام عبر المسافات التي تفصله عن أرض المدن الزمردية.19

وبالطبع، بقدر ما أن جبل قاف لا يعطي اسمه إلا لجبل البرز القديم، فقد تم إسقاط صورته البدائية

أيضًا على مساحات الجغرافيا التجريبية (القوقاز وسفوحه على الأراضي الإيرانية)، والتي تصبح بعد ذلك مسرحًا للأحداث الأسطورية. من ناحية أخرى، باعتبارها صورة بدائية، فإنها دائماً ما تشير إلى أقصى حدود العالم، وهي غير متاحة للبشر. للوصول إلى هناك، كان من الضروري السير لمدة أربعة أشهر "في الظلام"؛ ولهذا السبب فإن تقدم الإسكندر عبر منطقة الظلام هو تقدم البطل الروحي النموذجي، في "سردية حي بن يقظان" لابن سينا، وكذلك في تفسير سورة القرآن 18: 84، التي تصف كيف قادته رحلة الإسكندر إلى أقصى الغرب وأقصى الشرق من الكون. وما وراء ذلك، تبدأ منطقة تشمل العديد من المدن الأخرى (بلد أبيض كالفضة، طوله أربعون يوماً من السفر، يسكنه الملائكة؛ بلد آخر من الذهب، وسبعون بلداً من الفضة، وسبعة بلدان من المسك، كل منها رحلة عشرة آلاف يوم في الطول والعرض، إلخ).) . باختصار، إن اختراق هذه العوالم الأرضية يعني الوصول إلى المناخ الوسيط لـ "النفوس السماوية" التي تحرك الأفلاك والموهوبة بشكل أساسي بالخيال الخالص، ولا تعتمد على الحواس. إنه "المناخ الثامن"، الذي لا يخترقه المرء، كما هو الحال في إيران-فيج، بأعضاء الإدراك الحسي، ولكن من خلال المرور عبر "مصدر الحياة"، في المركز النفسي الكوني.

هنا نجد وجهتنا في إشارة موجزة إلى مخطط العالم الذي يتخذ شكلاً محدداً في علم الكونيات عند ابن سينا. يقسم هذا المخطط مجمل الوجود الذي يمكن تصوره إلى غرب كوني وشرق كوني. لقد ذكرنا بالفعل بدقة أن هذا الشرق الكوني لا ينبغي البحث عنه في الشرق على خرائطنا، بل في "البعد القطبي". في الواقع، هذا الشرق هو القطب السماوي، "مركز" كل اتجاه يمكن تصوره. ينبغي البحث عنها في اتجاه الشمال الكوني، أي "أرض النور". [20]

يمثل "الغرب" العالم المادي الحسي، وهو ذو شقين: هناك "مناخ" المادة الأرضية القمرية، أي مناخ أرضنا المادية، الخاضعة للتكوين والتحلل؛ وهناك "مناخ" المادة السماوية، أي مناخ الأجرام السماوية، المكونة من مادة أثيرية شفافة وغير قابلة للفساد، ولكنها مع ذلك مشتقة من المادة الفيزيائية. يبدأ "الشرق"

من مناخ النفس: عند القطب السماوي، عند "الصخرة الزمردية". هناك تشرق الشمس الروحية للحاج، ويكشف له هذا الفجر منظور كون جديد تمامًا، حيث تُصنف تباعًا النفوس التي تم استدعاؤها لحكم الأجساد البشرية لفترة من الوقت؛ ثم النفوس التي تتمثل مهمتها في إيصال حركة رغبتها وحبها إلى الأفلاك السماوية، والتي تسمى الملائكة السماوية *(Angeli coelestes)*؛ وأخيرًا، العقول النقية، التي هي، على التوالي، موضوعات هذا الحب وما يسمى الملائكة الروحية أو الكروبيم *(Angeli intellectuales)*. إن السمة المميزة التي تميز علم الكونيات عند ابن سينا عن علم الكونيات عند ابن رشد هي تحديداً أن الأول يتضمن في بنيته عالم النفوس السماوية، التي تشكلت على صورتها النفس البشرية، ولكنها، على عكسها، لا تمتلك أعضاء المعرفة الحسية. من ناحية أخرى، فهم يتمتعون بخيال نشط. بل إنهم يمتلكونها بدرجة نقية وكاملة لدرجة أن خيالهم، المستقل عن البيانات الحسية على عكس خيالنا، يكون صحيحاً تماماً ولا يضعف أبداً. لذلك، فإن التمثيلات التي قد تقوم بها الملائكة أو النفوس السماوية عن كونهم تتوافق مع حالة النفس البشرية عندما يصبح خيالها النشط، بعد تنقيته وتدريبه، هو أداة التأمل الخاصة بها.

إذن فإن ما تُظهره الننفس لنفسها، في هذه الحالة مرة أخرى، كما هو الحال في حالة صورة الأرض المازدية، هو صورتها الخاصة تحديداً: الأرض التي تُسقطها، أرض هورقليا، هي ظاهرة الأرض في حالتها النقية، لأنها تعكس مباشرة الصورة التي تعمدتها النفس. وبالتالي فإن الكون المتخيل على هذا النحو، الخالي من البيانات الحسية المضللة والزائلة، هو وظيفة للخيال المتعالي الخالص ويعتمد فقط على فئاته، والتي هي صور نموذجية مسبقة. ولهذا السبب يُطلق على هذا الكون اسم "العالم المثالي"، عالم الصور المثالية، عالم الأشكال الخيالية المستقلة، أو مرة أخرى، عالم التطابقات والرموز، أي عالم يرمز بالحسي الذي يسبقه، وبالمعقول الذي يقلده. إنه عالم مختلط، يتوسط بين الحسي والمعقول؛ إنه مركز العوالم، أو مرة أخرى "الشرق الوسيط"، بين "الشرق القريب"،

وهو النفس البشرية التي ترتفع إلى وعي بذاتها، و"الشرق البعيد" الروحي، الذي يتكون من نعيم العقول الكروبيمية. وهكذا، كما يصورها أتباعنا الروحانيون بطريقتهم الخاصة، فإنها تمثل هذه المملكة الوسيطة بين المادة الخالصة والروح الخالصة، وهي وسيط ضروري للتحقق من صحة الأحداث الرؤيوية، والدراما الكاملة التي تكون فيها النفس هي الموضوع والمشهد، وكل شيء لا تملك الإدراكات الحسية أي وسيلة للتحكم فيه أو إضعافه أو استكماله؛ كل شيء يعارضه شك الوعي العقلاني، كما هو الحال مع جميع الحالات الفردية الأساسية التي لا يمكن تصنيفها أو قياسها بالمعايير العادية.

لم يتم حتى الآن تحليل مقدمات هذا الكون الوسيط، هذا العالم المثالي، وغايته البنيوية إلا قليلاً.21 ومع ذلك، فإنه يؤدي وظيفة عضوية في مخطط العالم وفي التجربة الداخلية التي يشهد عليها تقليد روحي كامل، والتي اخترنا منها في إيران بالفعل لحظتين زمنيتين أساسيتين لغرضنا: في القرن الثاني عشر، إحياء فلسفة بلاد فارس القديمة (القائمة على علم الملائكة و، كسفارناه، نور المجد)، بقدر ما كان هذا عمل السهروردي؛ وأقرب إلينا، في نهاية القرن الثامن عشر، تلك المدرسة الروحية التي ولدت في بيئة إيرانية مثقفة، والتي كانت من عمل الشيخ أحمد أحسائي (توفي عام *1826*) وخلفائه، والتي تسمى عادةً بالمشيخية. لقد أوضحنا أعلاه علم الإمامة الأساسي الذي تنادي به هذه المدرسة، والذي يعيد تقييم المعرفة المعروفة بالفعل في الأوساط الباطنية للإمامة أو الإسلام الشيعي البدائي. لاحقاً، سيتعين علينا التأكيد مرة أخرى على موضوعها الأساسي الذي لا يقل أهمية، وهو الجسد الروحي. هذه المدرسة، التي لا تزال قائمة حتى اليوم في إيران (حيث يقع مركزها الرئيسي في كرمان) 22، يمكن أن تعطينا فكرة عما يمثله الإسلام الروحي الخالص في عصرنا الحديث.

إليكم الآن التعاليم التي قدمها لنا أحدهما والآخر. يكتب السهروردي: "عندما تتعلمون في رسائل الحكماء القدماء أن هناك عالماً ذا أبعاد وامتداد، بخلاف عالم العقول وبخلاف العالم الذي تحكمه نفوس الأفلاك، عالماً فيه مدن كثيرة لدرجة أنه يكاد يكون من المستحيل

حصر عددها، فلا تسارعوا إلى وصف هذا بالكذب؛ فقد يحدث أن يتأمل حجاج الروح هذا العالم ويجدون فيه كل ما يرغبون فيه". 23 لقد وصف المؤلف، وكذلك معلقوه المباشرون، في عدة مناسبات بوضوح تضاريسها المثالية.24 ويخبروننا أنه في حين أن العالم ذو الامتداد المدرك للحواس يشمل سبعة مناخات (الكيشوارات السبعة المذكورة سابقًا)، يوجد عالم آخر يشكل المناخ الثامن. كان الحكماء القدماء يشيرون إلى هذا العالم عندما أعلنوا أنه إلى جانب العالم الحسي يوجد عالم آخر له شكل وأبعاد تمتد في الفضاء، لكن شكل هذا العالم الآخر وأبعاده وامتداده لا تتطابق مع تلك التي ندركها في عالم الأجسام المادية، على الرغم من أن ما هو موجود في العالم الحسي له نظير هناك؛ فالمسألة ليست مسألة أبعاد حسية، بل مسألة أبعاد تخيلية نموذجية (مقادير مثالية).

إذن، لدينا هنا كون ثلاثي الأبعاد: كون معقول، وكون حسي، وبين الاثنين كون يصعب علينا في لغتنا إيجاد مصطلح مناسب له. إذا استخدمنا كلمة "متخيل"، فإننا نخاطر بالإيحاء بفكرة الاحتمالية والإمكانية. يجب إعطاء الكلمة كل قوة المصطلح التقني للدلالة على الشيء المناسب للإدراك الخيالي، كل ما يمكن إدراكه عن طريق الخيال، بنفس القدر من الواقعية والحقيقة التي يمكن للحواس إدراكها، أو ما يمكن للعقل فهمه. ربما يكون من الأسهل استخدام كلمة يتصور ، شريطة أن يرتبط المصطلح بكل من الذات التي تتخيل والصورة التي يتم تخيلها؛ علاوة على ذلك، فإن الأخيرة هي صورة هذه الذات؛ عالم المتصور هو عالم النفس الذي يتم تصويره بواسطة أداة النفس، وبالتالي يكشف لها عن صورته الخاصة. هذا هو التعليم الذي يردده جميع مؤلفينا بلا كلل.

إذن هذا كون يرمز إلى كل من المادة المادية، لأنه يمتلك شكلاً وأبعاداً وامتداداً، وإلى المادة المنفصلة أو المفهومة، لأنه مصنوع أساساً من الضوء (نوراني). إنها مادة غير مادية ومادية متجسدة غير مادية. إنه الحد الذي يفصل بينهما

وفي الوقت نفسه يوحدهما. ولهذا السبب في الثيوصوفيا التأملية لـ "الصوفية"، يُطلق على هذا الكون عادةً اسم برزخ (شاشة، حد، فاصل، عالم بيني). 25 وهناك، من بين عجائب أخرى، ثلاث مدن عظيمة، هي جابلقا وجابلسا، وهورقليا، يسكنها عدد لا يحصى من المخلوقات. وبفضل التماثل الذي يجعل العوالم الثلاثة ترمز إلى بعضها البعض، فإن عالم المتخيل أو الخيالي يقدم أيضًا تقسيمًا يتوافق مع الغرب المزدوج للعالم المادي؛ وهكذا فإن جابلقا وجابلسا يتوافقان مع العالم الأرضي للمادة الأولية، بينما يتوافق هورقليا مع سماوات العالم المادي. ومثلهم، ينقل هورقليا تدفقه إلى أرضه الخاصة، التي يمنحها أيضاً اسمه الخاص. لذلك يحتوي عالم هورقليا على كل من السماوات والأرض، ليس أرضًا وسماءً حسية، بل أرضًا وسماءً في حالة صور مثالية. وبالمثل، فإن أرض هورقليا تشمل أيضًا جميع الصور المثالية للكائنات الفردية والأشياء المادية الموجودة في العالم الحسي (لذا يطلب مؤلفونا عدم الخلط بين هذه الصور المثالية والأفكار الأفلاطونية التي، على الرغم من أنها تسمى بصيغة الجمع لنفس الكلمة، وهي "مثل"، إلا أنها معقولات خالصة). [26]

هذا المناخ الثامن، هذا العالم في الحالة الخفية، والذي يشمل درجات عديدة، والذي لا يمكن اختراقه بواسطة الحواس، هو المكان الحقيقي لجميع الأحداث النفسية الروحية (الرؤى، والكاريزما، والأفعال السحرية التي تخرق القوانين الفيزيائية للمكان والزمان)، والتي تعتبر ببساطة خيالية - أي غير حقيقية - طالما بقي المرء في المعضلة العقلانية التي تقتصر على الاختيار بين مصطلحي الثنائية المبتذلة، "المادة" أو "الروح"، والتي تتوافق مع المصطلح الآخر: "التاريخ" أو "الأسطورة".

بدوره، يصف الشيخ أحمد إحسائي بالتفصيل التضاريس المثالية لأرض هورقليا. . 27 يقول إنه يبدأ على السطح المحدب للكرة التاسعة - وهذه طريقة دقيقة ودقيقة للإشارة إلى أن هذه الأرض لم تعد موجودة في أبعاد فضائنا الكوني المادي، لأنه وراء سطح الكرة المحيطة التي، في النظام البطلمي للعالم، هي الحدود التي تحدد وتحدد اتجاهات الفضاء، كرة الكرة، لا يمكن أن يكون هناك

اتجاه أو توجيه آخر في الفضاء المادي. هناك انقطاع بين الفضاء الحسي والفضاء الخاص بعالم الصور النموذجي، وهو فضاء ثلاثي الأبعاد بالنسبة للأول.28 ولهذا السبب، فكما أن عالم البرزخ، فإن هذه الأرض الحدودية "تبدأ"، أي أن "أسفلها" عند حدود الصخرة الزمردية أو سيناء الغامضة، حجر الزاوية للقبة السماوية، "القطب" - بنفس الطريقة التي حدد بها الشيخ أحمد موقع هورقليا في "ذروة الزمان" (أعلى الزمان) وفي أدنى أو أول درجة من الأبدية (أسفل الظاهر، أو بالأحرى الأبدية). 29 وأخيراً، فهو عالم بيني، يحد ويربط بين الزمان والأبدية، والمكان والفضاء العابر، تماماً كما أن مادته غير المادية وأرضه السماوية هي أيضاً علامة على الاقتران العكسي،30 أي اقتران الحسي والمعقول في الفضاء النقي للصور المثالية.

يتجلى هذا الموضوع بشكلٍ بالغ الأهمية في عملٍ هامٍّ للشيخ سركار آغا، الزعيم الحالي للطائفة الشيخية، وهو شخصية روحية بارزة في إيران اليوم، والخامس في سلسلة النسب من الشيخ أحمد الاحسائي. وقد لفت انتباهنا هذا الفكر المحوري: أن تسلسل الوجود مُرتبٌ في سلسلة من الأكوان، تنتهي جميعها في نهاية المطاف في أرضنا الأرضية (خاك)،31 هذه الأرض التي تُشبه "المقبرة" التي أُودعت فيها الكائنات؛ ومن هذه المقبرة يجب أن تخرج وتُبعث. لكن هذا القيامة لا يمكن تصوره إلا إذا تم فهم "نزول" الأشكال الأبدية إلى هذه الأرض بمعناها الحقيقي. وكما أن الطبيعة النجمية للشمس لا "تنزل" من سمائها، فلا مجال للحديث عن التأصل أو "التدفق" أو التجسد المادي، وهي فكرة ترفضها الفلسفة "الشرقية" بشكل قاطع. 32 على العكس من ذلك، فإن فكرة الظهور تهيمن على طريقة إدراكها، ولهذا السبب يتم اقتراح المقارنة بـ "المرآة" علينا دائمًا. إن النفوس البشرية، لكونها أبدية، لا تختلط "شخصياً"، إذا جاز التعبير، مع عالم الأشياء المادية والعرضية، التي هي زائلة. إنها صورتهم الظلية، وصورتهم، وظلهم، الذي يُسقط عليها.33 لكل منهم نشاطه الخاص وكماله، وهما أثر وتدفق للنشاط الكوني والمطلق لنفس العالم.

ويقول الشيخ إن هذا هو ما يسمى "العالم"، ذلك النشاط النفسي المطلق الذي، إذا أخذناه على هذا النحو، يكون في نفس الوقت أدنى من النفس التي هو نشاطها، ولكنه أعلى من تلك الأمور الأرضية العرضية التي تدركها الحواس. العالم كنشاط نفسي مطلق هو برزخ، فترة زمنية. وبالتالي، فكما أن المادة المادية وشكل المرآة ليسا المادة ولا شكل الصورة المنعكسة والمدركة فيها، بل هما ببساطة المكان المميز الذي تتجلى فيه هذه الصورة، فإن المادة الحسية ليست سوى وسيلة (مركب)، أو بالأحرى مكان التجلي (مظهر)، للأشكال التي تنتجها الفعالية المطلقة للنفس. سيكون من أكبر الأخطاء اعتبار المرآة مكونة هنا جوهر وتماسك الصور التي تظهر فيها. قد لا تكون المرآة موجودة بعد الآن، فقد تكون مكسورة: أشكال النفس، لكونها ليست متأصلة في المرآة ولا متطابقة معها في الجوهر، تستمر في الوجود.

من أجل إدراك الصورة في حقيقتها المطلقة، أي متحررة ومنفصلة عن المرآة الحسية التي تنعكس فيها، فمن الضروري بلا شك امتلاك ما يسميه الشيخ "عين العالم الآخر" (العين البرزخية)، أي عضو رؤية هو نفسه جزء من النشاط المطلق للنفس، والذي يتوافق مع تصورنا الحقيقي. دعونا نؤكد إذن أن هذا لا يعني معرفة الأشياء كفكرة مجردة، كمفهوم فلسفي، ولكن كسمات فردية تمامًا لصورتها، التي تأملتها، أو بالأحرى سبق التفكير فيها، من قبل النفس، أي صورتها المثالية. ولهذا السبب يوجد في هذا العالم الوسيط سماوات وأراض، وحيوانات ونباتات ومعادن، ومدن وبلدات وغابات. وهذا يعني، في الواقع، أنَّه إذا كانت الأشياء المقابلة لكل هذه الأشياء مرئية ومشاهدة في هذا العالم، هنا على هذه الأرض الأرضية، فذلك لأن ما نسميه في النهاية بالطبيعة والفيزياء ليس إلا انعكاسًا لعالم النفس؛ فلا توجد فيزياء خالصة، بل دائمًا فيزياء نشاط نفسي محدد. لذا، فإن إدراك ذلك يعني رؤية عالم النفس، ورؤية كل الأشياء كما هي في أرض هورقليا، أرض المدن الزمردية، إنها رؤية زمردية، وهي قيامة وبعث عالم النفس. إن هذا الواقع الذي يمنحه الوعي العادي

للأشياء والأحداث المادية كما لو كانت حقائق مستقلة، يثبت في الواقع أنه الواقع الرؤيوي للنفس. 84

ولهذا السبب استطعنا أن نقول إن الأرض الغامضة لهورقليا تمثل، كما لو كانت، ظاهرة الأرض في حالتها المطلقة، أي متحررة من المظهر التجريبي المعروض للحواس، ومن ناحية أخرى، الظهور الحقيقي الذي استعاده الخيال المتعالي وحده. هنا توجد كل الحقائق في حالة الصور، وهذه الصور قبلية أو نموذجية؛ بمعنى آخر، هي نفسها، كما لو كانت، متأملة مسبقًا، في تأمل النفس التي هي عالمها، لأنه بما أنها العالم، أي النشاط الخاص بهذه النفس، فإنها "تعطي مقياس" هذه النفس، وتعبر عن بنيتها وطاقاتها. إن الاستيقاظ على وعي هورقليا يعلن عن نمط جديد من علاقة النفس بالمدى، بكل ما هو مادي ومكاني، وهي علاقة لا يمكن أن تكون علاقة محتوى مع وعاء. إن طريقة رؤية الأرض وطريقة رؤية النفس هما نفس الشيء تمامًا، الرؤية التي تدرك بها النفس نفسها؛ يمكن أن تكون هذه جنتها، ويمكن أن تكون جحيمها. إن "المناخ الثامن" هو مناخ النفس، وهذا ما ينقله إلينا ابن عربي (توفي عام *1240*) المتصوف العظيم في سرد أسطوري سأقدم هنا مقتطفات قليلة لافتة للنظر منه. ويقول: 35 من الطين الذي خُلق منه آدم، أو بالأحرى من خميرة هذا الطين، بقي فائض. ومن هذا الفائض تم خلق الأرض التي يمكن ترجمة اسمها العربي (الأرض:

الحقيقة) على أنها "أرض الحقيقة الحقيقية" و "أرض الحقيقة الحقيقية". إنها أرض هائلة، تشمل في حد ذاتها السماوات والأرضيات، والجنة والجحيم. عدد كبير من الأشياء التي ثبت بشكل عقلاني وصحيح استحالة وجودها في عالمنا، ومع ذلك فهي موجودة بلا شك في تلك الأرض - البراري التي لا يملّ المتصوفون الصوفيون من التمتع بمشاهدتها. وهنا تكمن النقطة: في جميع أكوان هذه الأرض الحق، خلق الله لكل نفس كونًا مطابقًا لتلك النفس. عندما يتأمل المتصوف هذا الكون، فإنه يتأمل نفسه (نفسه، أنيما).

وهكذا، فإن صورة الأرض هي بالفعل هنا صورة النفس نفسها، الصورة التي من خلالها تتأمل النفس نفسها، وطاقاتها وقواها، وآمالها ومخاوفها. ولهذا السبب فإن أرض الحقيقة هذه هي المكان الذي توجد فيه جميع الصور التي تسقطها النفس على أفقها وتكشف لها عن وجود حالة أو أخرى من حالاتها. لا يمكن للاعتراضات العقلانية

أو العقلانية أن تتغلب عليها. إن أرض الحقيقة هذه هي أرض ازدهار الرموز التي يعجز العقل العقلاني عن اختراقها، معتقدًا كما يفعل عادةً أنه في "شرح" الرمز، يكون قد جعله يختفي بجعله زائدًا عن الحاجة. لا، في هذه الأرض من الحقيقة المطلقة، يوجد الكون المسحور للنفس بأكمله لأن النفس هناك "في موطنها" ولأن صورها المثالية أصبحت شفافة بالنسبة لها، وفي الوقت نفسه تظل ضرورية لها تحديدًا حتى تظهر جودتها الباطنية.

بدون هذه الصور، لن تتمكن النفس من تحقيق هذه الطقوس ولا هذه الأيقونات والدراما التي يكمن مكان تحقيقها الحقيقي تحديداً في أرض هورقليا. ولهذا السبب أيضًا فإن هذه الأرض هي مكان التلاوات الرؤيوية، والصلاة في حوار؛ فهي ليست، كما يقول ابن عربي، مكان الفناء الصوفي، أو هاوية اللاهوت السلبي، بل هي مكان التجليات الإلهية (تجليات إلهية)، التي لا تدمر النفس ولا تنتزعها من رؤية ذاتها، بل على العكس من ذلك تساعدها على أن تكون في النهاية مع ذاتها وفي ذاتها. كل شكل تتجسد فيه هذه الرؤى، وكذلك كل شكل يرى فيه الإنسان نفسه في الأحلام أو في الحالة الوسيطة بين اليقظة والنوم، أو في حالة التأمل النشط التي هي حالة يقظة بينما الحواس نائمة - كل هذا ينتمي إلى جسد هذه الأرض من الحقيقة. لأنه لا يدخل المرء في ذلك بأجسام من مادة خشنة. يجب على المتمرس أن يعلم أنه إذا رأى هناك بعينيه كياناً روحياً، فذلك لأنه أصبح مؤهلاً لارتداء أحد تلك الأشكال التي تتخذها الملائكة عندما تجعل نفسها مرئية للإدراك غير الحسي. [36]

أصبحنا الآن قادرين على فهم الأهمية الكاملة للصيغ الموجزة والملفتة للنظر التي يلخص فيها عالم اللاهوت والفيلسوف العظيم، محسن فيض، وهو إمام إيراني من القرن السابع عشر،

2. أرض هورقليا الغامضة

كل ما هو ضروري معرفته عن أرض هورقليا، المناخ الثامن، عالم الصور المثالية: "هذا العالم الوسيط،" كما يقول، "يحتل في العالم الكبير نفس رتبة الخيال في العالم الصغير". ولهذا السبب "إنه العالم الذي تتجسد فيه الأرواح، وتتحول فيه الأجساد إلى أرواح". 37 يمكن القول إن كل وظيفة هي سبب للأخرى. لا يمكن الوصول إلى العالم الوسيط إلا من خلال الخيال النشط، الذي هو في الوقت نفسه مؤسس عالمه الخاص ومحول البيانات الحسية إلى رموز. من خلال هذا التحول بالذات، تحدث عملية إحياء للأجسام المادية إلى أجسام صغيرة أو روحية. إن أرض هورقليا هذه، التي يغذيها تأمل المتمرس بجوهره الخاص، هي في الوقت نفسه الأرض التي يستخرج منها تأمله ويطور منها العناصر الدقيقة لجسد قيامته. ولهذا السبب يمكن تعريف الأرض الغامضة لهورقليا، أرض المدن الزمردية، بأنها أرض الرؤى وأرض القيامة.

3. 3. هورقليا، أرض الرؤى

ولتوضيح هذا الجانب الأول، يمكننا هنا جمع العديد من البيانات التجريبية التي يمكن استخلاصها من أعمال أتباعنا الروحانيين. وبما أننا يجب أن نحصر أنفسنا، فسوف نختار ثلاث حالات فقط: إحداها تُعرض كحالة شخصية، والأخرى تشير إلى حالة مثالية، والثالثة تقدم تعليمًا روحيًا كاملاً. المثالان الأولان مأخوذان من عمل أستاذ الإشراق، السهروردي؛ أما المثال الثالث فينتمي إلى تعاليم الشيخية.

يروي السهروردي في أحد كتبه 38 كيف أنه خلال فترة من الإرهاق الشديد والمحنة الروحية الناجمة عن التأمل في مشكلة المعرفة، التي لم يتمكن من حلها حتى ذلك الحين، في إحدى الليالي، بينما كان لا يزال في حالة وسيطة بين اليقظة والنوم، شعر بالارتياح لظهور إمام الفلاسفة، المعلم الأول، أرسطو. تم وصف جمال وضوء الرؤية الرقيق بعناية؛ ثم يروي المؤلف ما كان في الواقع حوارًا طويلًا، يستحضر موضوعات عقائدية رفيعة واحدة تلو الأخرى. وفي موضع آخر، يشير إلى هذه المحادثة التي لا تُنسى، ويتحدث عنها كحدث وقع في

المحطة الصوفية لـ جابلسا .40. هذه طريقة دقيقة ودقيقة لتحديد تماسك الحدث النفسي الروحي الخالص باعتباره اختراقًا لإحدى المدن الزمردية. وبالتحديد، فإن أول نصيحة قدمها ظهور أرسطو لرؤياه،

من أجل تحريره من المشكلة التي كانت تؤرقه، والتي لم يجد لها راحة في كتب الفلسفة، هي هذه: "استيقظ على نفسك". لأنه مع هذا "الاستيقاظ للذات" تتوسع التجربة الداخلية الكاملة للإشراق، أي تجربة شروق النور، النور في شرقه. عندما تستيقظ النفس على ذاتها، تصبح هي نفسها هذا الفجر المشرق، وهي نفسها جوهر نور الشرق. لم تعد "الأراضي" التي تضيئها، بالنسبة لها، مجرد مجموعة من الأماكن والأشياء الخارجية، التي لا يمكن معرفتها إلا من خلال العلم الوصفي (علم رسمي)؛ بل هي، بالنسبة للنفس، حضورها لذاتها، ونشاطها المطلق، الذي تعرفه من خلال "العلم الحاضر" (علم حضوري)، أي من خلال "المعرفة الشرقية" (علم إشراقي) التي يمكن وصفها بأنها معرفة الصباح. وحتى يومنا هذا، حافظت إيران على هذا التقليد.

هرمس هو البطل المثالي لمعرفة هذا الصباح. هذه هي البيانات التجريبية الثانية المستعارة أيضاً من أعمال السهروردي. كما يمكن للمرء أن يقتنع بسهولة، فإن شخصية هرمس موجودة كبديل لشخصية المؤلف لإضفاء طابع موضوعي على الحدث الشخصي. إنها دراما نشوة، ووصفها مذهل: 41 "في إحدى الليالي عندما كانت الشمس مشرقة، كان هرمس يصلي في معبد النور. عندما انبثق عمود الفجر، رأى الأرض تُبتلع بالمدن التي حل عليها الغضب الإلهي، وسقطت في الهاوية. ثم صرخ قائلاً: "يا أبي، أنقذني من أن أُسجن مع أولئك الذين هم على وشك الهلاك!" وسمع صوتاً يصيح رداً على ذلك: "امسك بحبل إشعاعنا واصعد إلى أسوار العرش". فصعد، وتحت قدميه، ها هي، الأرض والسماء.

لقد كرس معلقو السهروردي أنفسهم لفك رموز معنى هذه الحادثة؛42 ويبدو أنه يمكن تفسيرها بوضوح دون صعوبة كبيرة. تشكل هذه الحلقة حالة من حالات الصعود "الداخلي" السماوي، كما ورد في السير الذاتية الرؤيوية، مثل سيرة زرادشت 43 وكذلك حالة

نبي الإسلام خلال ليلة الإسراء والمعراج، 44 وهذه الحالات هي التي ساهمت في الحاجة، وخاصة في المذهب الشيخي، إلى عقيدة "الجسد الروحي".

لنختر السمات الرئيسية التي تعطي الحدث معناه بالنسبة لبحثنا. هناك الأرض، التي تغمرها مدنها: إنها الأرض الأرضية مع ملكات الإدراك الحسي التي تدركها؛ تسقط وتختفي عند الفجر، أي في أول وميض لرؤية النشوة. ثم يتكون الذكر من أرض وسماء، والتي يمتلكها هرمس بعد ذلك تحت قدميه. ومن ثم، فإن هرمس موجود بالفعل على أرض هورقليا، مما يعني أنه ترك تحته كل سماوات الكون المادي، "الغرب السماوي" للعالم المادي. ثم إن تزامن الأحداث له دلالة في حد ذاته، مما يؤكد ما لاحظناه في الحدث الذي يجري في جابلسا؛ هناك تزامن بين بزوغ الفجر والاستيقاظ على الذات. لأن هذه الشمس التي كان هرمس يصلي بالقرب منها ليلاً، هي نفسه التي، عند نهوضها إلى ذاتها، تدع الحقائق التجريبية المفروضة عليه من خلال إقامته الأرضية تغرق مرة أخرى في ظلامها: هذه الشمس هي "شمس منتصف الليل" أو "الشفق القطبي" للروح. لكن في لحظة انبلاج هذا الفجر، يلوح في الأفق خطرٌ عظيمٌ يدفع هرمس إلى اللجوء إلى ملاذه الأسمى طلبًا للمساعدة: الأنا السماوية التي ينبثق منها، وإليها يعود، والتي يمكن فهمها هنا، وفقًا لفلسفة الإشراق، باعتبارها "الطبيعة الكاملة"، أو "الأنا" المثالية، أو الملاك الحارس للفيلسوف ("فراڤارتي")، وكذلك ملاك البشرية، الذي هو العقل النشط، والملاك جبريل أو الروح القدس الذي تنبثق منه نفوس البشر.45 إن بزوغ الفجر والاستيقاظ على الذات، والتوغل في أرض هورقليا، ولقاء الأنا السماوية الأخرى، هي جوانب متكاملة لنفس الحدث الذي يُعلن تحوّل النفس، وولادتها في العالم الوسيط. لا شك أن الأمر سيتطلب كتاباً كاملاً لاستنفاد جميع التلميحات والمعاني التي تنطوي عليها هذه الدراما المتعلقة بالنشوة. على أي حال، يسمح لنا ذلك بفهم البيانات التجريبية التي استندت إليها جهود علماء اللاهوت "الشرقيين" (الإشراقي) أو "المتصوفة أو الثيوصوفيون " لتأسيس هذا العالم الوسيط من الخيال في استقلاليته وواقعه السامي،

والذي تم تفسيره بشكل خاطئ تمامًا من خلال عادات العقلانية والإيجابية، التي تحدده ببساطة على أنه غير واقعي.

من ناحية أخرى، سعت كتبنا الروحية جاهدة لتحديد وضعها الوجودي. كان لا بد من الاعتراف بأن أشكال وشخصيات العالم "الخيالي" لا توجد مثل الحقائق التجريبية للعالم المادي، وإلا لكان من الممكن لأي شخص أن يدركها. كما تبين أنه لا يمكنهم البقاء في العالم المعقول الخالص، لأن لديهم امتدادًا وأبعادًا، ومادية "غير مادية" بلا شك بالنسبة للعالم الحسي، ولكنها لا تزال جسدية ومكانية بشكل صحيح. وللسبب نفسه، لا يمكنهم الاعتماد على أفكارنا وحدها كركيزة أساسية. ومع ذلك، فهم لا ينتمون إلى عالم غير الواقع، أو الفراغ، وإلا لما استطعنا إدراكهم أو تكوين أي رأي عنهم. وهكذا بدا وجود عالم وسيط العالم الخيالي المثالي ضروريًا من الناحية الميتافيزيقية. ويعتمد عليه بنفس القدر: صحة الروايات الرؤيوية التي تدرك وتروي "الأحداث في السماء"، وصحة الأحلام، والتجليات الإلهية والطقوس الرمزية، وحقيقة الأماكن التي تشكلت من خلال التأمل العميق، وحقيقة الرؤى الخيالية الملهمة، والعلاقات الكونية والثيوجونية، وأصالة المعنى الروحي الذي يمكن فك شفرته في ظل البيانات الخيالية للوحي النبوي، وهكذا - باختصار - كل ما يتجاوز نظام الإدراك التجريبي المشترك ويتفرد في رؤية شخصية، لا يمكن إثباته بمجرد اللجوء إلى معايير المعرفة الحسية أو الفهم العقلاني. 46

لذلك، ولعدم القدرة على إسناد حالة المواد الفيزيائية الدائمة في الفضاء الحسي أو تواجد الحوادث الحسية في أساسها إلى هذه الحقائق التي تُعتبر أحداثًا نفسية روحية، فقد تم التوصل إلى تصور نمط وجود مُصاغ على أنه نمط "الوجود في حالة تعليق" (المثل المطلقة)، أي نمط وجود تكون فيه الصورة أو الشكل، باعتبارها "مادتها" الخاصة، مستقلة عن أساس تكون فيه حاضرة بطريقة العرض (مثل اللون الأسود، على سبيل المثال، الذي يوجد من خلال الجسم الأسود الذي يكون حاضرًا فيه). لنتخيل شكل تمثال في حالته النقية،

متحرراً من الرخام أو الخشب أو البرونز. ولهذا السبب نعود دائمًا إلى الوضع الشبحي الذي يتمثل في بقاء الصور "في حالة ترقب" في المرآة. وقد تم تعميم هذا في مذهب الأماكن والأشكال الظاهرة (المظاهر)، وهو أحد الجوانب المميزة لحكمة الإشراق للسهروردي. إن الخيال النشط (التخيل) هو المرآة بامتياز، والمكان المتألق (المظهر) لصور العالم النموذجي. ولهذا السبب فإن إدراكاتها حقيقية تماماً مثل إدراكات الحواس.

إنها حقيقية حتى بدرجة أكبر، لأن الخيالات الحسية التي تتجلى هناك تعلن عن تحول هذه الأخيرة. لم تعد الأشكال والشخصيات والمناظر الطبيعية والنباتات والحيوانات التي تظهر فيها تخضع لقوانين الكثافة الدائمة ولا لشروط إدراك العالم الحسي. وهكذا، ففي هورقليا، على سبيل المثال، استطاع فيثاغورس أن يدرك لحن الأفلاك، الموسيقى الكونية، أي خارج جسده المادي ودون حواسه.47 لذلك، من الضروري تصور وجود أصوات، على سبيل المثال، يمكن إدراكها تمامًا بالخيال النشط، وهي غير مشروطة باهتزازات الهواء؛ بل تشكل الصورة الأصلية للصوت.48 باختصار، هناك عالم كامل من التطابقات في صورة العالم المادي (الذي يمتلك شكلاً ولونًا وامتدادًا ورائحةً ورنينًا) لا يعتمد على الفيزياء البحتة،49 أو بالأحرى، يفترض دمج الفيزياء في حد ذاتها في النشاط النفسي الروحي، وتلاقيهما في عالم وسيط يتجاوز ثنائية المادة والروح، والحواس والعقل.

إن التحول الذي يرتقي برؤيتنا ويضعها على مستوى يظهر منه كل ما كان يُقدم للوعي العادي كشيء أو حدث مادي بحت، من ذلك الحين فصاعدًا في اقترانه الجوهري بالنشاط النفسي الروحي الذي يشترط إدراكه - هذا التحول هو "أن تكون في أرض هورقليا". هورقليا هي أرض النفس، لأنها رؤية النفس. إن "رؤية الأشياء في هورقليا" تعني رؤيتها كما هي كأحداث للنفس، وليس كما هي مكونة في حقائق مادية مستقلة،

ذات معنى منفصل عن النفس ومستقل عنها، كما يفعل علمنا الوضعي ويحولها إلى موضوعات. وأخيراً، إنها طريقة للتأمل في الأرض وتحويلها من خلال هذا التأمل.

وهنا يمكننا أيضًا الإشارة إلى تعاليم الشيخ البارز سركار آغا، وهذا هو المثال الثالث الذي أردت ذكره، لأنه يؤكد على توجيه الحياة الروحية بأكملها. يخبرنا الشيخ أنه هنا في الأسفل، على هذه الأرض بالذات، يجب على المرء أن يصبح ساكنًا لأرض هورقليا، هورقلياي.50 نلمح على الفور أهمية هذا الأمر، عندما يتعلق الأمر بعيش الأمل الأساسي للإمامية أو التشيع، وتوقعها للإمام (المقابل لتوقع مايتريا، بوذا المستقبل، وسوشيانت في الزرادشتية، وعودة المسيح في المسيحية). إنها ليست حدثاً خارجياً يُتوقع حدوثه في وقت ما في المستقبل البعيد؛ إنها حدث يحدث هنا والآن في النفوس ويتطور وينضج ببطء هناك. يكتب الشيخ: "إن تجلي الإمام يحدث لنا في اللحظة التي تفتح فيها أعيننا [انظر أعلاه، "عين العالم الآخر"، "العين البرزخية"، اللحظة التي نتأمل فيها تجلي هذا الحكم في جميع الأكوان". ثم يأخذ قول الشيخ أحمد الإحسائي معناه الكامل، مؤكداً أن "الإمام في هورقليا هو موضوع تأملهم بالنسبة للروحانيين منذ هذا اليوم بالذات". هذا هو المقصود بشروق الشمس (أو شروقها مرة أخرى) في الغرب، أي الشرق، بالمعنى الحقيقي، والنتيجة المترتبة على ذلك هي تراجع الأدلة التجريبية الجاهزة للأرض المادية، التي تراجعت إليها النفس. ويقول الشيخ أيضًا، عندها فقط "ستكون قد تأملت في هورقليا، وارتقيت أعلى من هذه الأرض الأرضية، وستدرك الصورة الأصلية ونور إمامك، وهو نور يشمل في نفس الوقت العالم الأرضي وكل ما يقع بين جابلقا وجابلسا."

وبهذا المفهوم لعلم الآخرة، يمكننا أن نفهم أيضاً أن التاريخ بأكمله "يُرى في هورقليا". 51 وبناءً على ذلك، يُنظر إلى أحداث هذا التاريخ على أنها أكثر بكثير مما نسميه نحن أنفسنا "حقائق"؛ إنها رؤى. من ناحية

أخرى، فإن كل ما نسميه "تاريخًا"، ونقدره على أنه "تاريخي"، ليس "موجودًا في هورقليا"، وليس حدثًا على أرض هورقليا، وبالتالي فهو خالٍ من الاهتمام الديني والمعنى الروحي. إن توجيه الأرض الأرضية نحو أرض هورقليا، نحو القطب السماوي، يضفي بعدًا قطبيًا على الوجود الأرضي، ويعطيه اتجاهًا ليس تطوريًا بل رأسيًا، صعوديًا. الماضي ليس وراءنا، بل هو "تحت أقدامنا". 52 هناك تحديداً قد تجعلنا عاداتنا العقلية، ليس فقط العلمية ولكن الدينية أيضاً، "نفقد توازننا". عندما تتطلب هذه العادات ما نسميه الحقائق التاريخية، والوقائع الملموسة القابلة للتحقق، والأحداث المادية التي تم مشاهدتها وتسجيلها، فإننا نتلقى إجابة خفيفة من خلال "الرؤى". لعل محتوى تلك الكتب التي نسميها الكتب المنحولة (كتب العهد القديم والعهد الجديد) يمكن أن يساعدنا بشكل أفضل على فهم المسألة 53 (وحقيقة أنها تُصنف على أنها "منحولة" لها معنى). قد يسمي المرء هذا الدوسيتية، ولكن ربما كان الشرق بأكمله دائمًا دوسيتيًا بشكل عميق (هناك دوسيتية في المعرفة الباطنية (الغنوص)، وهناك دوسيتية في الإسلام، وهناك دوسيتية بوذية، لأن الدوسيتية في جوهرها ليست سوى نقد "ثيوصوفي" للمعرفة، وظاهراتية للأشكال الروحية).

على أي حال، فإن فكرة كون الفيزياء نشاطًا نفسيًا روحيًا في الوقت نفسه وبشكل أساسي هي التي تجعل من الممكن وجود شيء مثل فيزياء القيامة وعلم وظائف الأعضاء لـ "جسد القيامة". إن "الجسد الروحي" لا ينشأ من عناصر الأرض الأرضية، بل من عناصر أرض المدن الزمردية. إنها أرض الرؤى، وأرض هورقليا هي أرض القيامة. هذه هي أعلى نقطة وأبرز سمة في مذهب الشيخية، وقد تم شرحها بشكل وافٍ في كتابات مؤسسه، الشيخ أحمد الإحسائي.

4. هورقليا، أرض القيامة

تتجلى الطبيعة الخاصة لهذا المذهب في المصطلحات التي دفعت الشيخ أحمد إلى التمييز بدقة بين مصطلحين يُستخدمان حاليًا للدلالة على الجسد:

هل يُعتبر الجسد جسدًا عضويًا متحركًا (جسد)، وهناك جسد يُعتبر كتلة أو حجمًا ماديًا (جسم)54 في أنثروبولوجيا شيخنا، من الثابت أن الإنسان يمتلك جسدين وجسمين؛ وهما يمثلان جسدًا عرضيًا مزدوجًا وجسدًا جوهريًا مزدوجًا، وفقًا للمخطط التالي:

(1) (1) هناك الجسد الأول، والذي سنسميه الجسد أ، والذي يُفهم على أنه الجسم الأساسي، المادي والزائل. إنه الجسد الظاهر لكل واحد منا، الجسد الذي يمكننا رؤيته ولمسه ووزنه والتعرف عليه. إنه تكوين عرضي وقابل للتلف، وهو مركب من عناصر فيزيائية تحت القمر.

(2) (2) هناك جسد ثانٍ، سنسميه جسد ب؛ إنه مخفي وخفي عن أنظارنا في جسد أ؛ وهو أيضًا تكوين عنصري، لكنه يختلف عن الأول في أنه لا يتكون من عناصر أرضية قابلة للتلف - أي من أرضنا المادية - بل من عناصر نموذجية، العناصر الدقيقة لـ "أرض هورقليا". هذا الجسد الثاني، بالتالي، هو تكوين ينتمي إلى العالم الوسيط، عالم البرزخ؛ وبالتالي، له أبعاد، ولكن على عكس الجسد الأول، فهو ليس جسماً عرضياً بل جسماً أساسياً لا يفنى؛ إنه الجسم العنصري الدقيق، جسم "اللحم الروحي"، الجسد الروحي.

(3) (3) هناك الجسم الأول؛ دعونا نسميه الجسم أ. على عكس الجسدين، فهو ليس جسماً عنصرياً؛ فهو لا ينتمي إلى العناصر الأرضية ولا إلى العناصر الدقيقة. يشبه "جسد أ" لأنه، مثله، عرضي وليس أبدي. يشبه جسد ب من حيث كونه، مثله، تشكيلاً من العالم الوسيط. ومع ذلك، فإنه لا ينشأ من العناصر الدقيقة لأرض هورقليا (من المنطقة، أي التي تتوافق هناك مع المناخ "الأرضي" للغرب الكوني)؛ بل ينشأ من المادة السماوية وسماوات هورقليا (من المنطقة، أي التي تتوافق مع الأفلاك، مع المناخ السماوي للغرب الكوني). إنه الجسم السماوي الخفي، الجسم النجمي، المقدر له أن يُعاد امتصاصه.

(4) (4) هناك الجسم الثاني، والذي سنسميه الجسم ب، وهو الجسم اللطيف الأساسي، النموذجي، الأبدي وغير الفاني

(جسم أصلي حقيقي)؛ الروح لا تنفصل عنه أبدًا، لأنه هو ما يشكل الفردية الأبدية. يمكن القول عنه إنه الجسم الفوق سماوي في الإنسان. 55

للوهلة الأولى، يشبه هذا المخطط بشكل لافت للنظر ما نجده في كتابات الفيلسوف الأفلاطوني المحدث، برقلس. إن فكرة هذه الأجسام المختلفة، التي تكسوها النفس، والتي تتوافق مع مستويات مختلفة من الوجود، تعيد إنتاج مفهوم (الأوخيما) أو "مركبات الروح" التي كان الأفلاطونيون الجدد يميلون إلى التأمل فيها. 56 إن عقيدة الجسد النجمي أساسية للغاية في العائلة الروحية التي تنتمي إليها الأفلاطونية المحدثة لدرجة أنها تستدعي على الفور العديد من المراجع الأخرى، ولا سيما "الجسد الكامل في طقوس الميثرا، و"الجسد الخالد" في مجموعة النصوص الهرمسية،57 وأخيرًا، لأن هذا ما تشير إليه، فهذا هو هدفها وغايتها المنشودة، الإله الشخصي أو الملاك الحارس57 الذي يُعهد إليه بالمريد عند التأهيل، والذي يجعل الإنسان الأرضي نظيرًا لكائن سماوي يشكل معه وحدة كاملة. هذا، من حيث الثيوصوفيا المازدية، هو فراڤارتي، دينا، الأنا المتعالية، الأنا الفائقة السماوية.

نحن نعرف شروط السؤال في حالة برقلس: كان لا بد من إيجاد حل وسط ليس فقط بين أفلاطون وأرسطو، ولكن أيضًا بين النزعة المشائية للأفلاطونية المحدثة وعلم النفس الرواقي للروح. *59* بالإضافة إلى ذلك، كان لا بد من التوفيق بين تقليدين يتعلقان بـ "الجسم النجمي"، وكلاهما كانا موجودين في الأفلاطونية المحدثة. من بين هذه التقاليد، يصور أحدها الجسد النجمي على أنه مرتبط بشكل دائم بالنفس، بينما يصوره الآخر على أنه مكتسب أو متخذ من قبل النفس أثناء نزولها من العوالم العليا، وعلى أنه يتعين على النفس التخلي عنه أثناء صعودها.60 ينجح برقلس هنا في تحقيق توليفة، يوجد نظير لها في المذهب الشيخي؛ بالنسبة له، تتمثل في قبول وجود اثنين من الأثير (مركبة النفس أو الأوخيما). وهما:

(1) ὄχημα الأعلى، وهو الأصلي، الخلقي (συμφυές)، والذي يُسمى αὐγοειδές (المضيء، الشفقي) أو ἀστροειδές (الأثيري). وهو جسم البروتون (الجسم الأصلي)

الذي وضع فيها الديميورج النفس. إنه غير مادي، لا يتأثر، ولا يفنى. وما يقابله تمامًا في مصطلحات ومفاهيم الشيخ أحمد أحسائي هو الجسم ب، الذي يُسمى النموذج الأصلي، الجوهري (الجسم الأصلي الحقيقي): إنه الإنسان الحقيقي أو الجوهري، الإنسان بالمعنى الحقيقي (الإنسان الحقيقي). [61]

(2) المركبة الروحانية السُّفلى، وهي ملحق مؤقت، تتكون من أربعة عناصر: إنها الجسد اللطيف أو مركبة النفس غير العاقلة؛ ومثلها، تبقى بعد موت الجسد، ولكن مصيرها الزوال أو الامتصاص. وما يقابلها هو الجسم أ، وهو تكوين عرضي صادر من سماوات العالم الوسيط، البرزخي أو الهورقلياي.

لقد استمرت مسألة الجسد اللطيف، ومركبة الروح (كما في ماكروبيوس مغطى بجسم مضيء، وبوثيوس مركبة لطيفة أو أثيرية) 62 وستستمر، وستظل موضع تأمل، على ما يبدو، طالما بقي الفكر الأفلاطوني المحدث. يظهر هذا المفهوم مجدداً بين الأفلاطونيين الجدد البيزنطيين (مايكل بسيلوس، نيقيفوروس غريغوراس)، والأفلاطونيين الجدد في كامبريدج (رالف كودوورث، القرن السابع عشر)، ودعونا نضيف الآن، بين الأفلاطونيين الجدد في بلاد فارس.

لكن في المذهب الشيخي، تصبح مواضيع التأمل أكثر تعقيداً. وبينما كان برقلس قادرًا على التوفيق بين التقليدين:

تقليد الأوخِيما (okhēma) الأصلي غير القابل للفناء، وتقليد الأوخِيما الذي سينتهي به الأمر إلى أن يُعاد امتصاصه أو أن ينفصل عن النفس؛ يمكن القول، على نحوٍ تقريبي، إن الشيخ أحمد الأحسائي يذهب في الوقت نفسه إلى إثبات وجود أوخِيما مزدوج غير قابل للفناء (الجسم ب، والجسد ب)، وإثبات وجود أوخِيما بنوماتيكون (okhēma pneumatikon)، أي الأوخِيما الروحاني (الجسم أ)، وهو جسد نجمي لطيف غير دائم.
يبدو أن تعقيد هذا المخطط يمكن أن يعزى إلى الحاجة إلى حماية تفسير البيانات القرآنية المتعلقة بعلم الآخرة بشكل عام.

إن هذه البيانات، إذا أخذت حرفياً كما فهمها "الأرثوذكس" الحرفيون في الإسلام، تفترض أن جسد اللحم الأرضي، جسد أ، يُبعث، أو "يعود" كما كان. بالنسبة إلى التأمل الفلسفي، ظلّت هذه الهوية المادية تمثّل دائمًا تناقضًا يستعصي على الحل، وكان هذا التناقض أشدَّ خصوبةً بقدر ما كان ناشئًا عن فهمٍ غير كافي

للمشكلة. لكي يتم إثبات الاستحالة المادية، يتطلب السؤال أن يرتقي المرء فوق عالم الأدلة الحسية التجريبية ونمط الإدراك المقابل. في تلك اللحظة بالذات، يتمثل العمل المطلوب في تحويل الأخير إلى حقيقته الروحية؛ وليس إيجاد طريقة للهروب إلى الرمزية وبقاياها المجردة، بل تأسيس "فيزياء هورقليا". هذا هو الشيء الذي يجعل مخطط الجسم الرباعي الذي حددناه للتو ممكناً. في الواقع، على الرغم من أن الجسم أ، وهو الجسم النجمي العرضي، سيختفي في النهاية (مثل أوخيما نيوماتيكون عند الأفلاطونيين الجدد) - لأنه على الرغم من كونه جسمًا هورقليًا، إلا أنه عرضي - سيتم استبداله بـ "مركبة" أخرى، دقيقة ودائمة، وهي جسم في نفس الوقت عنصري وجوهري، جسم من "لحم روحي"، يتكون من عناصر النموذج الأصلي الدقيقة للأرض السماوية لـ هورقليا. وبهذه الطريقة، فإن حالة الكمال، أي الإنسان الكامل، تتضمن دائمًا، كما هو الحال في نظام برقلس، أوخيما مزدوجة.هذا المفهوم هو في الواقع مفهوم الأفلاطونيين الجدد الإيرانيين، وهو يعزز بطريقة ما مفهوم الأفلاطونيين الجدد اليونانيين.

إليكم إذن، بإيجاز شديد، المفهوم الشيخي للعملية الأخروية: كل ما هو جسم عرضي (جسد أ وجسم أ) سيختفي في النهاية. كل ما هو ضروري للجسم (جسد ب، وجسم ب) مضمون بقاؤه. جسد أ هو الجسد العنصري الخشن الذي لبسته النفس الهابطة عند وصولها إلى العالم الأرضي. ليس الأمر ضرورياً، إنه مجرد طبقة عرضية. إنه يفنى ويتحلل، ويعود كل عنصر إلى مصدره ويمتزج به - وهي حقيقة يمكن ملاحظتها بشكل عادي. الآن، ما يترك هذا الجسد الفاني في اللحظة التي يأتي فيها ملك الموت ليجمع النفس هو أمر مزدوج: الجسد الأصلي الجوهري (جسم ب، أوخيما سيمفيس)، وهو الأساس الدائم للروح الأبدية (حامل النفس)، ولكنه في هذه المرحلة ملفوف في ذلك الجسد اللطيف العرضي (جسم أ، أوخيما بنوماتيكون) الذي لبسته النفس في مسار هبوطها نحو الأرض الأرضية، عند مرورها عبر العالم الوسيط للبرزخ. وهذا أيضًا تكوين للعالم الوسيط؛ ومع ذلك، كما قلنا سابقًا، فهو لا يتكون من المادة الدقيقة لعناصر

أرض هورقليا، بل من المادة الدقيقة لسماوات هورقليا. وهو كذلك تشكيل عرضي. هذان الجسمان (أ و ب) يبقيان، يشكلان معًا حالة الفردية البشرية الأبدية ويختبران في العالم الآخر إما فرح وحلاوة "الفردوس الغربي" (نكهة هذا التعبير تذكرنا بشكل غير متوقع بـ "الأرض النقية" في البوذية) أو، على العكس من ذلك، يأس جحيم كامن في ذاته. ينطبق هذا على علم الأخرويات الفردي في حد ذاته. لكن ما يدخل في هذه المرحلة هو تفسير معقد للغاية لعلم الأخرويات العام، أي الأحداث التي تختتم حقبة عصرنا وتمهّد لدورة كونية جديدة.

تتحدث آية في القرآن الكريم (39: 68) عن "نفختين من الصور" التي سينفخها الملاك سرافيل. أتاحت هذه الآية المجال الكامل للنزعة التأملية لدى علماء اللاهوت الشيخية. إن ملاك "الصور" هو، بطبيعة الحال، أداة كونية. يمثل كل من فتحاته "الكنز"، المصفوفة الأصلية التي انبثق منها كل كائن، وفي هذه الحالة الجسم الأصلي، الجسم الدقيق والأساسي والخلقي (الجسم ب)، النموذج الأصلي للفردية البشرية. إن أول نفخة في الصور تبشر بإعادة امتصاص الكون بالكامل؛ حيث يعود كل كائن إلى مصدره وينام هناك خلال فترة زمنية يتم التعبير عن طولها بأربعة قرون من مدة وجودنا على الأرض (وهذا بالطبع لا يشير إلى التسلسل الزمني أو الوقت الكمي). يُعلن النفخ الثاني في بوق سرافيل عن تجديد الخلق، وهي دورة كونية جديدة تتخذ طابع الاستعادة، أي إعادة كل الأشياء إلى نقائها المطلق والفردوسي.63

في ماذا إذن يتكون حدث القيامة هذا؟ كيف يمكن أن تكون أرض هورقليا في نفس الوقت الأداة والمسرح ليس فقط لعلم الأخرويات الفردي (دخول الأجسام اللطيفة إلى "الفردوس الغربي")، ولكن لعلم الأخرويات العام؟ ما يخبروننا به هو هذا: عندما يُنفخ في الصور للقيامة، فإن الجسد الأساسي الأصلي، الذي هو دعامة الفردية الأبدية (الجسم الأصلي، الجسم ب)، يظهر من جديد في كماله الذي لا يتغير (فيروز هومو، إنسان حقيقي). أما بالنسبة للجسم أ، أوخيما بنيوماتيكون، الذي كان قد أضفى درجة من العتامة على دقة

الجسم ب الكاملة، فإنه لا يظهر مرة أخرى، أو بالأحرى، يتم امتصاصه بالكامل في دقة الجسم ب المتألق. وكما رأينا، فقد رحل هذان الجسمان معًا، في لحظة الموت، من الجسد الأرضي الفاني، الجسد أ. ولكن ماذا عن الجسد العنصري الدقيق الخالد، جسد "اللحم الروحي" المصنوع من عناصر الأرض في هورقليا، الجسد ب أو جسد هورقليا؟

هنا يقدم المذهب الشيخي مفهوماً أصيلاً للغاية. هذا الجسد، الضروري أيضاً، يتكون من المادة الدقيقة للعناصر المثالية لأرض هورقليا وهو أيضاً وعاء لتأثيرات سماوات هورقليا؛ وهذا يعني أنه يمتلك أعضاء إدراك أكثر نبلاً ودقة بسبعين مرة من أعضاء جسد اللحم العنصري الذي يختبئ فيه ولا يُرى. له شكل وامتداد وأبعاد، ومع ذلك فهو خالد. بينما يهلك الجسد الأرضي العنصري، الجسد أ، في القبر، فإن الجسد ب، أو جسد هورقليا، لا ينفصل عنه في لحظة الموت برفقة الإنسان الجوهري (الإنسان الحقيقي)، الذي يتكون من الجسد اللطيف الأصلي المغلف بجسده اللطيف الآخر المؤقت. يقولون لنا إن جسد هورقليا يبقى على قيد الحياة، يبقى على قيد الحياة "في القبر". ولكن ينبغي لنا عند هذه النقطة أن نشير إلى سمة لافتة في أحد حوارات ميترلنك التي تعبّر عن المعنى الباطني للموت؛ إذ يعلن الظل، قبل لحظات قليلة من أن يصبح الملاك الخاص بمن حانت وفاته، قائلاً: «إنهم لا يبحثون عني إلا في المقابر، مع أنني لا أذهب إليها أبداً. أنا لا أحب الجثث." 64 إن "القبر"، أي المكان الذي يستمر فيه الجسد ب، ليس "المقبرة"، بل هو بالضبط أرض هورقليا الغامضة التي ينتمي إليها، كونه مكونًا من عناصره الدقيقة؛ إنه يبقى هناك، غير مرئي للحواس، ولا يراه إلا الخيال الرؤيوي.

وبالتالي فإن رؤية هذا الوجود الصوفي هي في حد ذاتها مثال بارز على حدث نفسي روحي "يحدث" في أرض هورقليا. وهنا يتضح الفرق بين المدارس الفكرية. رأى برقلس أن سكان الأماكن المرتفعة في الأرض في أسطورة أفلاطون، فيدو، كانوا نفوسا لا تزال ترتدي أوخيما الدنيا وتنتظر

اكتمال الإعادة إلى الأصل. 65 وبطريقة خاصة به، يتجاوز الشيخ أحمد أيضًا المعضلة التي لا تترك خيارًا سوى بين فكرة النفوس المجردة تمامًا من الجسد (في تناقض مع فكرة النفس) وفكرة الخلود الكامل للنفس غير العاقلة (يامبليخوس). لكن عندما نأتي إلى المذهب الشيخي، يتم تضخيم مذهب أبوكوتاستيس(الإعادة إلى الأصل). يؤكد هذا ليس فقط أن الأوخيما السفلى قد تم تجريدها، بل يؤكد أيضًا على إعادة تولي هذا الجسد الأساسي الآخر، وهو أيضًا مركبة دقيقة، وجسد خالد، فردوسي، نائم في هورقليا، أرض النور التي جاء منها. هذا هو المكان الذي أخذه إليه الملاك لكي "يخفيه" في الجسد الأرضي المصنوع من اللحم، في لحظة الحمل.

لذلك، عند النفخة الثانية للصور، فإن هذا الجسد ب أو جسد هورقليا، جسد "اللحم الروحي"، هو الجسد الذي ترتديه النفس الأبدية الفردية، التي ينقلها جسدها الأصلي أو الجوهري أو النموذجي (جسم ب)، مرة أخرى في ثوبها الأرضي المتحول من المجد. والآن، يحدث هذا اللقاء والتحول في أرض هورقليا ومن خلالها. هذه الأرض السماوية، هذا "المناخ الثامن"، هي في الواقع ما يحفظ "جسد القيامة" المستقبلي، لأن هذه الأرض هي مصدره؛ ولهذا السبب أيضًا تلعب نفس الدور في علم الأخرويات العام، ألا وهو دور "أرض القيامة". من البديهي أن الإسلام "الأرثوذكسي" لم يتمكن قط من إيجاد طريقه في هذه الفيزياء الثيوصوفية؛ فقد واجه الشيخية مواقف صعبة، وكمًا هائلاً من الاعتراضات، التي لا داعي للخوض في ضعفها، لأن المقدمات ظلت على المستوى الذهني الذي سعى تأمل الشيخية إلى تجاوزه.66

دعونا نتعمق أكثر في التأمل الشيخي هذا، الذي يحول الأشياء إلى جوهر الهورقليا من خلال التأمل فيها في تلك "الأرض"، وبالتالي يطور فيزياء وفسيولوجيا القيامة. نلاحظ إذن أن التأمل في العمل الخيميائي يلعب دوراً رئيسياً في هذه العملية، وأن الممارسة الروحية للخيمياء تستمر بطريقة سرية حتى يومنا هذا في المذهب الشيخية الإيراني. يكشف عمل مؤسسها عن الحاجة التي يجسدها لاستيعاب الممارسة الحقيقية من أجل الحصول منها على ردود الفعل النفسية التي تتجلى في علم النفس الصوفي لجسد القيامة.

2. أرض هورقليا الغامضة

إن الفكرة الأساسية للخيمياء عند الشيخية 67 هي أنها وحدها تجعل من الممكن تصور قيامة الأجساد كنتيجة أو محصلة لبقاء النفوس. وهذا يجعل من الممكن الانتقال من أحدهما إلى الآخر وجمعهما في مفهوم واحد. إن القيام بهذا الانتقال يعني في الوقت نفسه إجراء عملية نقل (أو "تكرار") وتحويل، مما يبطل الحجج الفلسفية العقلانية ضد القيامة، لأن هذه الحجج تتم على مستوى أدنى من المستوى الذي ينشأ عليه السؤال في الواقع، تمامًا كما أن المفاهيم "الحرفية" لعلماء اللاهوت الأرثوذكس فيما يتعلق بقيامة الأجساد ضعيفة بنفس القدر، وللسبب نفسه. منذ البداية، دعونا نتذكر مقولة الشيخ سركار آغا الجميلة والقوية: إن أول ما يشغل بال المرء هو أن يصبح هورقلي؛ يجب أن يكون المرء قادراً وأن يكون قد تلقى التأهيل لرؤية الأشياء والكائنات والعمليات والأحداث "في هورقليا". إن عضو البصر هو الخيال النشط، الذي يدخل وحده إلى العالم الوسيط، ويجعل غير المرئي داخل المرئي مرئياً لنفسه. وبالتالي فهو الجوهر الخامس لجميع الطاقات الحية والجسدية والنفسية. نسمع الشيخ أحمد يصر بقوة بدوره على الوظيفة الأساسية للخيال المتأمل والفعال؛ كما يقول بشكل قاطع: "الخيال ضروري للنفس ومتلازم لها؛ إنه أداة للنفس، كما أن اليد أداة للجسد المادي". حتى الأشياء الحسية لا تُعرف إلا عن طريق هذا العضو، لأنه بالنسبة للنفس ما تمثله نفس سماء الزهرة لنفس سماء الأبراج. 68 لذلك يمكن للمرء أن يقول هنا أيضاً بمصطلحات باراسيلسوس أن الخيال هو "النجم في الإنسان"، "جسم سماوي أو فوق سماوي". 69 ويمكن للمرء أن يضيف كذلك أن العمل الخيميائي، بسبب التأثيرات النفسية التي ينتجها في من يتأمله ويستوعبه، يتم تنفيذه بشكل أساسي "في أرض هورقليا". لذا، بهذا المعنى، يمكن القول عن الخيمياء أنها تعمل مع عناصر أرض هورقليا و"تحول" العناصر الأرضية إلى هذه العناصر الدقيقة.

لكن لكي يكون هذا صحيحًا، يجب أن يتم إدراك العملية الخيميائية وتفعيلها عقليًا في هورقليا، ولهذا

الغرض فإن العضو المناسب للإدراك ضروري. ولهذا السبب تسمى العملية الخيميائية (عملية الفن السري)، حرفيًا، أي العملية السرية للفن، بـ "مرآة الحكماء". "فيما يتعلق بعمل الإكسير،" كتب الشيخ أحمد، "صنع الحكماء مرآة يتأملون فيها كل أشياء هذا العالم، سواء كانت حقيقة ملموسة أو حقيقة عقلية." في هذه المرآة، يُنظر إلى قيامة الأجساد على أنها مماثلة لقيامة الأرواح. 70 الفرضية هي أن طاقة النور الروحية الواحدة هي مكون أساسي لما يوصف بأنه مادي بقدر ما هي مكون أساسي لما يوصف بأنه روحي. 71 باختصار، يمكن التعبير عن ذلك بالقول إن "الأرواح هي نور الوجود في الحالة السائلة (نور وجودي ذائب)، بينما الأجساد هي نور الوجود ولكن في الحالة الصلبة (نور وجودي جامد). الفرق بينهما كالفرق بين الماء والثلج. "إن الدليل الذي يؤكد قيامة أحدهما صحيح فيما يتعلق بقيامة الآخر". والآن، فإن النتيجة النهائية للعملية الخيميائية هي بالضبط هذا التناقض العكسي: بمجرد معالجة الجسم وإتقانه من خلال هذه العملية، يصبح في حالة "سائل صلب (أو سائل متجمد أو مياة جامدة). 72

إليكم إذن بعض المواضيع للتأمل والتي، من بين أمور أخرى، تُقترح علينا بهدف استيعاب العمل الخيميائي. لنأخذ على سبيل المثال السيليكا والبوتاس، وهما مادتان كثيفتان معتمتان تتوافقان مع حالة الجسم الأرضي العنصري (الجسد أ). في المقام الأول، بعد غلي هاتين المادتين وتسييلهما، تفقدان عتامتها وتصبحان زجاجًا (سيليكات البوتاسيوم)، وهو شفاف؛ في هذه الحالة يسمح الجزء الخارجي برؤية الجزء الداخلي من خلاله؛ ويظهر الجزء الخفي تلقائيًا من خلال الجزء الظاهر. بالتأكيد لا تزال المادة الليثويدية، ومع ذلك لم تعد كذلك. ينبغي التأمل في هذه الحالة باعتبارها تتوافق مع الجسد ب، وهو الجسم الخفي الشفاف المكون من عناصر هورقليا. في إعادة الانصهار مع إضافة مادة خيميائية معينة، يصبح الزجاج بلورة؛ البلورة مع إضافة الإكسير الأبيض

تتحول إلى "البلورة التي تشتعل" (عدسة). في

هذه المرحلة، يتوافق مع الجسم أ (أوخيما نيوماتيكون)، أي الجسم النجمي الذي يحيط بالجسم الأصلي الأساسي (الجسم الأصلي، الجسم ب)، أو الفرد الأبدي، والذي يدخل مع الأخير "الأرض السماوية" في اللحظة التي يفصل فيها الموت بينهما وبين الجسم العنصري الفاني (أي من الجسد أ). عندما يتم دمج البلورة مرة ثانية مع الإكسير الأبيض، فإنها تصبح ماسًا. هذه هي البلورة نفسها، والسيليكات نفسها التي كانت البلورة مخبأة فيها، والمركب نفسه من الزئبق والكبريت، ومع ذلك لم تعد أيًا من هذه. "والماس، المتحرر من البلورة، والمتحرر من الزجاج، والمتحرر من الحجر، يقابله أجساد المؤمنين في هذه الجنة المطلقة." 74

وقد أكد آخرون هذه العملية. على سبيل المثال، ذلك الذي يتم تنفيذه على البيوتر (القصدير). يتحول القصدير المعالج بالإكسير الأبيض إلى فضة خالصة، وهي مرحلة الجسد ب. أما عند معالجته بالإكسير الأحمر، فتصبح الفضة ذهباً خالصاً، وهي مرحلة الجسم أ، الذي يدخل الجنة الأرضية أو الأرض السماوية. يُعالج القصدير المتحول إلى ذهب مرة أخرى بالإكسير الأحمر، فيصبح هو نفسه الإكسير، وهو مرحلة الجسم ب، الذي يتحد مع الجسد ب (الجسد الهورقلياي) ويستوعب الأخير في دقته الخاصة، فيدخل الجنة المطلقة.*74*

باختصار، فإن التأمل الذي يستوعب التحولات التي تتحقق في سياق العملية الحقيقية يولد الجسد الروحي، وهو أيضًا نتيجة متناقضة. يدخل إلى العالم الوسيط، إلى العالم النفسي للأجسام الدقيقة من خلال الخيال الوسيط النشط، الذي يقوم، من خلال تحويل العمليات أو الأحداث الحسية إلى رموز، بتنشيط الطاقات النفسية التي تحول بشكل جذري العلاقة بين النفس والجسد. ثم هناك حالة، كما يقول الشيخ أحمد، حيث "تدرك الأجسام من خلال جوهرها (بذاتها) الأفكار التي يتم التفكير فيها في العالم السماوي، وكذلك الأشكال الملائكية. وبالمقابل، فإن الأرواح التي تعتمد على هذه الأجساد تدرك الأجساد والحقائق المادية من خلال جوهرها الخاص، لأن أجسادها، عندما ترغب في ذلك، تصبح روحاً، وأرواحها، عندما ترغب في ذلك، تصبح جسداً."75 لذلك، فإن التأمل في العملية الخيميائية أو التأمل الذي يعمل خيميائياً يصل إلى النتيجة التي تكون صيغتها هي التعريف

الذي سمعناه بالضبط، والذي قدمه محسن فيض، لعالم البرزخ باعتباره "عالمًا يتم من خلاله إضفاء الطابع الروحي على الأجساد، وتجسيد الأرواح". وهذا هو التعريف الأمثل لأرض هورقليا، وكذلك للأحداث التي تتحقق هناك والتي تمنحها هذه الأرض الغامضة جوهرها.

لكن بالطبع، لا يحدث هذا "التأكيد" إلا من خلال وجود المتمرس في هذه الأرض الغامضة حيث لا يمكن أن تتواجد إلا الأجسام الروحية. ولهذا السبب فإن المبدأ الثابت هنا مرة أخرى هو: حل وتماسك. يكتب الشيخ أحمد أن الحكماء يقومون بإذابة الحجر وتخثيره بجزء من روحه ويكررون العملية عدة مرات. عندما يعالجونه ثلاث مرات بالإكسير الأبيض وتسع مرات بالإكسير الأحمر، يصبح الحجر معدنًا روحيًا حيًا (أو معدنًا) *(مَعْدَن حَيَوَانِي رُوحَانِي)*، وهو ما يترجم تمامًا فكرة الخيميائيين اللاتينيين عن الحجر الحي *(lapis vivus).* 76 إنه جسد، لكن عمله روحي: فهو يمنح الحياة لتلك "المعادن" الميتة. يقول الشيخ: تأملوا وافهموا هذه العلامة، لأن مثل هذا الجسد هو علامة سكان الجنة تحديداً، "لأن لديهم أجساداً توجد فيها جميع صفات وقوانين وأفعال الأجساد، لكن هذه الأجساد تقوم بأفعال الأرواح والعقول الخالصة؛ إنهم يدركون ما تدركه النفوس السماوية والعقول الملائكية، تماماً كما تدرك هذه الأخيرة من خلال جوهرها ما تدركه النفوس والأجساد". 77 إن أجسامًا كهذه مصنوعة من الطين الأصلي (الطين الأصلي*)* لمدينتي الزمرد جابلقا وجابلسا، وهي تتلقى التدفق، ليس من سماوات الكون المادي، بل من سماوات هورقليا.*78*

نعتقد أن كلمات الشيخ أحمد الإحسائي نفسه قد نقلت ما هو جوهري في العقيدة. في وقت لاحق، سننشر دراسة حول توسيع خلفائه لموضوع الجسد الروحي الذي هو جسد القيامة. وبذلك، سنكتشف الثوابت في ما يمكن تسميته "ميتافيزيقا النشوة" المشتركة بين جميع الروحانيين، والتي تشهد على ديمومة وهوية هذا العالم الداخلي الذي تتلاقى فيه تجاربهم المتشابهة. يؤكد المشايخ على فكرة الجسم الأصلي الجوهري (الجسم

الحقيقي) الذي يمتلك في آنٍ واحد الأبعاد والشكل والهيئة واللون كالأجسام عمومًا، ولكنه يختلف عنها في جانبٍ جذري، ألا وهو أن مظهر الجسم الجوهري يعتمد على الأفعال المنجزة والحالات الداخلية التي تتجلى من خلال هذه الأفعال.79 في عالمنا الأرضي، تكون حالاتنا الداخلية غير مرئية، ويقتصر جانب ما نفعله على المظهر الخارجي المرئي، ولكن في الأرض السماوية تتخذ الأفعال نفسها شكلًا آخر، وتُسقط الحالات الداخلية أشكالًا مرئية. بعضها يتخذ شكل القصور، والبعض الآخر شكل الحوريات، أو الزهور، أو النباتات، أو الأشجار، أو الحيوانات، أو الحدائق، أو جداول المياه الجارية، وما إلى ذلك. كل هذه الأشكال والأنماط مرئية وحقيقية "في الخارج"، لكنها في الوقت نفسه سمات وأنماط وجود الإنسان. إن تحولهم هو تحول الإنسان، وهم يشكلون محيطه، أرضه السماوية. ومن ثم يمكن القول أن الفعل هو مكافأته الخاصة، وأن المكافأة هي الفعل "بذاته". 81

وهكذا يتم تعريف الوضع الأنطولوجي لهذه الأرض السماوية بمصطلحات قابلة للمقارنة، على سبيل المثال لا الحصر، بالعقيدة الأساسية لسويدنبورغ، الذي يذكرنا باستمرار، بصيغ لا تختلف إلا قليلاً، بأن "الأشياء خارج الملائكة تتخذ مظهرًا مطابقًا لتلك الموجودة داخلهم". 82 كل الأشياء التي تدخل مجال رؤية الملائكة تتوافق مع "باطنهم" وتمثله؛ "إنها تتغير وفقًا لهذه الحالات الداخلية، ولهذا السبب تسمى "أطيافًا" (apparentiae)، ولكن لأنها تنبثق من هذا المصدر، فإنها تُدرك بشكل أكثر وضوحًا وتميزًا من الطريقة التي يدرك بها البشر البيانات الأرضية، لذلك يجب أن تُسمى بالأحرى "أطيافًا حقيقية" (apparentiae reales) لأنها موجودة بالفعل." 83 ولعل الصيغة التالية هي الصيغة الأساسية: "جسد كل روح وكل ملاك هو صورة حبه". 84 يردد قول شيخي هذه الأطروحة الأساسية: "جنة العارف المؤمن هي جسده نفسه، وجحيم الرجل الذي لا إيمان له ولا معرفة هو جسده نفسه". 85 أو مرة أخرى، هذا القول الذي يلخص ثمرة تأملات الشيخ أحمد الإحسائي حول "الجسم الماسي": "كل فرد ينهض مرة أخرى في الشكل

الذي ثبته عمله (بالمعنى الخيميائي) في العمق السري (الباطني) لنفسه". 86

ويمكن للمرء أيضًا أن يفهم كيف أن فكرة الجسم السماوي أو جسد القيامة تعبر عن فكرة الإنسان في كليته، *homua integer*. من خلال تمثيل الإنسان في حالته المتحولة، يصبح من الآن فصاعدًا أكثر بكثير من مجرد العضو المادي للذاتية الشخصية في مواجهة العالم، لأنه عالمه "الحقيقي"، أي ليس واقعًا غريبًا غامضًا، بل شفافية، وحضوره المباشر لذاته. ومن هذه النقطة أيضًا يمكننا أن نفهم كيف أصبح تمثيل الجسد الروحي الأصلي، أو *okhema symphyes* في الأفلاطونية المحدثة، مرتبطًا بفكرة الألوهية الشخصية *(idios daimon)*، الملاك الحارس أو "الأنا" المثالية التي ينشأ منها "الأنا" الأرضي. وهذا يُذكّرنا بتفصيل غريب: عندما سُئل الشيخ أحمد عن أصل اسم هورقليا، الذي يبدو غريبًا وأجنبيا في الفارسية كما في العربية، أجاب بأنه كلمة من اللغة السريانية المستخدمة بين الصابئة في البصرة، أو بالأحرى، المندائيين.87 إن أرض هورقليا، العالم الوسيط للصور الحقيقية المثالية، هي نظيرة، في كل من "الفلسفة الشرقية" للسهروردي وفي المذهب الشيخاني، لجنة النماذج الأصلية في فيرنا، وقد لوحظ التشابه الوثيق بين عالم فيرنا و"العالم الثاني"، أو عالم النماذج الأصلية، في المذهب المندائي (مشونيا كُشْطا) أكثر من مرة.

وفي جميع الحالات، يشير ذلك إلى نفس العالم الذي تلتقي فيه النفس المتحررة، سواء في نشوة لحظية أو من خلال نشوة الموت العليا، بنموذجها الأصلي "الأنا"، أو الأنَا الأُخْرَى أو صورتها السماوية، وتفرح بسعادة ذلك اللقاء. ويحتفل بهذا اللقاء في نص مندائي على النحو التالي: "أذهب لمقابلة صورتي وتأتي صورتي لمقابلتي، وتعانقني وتضمني إليها عندما أخرج من الأسر". 88 ومؤخراً أيضاً، لفت انتباهنا التقارب بين البطل المركزي للمعرفة المندائية، هيبيل زيوا، والأمير البارثي الشاب، بطل "أغنية اللؤلؤة" في أعمال

توما.89 في هذا الكتاب الغنوصي القديم نجد مرة أخرى نشوة لقاء مماثل، عندما يكتشف الأمير الشاب، عند عودته إلى الشرق، موطنه، الرداء المضيء الذي تركه وراءه: "ظهر الرداء فجأة عندما رأيته أمامي كمرآة لنفسي. رأيته كله في داخلي وكنت كله فيه، لأننا كنا اثنين، منفصلين عن بعضنا البعض ومع ذلك كنا واحداً من نفس الشكل." 90 ويقول إنجيل توما: "عندما ترون صورتكم، تفرحون، ولكن عندما ترون صوركم التي كانت موجودة قبلكم، والتي لا تموت ولا تظهر، فكم ستتحملون؟"91

والآن يجب أن نعود إلى ما هو النموذج الأصلي لعلم الأخرويات الفردي، والذي تم وصفه لنا بوضوح في الجزء الأخير من الفصل السابق. إن شخصية الملاك دينا، "أنا" السماوية، كابنة سبنتا أرميتي، رئيسة الملائكة الأنثوية للأرض والوجود الأرضي، قادتنا إلى إقامة صلة نادراً ما تم التفكير فيها. لقد اتضح لنا أن نسب "الأنا" السماوي يتم التحقق منه عندما يتخذ الإنسان سبيندارماتيك ، وهي الطبيعة نفسها لـ تم سبنتا أرميتي ، التي هي الحكمة صوفيا. ومن ثم فإن علاقة الإنسان بالأرض، التي تحدد وجوده الحالي، كانت في نظرنا علاقة صوفيانية، والتي من المقدر أن يتحقق تحقيقها الكامل في لقاء الأرض مع "مقر الترانيم" (غاروتمان ، الاسم الإيراني للفردوس السماوي). وانطلاقاً من ذلك، ليس في "الاتجاه التاريخي"، ولكن وفقاً لـ "البعد القطبي"، سمعنا في أوكتاف أعلى من انسجام العوالم، موضوع الأرض السماوية العليا في شخص فاطمة المتألقة، فاطمة-صوفيا، التي هي أرض بليروما الإله لأنها نفسها. لقد تعلمنا منذ ذلك الحين أن ازدهار الجسد الروحي، وهو صحوة وولادة "الأنا" السماوية، يحدث في شكل تأمل يحول الأرض إلى أرض سماوية، لأنه يقال بالمقابل أن "طين كل عارف مؤمن قد أُخذ من أرض فردوسه". ربما حينها نستطيع أن نبدأ في رؤية ليس فقط ما هي الأرض السماوية، بل من هي الأرض السماوية.

ماذا يعني كل هذا بالنسبة لنا اليوم؟ لا شيء أقل من ذلك الشيء

الذي نتجه نحوه، والذي نشكله، كل واحد منا، على صورة جوهرنا. لقد سمعنا ذلك معبراً عنه بلغات بعيدة وقريبة منا، في سياقات قديمة جداً وكذلك في سياقات حديثة (انتقلنا من المازدية إلى المشيخية). من المرجح جداً أن تجارب الروحانيين الإيرانيين تثير في كل واحد منا مقارنات مع حقائق روحية معينة معروفة من مصادر أخرى. أود أن أذكركم هنا بالكلمات التي نطق بها الموسيقي العظيم ريتشارد شتراوس في اللحظات الأخيرة من حياته: "قبل خمسين عامًا،" تمكن من قول ذلك، "لقد كتبت الموت والتجلي *(Tod und Verklärung)"*. ثم قال بعد وقفة: "لم أكن مخطئاً". هذا صحيح بالفعل." 92

عند الحد الذي يتوقف فيه الحد عن كونه حداً ويصبح ممراً، تأتي الأدلة الدامغة التي لا تقبل الدحض: إن الإدراك يتوافق بالفعل مع الإيمان المعلن في أعمق جزء من النفس. يكفي أن يتذكر المرء اللحظات الأخيرة من هذه القصيدة السيمفونية، وسيدرك أهمية هذا الإدراك في الوقت الحاضر في اللحظة التي تصبح فيها النهاية بداية: كل ما تم التنبؤ به، كل الصراع والأمل السري الذي يحمله المرء وهو يواجه تحديًا - إنه في الواقع كذلك. الجلال المنتصر للكورال الختامي لسيمفونية القيامة لماهلر: "يا قلبي، صدق!" لن تخسر شيئاً. ما هو لك يبقى، نعم، يبقى إلى الأبد، كل ما كنت تنتظره، حبك، كفاحك." هناك شيء واحد فقط يهم في الليل الذي تُلف فيه حياتنا البشرية: أن ينمو الوميض الخافت، والضوء الناري، مما يجعلنا قادرين على التعرف على "الأرض الموعودة"، أرض هورقليا ومدنها الزمردية.

الجزء الثاني: مختارات من النصوص التقليدية

النصوص ومؤلفوها

يبدو أن الوقت قد حان الآن للسماح لمشايخنا بالتحدث عن أنفسهم، أي أولئك الذين أرشدوا بحثنا وتأملنا في موضوع الأرض السماوية، وبشكل خاص في إيران الإسلامية. سيوفر هذا في النهاية للقارئ اتصالاً أكثر مباشرة، وهو أمر نادرًا ما يتوفر، نظرًا لوجود عدد قليل جدًا من الترجمات في هذا المجال. لا تزال عناوين الكتب وأسماء المؤلفين التي تظهر في الصفحات التالية، باستثناء اثنين أو ثلاثة، غير معروفة في الغرب، باستثناء عدد قليل من المتخصصين. لكن السؤال المطروح للنقاش هنا ليس، أو لا ينبغي أن يكون، مشكلة بالنسبة لـ "المتخصصين".

بالتأكيد لم نعد في مرحلة الاعتقاد بأن الفكر الإسلامي لا يمثله سوى أسماء خمسة أو ستة فلاسفة عظام كانوا معروفين في الفلسفة المدرسية اللاتينية. لكن إلى متى سيستغرق الأمر حتى يدرك الرجل الغربي المثقف عدد المعالم الفكرية والروائع الروحية باللغتين العربية والفارسية التي لا تزال مجهولة تماماً حتى الآن؟ وإلى متى سيستمر هذا الوضع قبل أن تدخل كنوز أفكارهم إلى ما يسمى "الدائرة الثقافية"، حيث يمكن أن تثمر في محادثات مبنية على حسن النية المتبادل، وتفتح في النهاية طريقاً نحو الجوهر؟ إنّ امتلاك نصوص من هذا النوع، أو ادعاء امتلاكها، ثمّ الالتفاف حولها بغموض زائف، والتغاضي عن أيّ إشارة إليها، هو ببساطة "إغلاق باب المعرفة خلف المرء" - وهو إجراء سبق أن ندّد به السهروردي بعبارات شديدة اللهجة، وأدانه

بكلمات كثيرة، ويدينه كعلامة على الاحتيال.

لكن دعونا نوضح أمراً واحداً. الصفحات القليلة المترجمة هنا ليست سوى قطرة في محيط. إذا استطاعنا على الأقل، من خلال التعريف بوجود هذه الكتب، يمكنها أن تلهم بعض الناس بالرغبة في معرفة المزيد عنها والبدء في العمل عليها بأنفسهم، فستكون قد حققت بالفعل جزءًا من هدفها. استُخدمت جميع المقاطع التي قدمناها كأساس للفصل الثاني من الجزء الأول من هذا الكتاب. ستساعد المعلومات التالية المتعلقة بمؤلفيها القارئ على تكوين صورة أوضح عن ترتيب تعاقبهم الزمني. باستثناء اثنين أو ثلاثة، فإنهم مؤلفون إيرانيون؛ لذا فإننا نقدم هنا بالضرورة معلومات موجزة للغاية عنهم.

I. ولد شهاب الدين يحيى السهروردي، شيخ الإشراق - أي (كما ذكرنا سابقًا)، "سيد الفلسفة الشرقية" - في عام 548/ 1153 أو 550/1155 في شمال غرب إيران، في سهرورد في محافظة جبل بالقرب من أذربيجان. لقد مات شهيداً في حلب، اضطهد وحكم عليه من قبل علماء الشريعة في عام 1191/587، عن عمر يناهز السادسة والثلاثين أو الثامنة والثلاثين. كان هدف عمله طوال حياته هو استعادة الحكمة الثيوصوفية لبلاد فارس القديمة في الإسلام نفسه، وباستخدام موارد الجانب الروحي الخالص للإسلام. قبل أربعة قرون تقريبًا من كتاب جيمستيس بليثو البيزنطي العظيم، ربط عمل للسهروردي بين اسمي أفلاطون وزرادشت (زوروستر) في ميتافيزيقا النور، حيث يتم تفسير الأفكار الأفلاطونية عن طريق علم الملائكة الزرادشتي.

في مذهبه، تتخذ كلمة "الشرق" معنى تقنياً. بالمعنى الحرفي، هو في آن واحد الشرق الجغرافي، أو بتعبير أدق، عالم إيران والساعة التي يضيء فيها الأفق بنيران الفجر. بالمعنى الحقيقي - أي بالمعنى الروحي - فإن الشرق هو عالم كائنات النور، الذي ينبثق منه فجر المعرفة والنشوة في رحلة الروح. لا توجد فلسفة حقيقية لا تصل إلى اكتمالها في ميتافيزيقا النشوة، ولا توجد تجربة صوفية لا تتطلب إعدادًا فلسفيًا جادًا. وهكذا كانت الحكمة الناشئة للخسروانيين، أولئك الإيرانيين القدماء الذين اجتمع في شخصهم المعنيان لكلمة "الشرق" - الشفق القطبي،

الإشراق. كان من المقدر أن يكون لهذه "الفلسفة الشرقية" ممثلون في إيران حتى يومنا هذا؛ فقد طبعت بصمتها على الحياة الروحية لإيران بأكملها. اعتاد مؤلفو كتاب "إيران" على تكرار أن حكمة الإشراق بالنسبة للفلسفة هي بمثابة التصوف بالنسبة لعلم اللاهوت المدرسي (الكلام).

II. كان محيي الدين بن عربي (ولد في مرسية في الأندلس، 560/ 1165؛ توفي في دمشق عام 688/ 1240) أحد أعظم المتصوفين والعارفين بالدين على مر العصور، وكان دوره في الإسلام الروحي عاملاً حاسماً، ويمكن القول بحق، دون مبالغة، إن عمله كان ضخماً. أشهر كتبه هو كتاب الفتوحات المكية، والذي يتألف من حوالي 3000 صفحة مطبوعة بحجم كبير في شكل ربعي. لكن في أطروحته للدكتوراه (تاريخ وتصنيف أعمال ابن عربي، مجلدان، المعهد الفرنسي في دمشق، 1964)، قام عثمان يحيى بجمع 550 عنوانًا من المخطوطات الموجودة (أكثر من 2000 عنوان)، والتي قام بفحص كل منها شخصيًا. إذا قمنا بحذف عناوين أعمال 138 للمؤلف الغير مؤكدة، فستظل هناك قائمة ببليوغرافية تضم 412 عنوانًا. ركز بحثنا السابق على دراسة رموز "منحنى حياته" وبعض المواضيع السائدة في أعماله الضخمة. هنا لا يسعنا إلا الإشارة إليها بإيجاز، لا سيما وأن هذا الكتاب، من بعض النواحي، هو استمرار لدراستنا بعنوان "الخيال الإبداعي في فلسفة ابن عربي". الصفحات التي تظهر لاحقاً لا تقل أهمية عن تلك الدراسة عن أهميتها لهذا الكتاب.

III. داود القيصري، المولود في الأناضول، كما يشير اسمه (قيصرية = قيصرية)، استقر لاحقًا في القاهرة وكان أحد الشخصيات الصوفية العظيمة في القرن الثامن من الهجرة؛ توفي عام 751/1350. وهو معروف بشكل خاص بتعليقه الموسع على أحد كتب ابن عربي، وهو كتاب الفصوص الحكمة، الذي كان الأكثر قراءة وشرحاً في جميع اللغات الإسلامية. يتضمن هذا التعليق مقدمة متطورة للغاية حول المواضيع الرئيسية للتصوف لدرجة أنه في بعض قوائم المراجع يعتبر عملاً مستقلاً. وقد أدى هذا التعليق

بدوره إلى مزيد من الشرح للموضوع، حتى في إيران الشيعية؛ ومن بين الشروحات الأحدث تلك التي قدمها ميرزا رضا قمشاهي (توفي في 1310/1892 في طهران). أضاف معاصره، ابن سيناء الشهير، أبو الحسن جِلْوَه (توفي عام 1317/1899)، تعليقًا شطيًا آخر مباشرة على الفصوص.كان هذان الاثنان أيضًا من المعلقين على العمل العظيم لمولا صدرا الشيرازي (انظر أدناه، المادة VI)

IV. ينتمي عبد الكريم الجيلي أو جيلاني، المولود في عام 767/1365، كما يدل اسمه (جيلين هي محافظة تقع على الساحل الجنوبي الغربي لبحر قزوين)، إلى عائلة من أصل إيراني ولكنها استقرت منذ فترة طويلة في بغداد، مثل العديد من العائلات الإيرانية حتى يومنا هذا. ومن المثير للدهشة أن المجموعات السيرية لا تذكره، وعلينا أن نستخلص المعلومات حول سيرته الذاتية الروحية من أعماله الخاصة. ومنها نعلم أنه على الأرجح كان ينتمي إلى الطريقة الدراويشية القادرية، التي أسسها عبد القادر الجيلاني (توفي عام 561 / 1165)؛ ويمكننا أن نستنتج من بعض الأدلة أنه كان من نسل الأخير. سافر في الهند ثم عاش في اليمن. أشهر كتبه وأكثرها قراءة هو كتابه عن الإنسان الكامل (كعالم مصغر يعيد تلخيص الطاقات الكونية الإلهية)، لكنه ترك حوالي عشرين كتابًا آخر، معظمها غير منشور، على الرغم من أنها جميعًا تستحق النشر. يجد عمله مكانه في خط عمل ابن عربي؛ فقد كتب تعليقًا على الفصل قبل الأخير (الفصل 559) من كتاب الفتوحات؛ ومع ذلك، فإن مذهبه الخاص يُظهر أصالة شخصية كبيرة. توفي عام 805/ 1403، عن عمر يناهز الثامنة والثلاثين.

V. جاء شمس الدين محمد جيلاني اللاهيجي، وهو من مواليد لهيجان، بدوره ليستقر على شواطئ بحر قزوين. كان شيخاً بارزاً في الطريقة الدراويشية نوربخشية، وخلف لاحقاً السيد نور بخش كرئيس للطريقة. توفي ودفن في شيراز عام 869/ 1465. يُعد عمله الرئيسي، الذي صدرت منه عدة طبعات في إيران، مثالاً بارزاً على الروحانية الإيرانية. مكتوبة باللغة الفارسية، وهي عبارة عن ملخص لـ للصوفية الشيعية، في شكل تعليق على "حديقة أسرار الورد

وهي قصيدة طويلة تتكون من حوالي 1500 بيت شعري تتناول في جمل موجزة وإيحائية المذاهب السامية للصوفية. هذه القصيدة (التي تم تبنيها بشكل ملحوظ من قبل الأسماعيلية) قد ألفها الشيخ الشهير من أذربيجان، محمود شبيستري، الذي عاش معظم حياته في تبرز، وتوفي عن عمر يناهز 33 عامًا في عام 720/1320 ودفن في شبيستر. لا تزال القصيدة، وكذلك شرحها، تُقرأ على نطاق واسع في إيران.

VI. يعد صدر الدين محمد شيرازي، الذي يُطلق عليه غالبًا لقبه الفخري، الملا صدرا، أحد أعظم الشخصيات الإيرانية في العصر الصفوي. كان تلميذاً للسيد مير داماد الشهير (معلم المدرسة التي أطلقنا عليها اسم مدرسة أصفهان)، وللشيخ بهائي، ومير فينداريسكي، وهو شخصية غامضة إلى حد ما، لعب دوراً ما في بدء ترجمة النصوص السنسكريتية إلى الفارسية في عهد شاه أكبر ودارا شيكوه. يُعد عمل الملا صدرا تعبيراً ضخماً عن النهضة الإيرانية في عهد الصفويين. وهو يمثل عادةً التقاء مذهب ابن سينا وإشراق السهروردي من جهة، ومذهب ابن عربي والغنوص الشيعي من جهة أخرى. ومع ذلك، على الرغم من أن الملا صدرا هو إشراقي، إلا أنه يطور ميتافيزيقا الوجود وقلق الوجود، بدلاً من ميتافيزيقا الجوهر عند السهروردي، مما يضفي طابعًا شخصيًا للغاية على تركيبه. ونتيجة لعمله، واجه هو وجميع أتباعه وخلفائه مشاكل كبيرة مع رجال الدين الرسميين. تتألف أعماله الكاملة من خمسين عنواناً وتغطي مجال الفلسفة والتصوف، فضلاً عن التفسير الروحي للقرآن الكريم والتقاليد الشيعية. وقد خُصصت العديد من الشروح لأعماله، وفي الوقت الحاضر، يميل نهضة الفلسفة الإيرانية التقليدية إلى الظهور حول اسمه. توفي الملا صدرا في البصرة عام 1050 / 1662، أثناء عودته من رحلة حج إلى مكة.

VII. كان الملا عبد الرزاق اللاهيجي (توفي عام 1072/ 1662) إيرانيًا شماليًا آخر يعيش على شواطئ بحر قزوين وكان تلميذًا متميزًا للملا صدرا. بل إنه أصبح

صهر معلمه وحصل منه على "الاسم المستعار" فيض (المتدفق)، تمامًا كما تلقى صهره، محسن، اسم فيض - (فيضان فائض). لم تكن شهرته وإنتاجيته تضاهي شهرة وإنتاجية صهره، لكنه ترك حوالي اثني عشر عملاً متيناً لا تزال تستخدم على نطاق واسع حتى اليوم؛ وينطبق هذا بشكل خاص على تعليقه على نصر الدين الطوسي، الفيلسوف الشيعي العظيم في القرن الثالث عشر، والعمل باللغة الفارسية بعنوان جوهر المريد (الجوهر المرغوب فيه)، الذي كتبه للشاه عباس الثاني (1642-1667). لا شك أن ميله إلى اللغة الإشراق و التصوف أقل وضوحًا من ميل محسن فيض:، ولكن في حالة الكاتب الشيعي يجب دائمًا مراعاة احتمال أنه يتعمد التكتم. كان لدى مولا صدرا ولدان كانا أيضاً فيلسوفين وكاتبين. ترك أحدهم، وهو مرزا حسن، اثني عشر عملاً، ويبدو أن مخطوطاتها، مثل العديد من الأعمال الأخرى، قد دُفنت في "أسرار" مجموعة خاصة ما.

VIII. كان محسن فيض كاشاني، إلى جانب صهره عبد الرزاق اللاهيجي، أحد ألمع تلاميذ الملا صدرا، وبعده، أحد أعظم علماء الإمامية خلال القرن الحادي عشر للهجرة. ولد في كاشان، حيث كان والده، مولا شاه مرتضى، مشهوراً بالفعل بعلمه ومكتبته الشخصية القيّمة. جاء إلى شيراز، حيث درس على يد عالم اللاهوت الشهير السيد ماجد البحريني، ثم على يد الملا صدرا، الذي تزوج إحدى بناته أيضاً. كان فيلسوفاً وصوفياً، متديناً بشدة، ومعجباً كبيراً بابن عربي. لقد كتب العديد من الأعمال؛ فهناك حوالي 120 عنوانًا في قائمة مؤلفاته، باللغتين الفارسية والعربية، تتناول جميع الفروع التقليدية للعلوم الإسلامية. كان أيضاً شاعراً؛ إذ يحتوي كتابه "ديوان" على نحو ألف بيت شعري. توفي في كاشان في عام 1091/1680.

IX. تدين مدرسة الشيخي باسمها وأصلها لمؤسسها، الشيخ أحمد الإحسائي، أعظم شيوخها. لقد أتيحت لنا الفرصة بالفعل للإشارة إلى أنها علامة على إحياء قوي للمعرفة البدائية للشيعى وللتعاليم الواردة في التقاليد التي تعود إلى الأئمة المقدسين. كان هذا الحدث، الذي

وقع في إيران في نهاية القرن الثامن عشر، بعد فترة الاضطرابات التي أعقبت انهيار السلالة الصفوية، بمثابة عرض من أعراض تلك الفترة. سندرس هذه المدرسة بالتفصيل في وقت لاحق، ولذلك سنشير إليها هنا فقط، مع التركيز على ثلاث نقاط رئيسية.

تم عرض لمحة عن المذهب الأساسي لعلم الإمامة الذي طورته هذه المدرسة في الصفحات القليلة السابقة (الجزء الأول، الفصل 2،

§1. أما فيما يتعلق بمذهبها حول "الجسد الروحي"، فقد تمت مناقشته بالتفصيل في الفصل 2، الفقرة 4. وفي صفحات لاحقة، توجد بعض الصفحات المهمة التي تشير إلى كيف أن المذهب يقف في منتصف الطريق بين مذهب الفلاسفة ومذهب اللاهوتيين الحرفيين. دعونا نلاحظ أيضًا، على الرغم من أننا لم نتمكن من التأكيد على ذلك هنا، مدى أهميته في تطوير أحد المواضيع العظيمة التي تأمل فيها الروحانيون في الإسلام بلا كلل، ألا وهو معراج النبي إلى السماء، ليلة المعراج. وأخيراً، طورت المدرسة مذهباً للمجتمع الروحي، وهو مذهب "الشيعي الكامل"، والذي يمكننا أن ندرك فيه -بالطبع، وفقاً لمتطلبات النغمة الخاصة بالإمامية- صدى ليس فقط لفكرة رجال الغيب، ولكن أيضاً لفكرة الكنيسة الروحية، التي تأمل فيها العديد من الروحانيين المستقلين في المسيحية. أظهر الأرثوذكس الحرفيون عدم فهم مطلق لكل هذه النقاط، من بين العديد من النقاط الأخرى. إذا تتبع المرء القصة المحزنة للمناقشات والمشاحنات، فقد يتساءل عما إذا كان الأرثوذكس قد بذلوا، أو حتى استطاعوا بذل، أدنى جهد لفهم الطبيعة الحقيقية لهذه المشاكل. لا بد أن يكون المرء ساذجاً جداً لكي يتفاجأ بذلك. لطالما أثارت الحقائق الروحية نفسها ردود الفعل البشرية نفسها.

كان الشيخ أحمد الأحسائي (توفي عام 1826/1241)، مؤسس المدرسة، من مواليد البحرين، لكنه قضى أكثر من خمسة عشر عامًا من حياته في إيران، ومن المحتمل أنه لولا الجمهور الإيراني لما كانت هناك "شيخية". كان الشيخ يقيم بشكل رئيسي في يزد، حيث كان يتمتع بحسن نية الحاكم، محمد. علي ميرزا، فتحعلى شاه. قام مع عائلته بعدة رحلات عبر أراضي إيران إلى طهران (حيث رغب الحاكم، فتحعلى شاه قاجار،

في أن يستقر بشكل دائم)، وإلى مشهد، مزار الإمام الثامن، وإلى أصفهان، وإلى قزوين، وإلى كرمانشاه. وأخيراً انسحب الشيخ إلى الأماكن المقدسة للشيعى في العراق. لن يكون من الممكن هنا حصر جميع أعماله (تحتوي قائمة المراجع التي وضعها الشيخ سركار أغا على 132 عنوانًا، والتي يجب إضافة العديد من الأعمال التي فُقدت للأسف إليها)، أو تقديم نبذة عن سيرته الذاتية، والتي تتوفر عنها وثائق مباشرة. لكن ما نود الإشارة إليه على الأقل هو الهالة الروحية التي تحيط بشخصية الشيخ أحمد الأحسائي المميزة حقًا. وكان من حسن حظه أن يكون له سلسلة من الخلفاء على رأس مدرسة الشيخية، تميزوا بنبل أخلاقهم وقوة شخصيتهم الروحية، تمامًا كما تميزوا بإنتاجهم العلمي.

X. كان الشيخ الحاج محمد كريم خان كرماني (توفي عام 1288/ 1870) ثاني خليفة للشيخ أحمد الإحسائي على رأس المدرسة الشيخية. كان محمد كريم خان تلميذًا للسيد كاظم رشتي، الذي كان التلميذ المحبوب للشيخ وأول خلفائه (توفي عام 1259/ 1843). كان كريم خان أميراً من عائلة القاجار من خلال والده. إن استذكار مسيرته الروحية في يوم من الأيام سيتطلب كتابًا كاملاً. . في اتساع هذه الروح العالمية، التي تشمل وتتجاوز الثقافة الروحية الكاملة لدائرته وعصره، يوجد شيء يشبه غوته الإيراني. يبلغ مجموع أعماله، باللغتين الفارسية والعربية، ما لا يقل عن 278 كتابًا؛ وهي لا تغطي مجال الفلسفة والثيوصوفيا الشيعية، والتفسير الروحي للقرآن والحديث، فحسب، بل تشمل أيضًا موسوعة للعلوم: الطب، والفيزياء، والبصريات، وعلم الفلك، ونظرية الضوء، والموسيقى، واللون، بما في ذلك الخيمياء والعلوم ذات الصلة. ينبغي أن تكفي الصفحات القليلة التي ترجمناها لإظهار أن الأخير تناول بشكل أساسي العلوم الروحية. لا يزال جزء كبير من هذا العمل الرائع غير منشور. وينطبق الشيء نفسه على العمل الواسع النطاق الذي قام به ابناه، الشيخ الحاج محمد خان كرماني (توفي عام 1324/1906) والشيخ زين العابدين خان كرماني (توفي عام 1361/1942)، واللذان كانا الخليفة الثالث والرابع للشيخ أحمد. إن إنتاج

مدرسة الشيخية، وهو الإنتاج الأصلي للغاية، بالإضافة إلى الأعمال المنشورة، لا يزال يتألف من عشرات الآلاف من صفحات المخطوطات غير المنشورة.

XI. ولد الشيخ أبو القاسم خان إبراهيم في كرمان عام 1314/ 1896، وهو ابن الشيخ زين العابدين خان وحفيد الشيخ محمد كريم خان. يناديه قومه باختصار وباحترام ومودة باللقب التشريفي "ساركار آغا". وهو اليوم خامس خليفة للشيخ أحمد الأحسائي يتولى رئاسة المدرسة الشيخية. وتشمل أعماله، التي تعتبر في حد ذاتها مهمة، عملاً ضخماً يوسع بعض المواضيع الصعبة في أعمال الشيخ محمد كريم خان كرماني. تتألف الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب من مقتطفات من هذا العمل؛ وهي الأنسب لإظهار مكانة الموضوع قيد المناقشة هنا في مجمل الروحانية الشيعية. وعلى هذا الأساس أود أن أشيد بالشخصية المتميزة للشيخ سركار آغا. لقد أتيحت لي الفرصة، شخصياً، لتجربة إشعاعه الروحي على من حوله، ولتعلم أشياء لم أكن لأتعلمها أبداً من الكتب، وذلك خلال العديد من المحادثات التي أتاحها بفضل لطفه.

هؤلاء هم الرجال الذين اخترنا منهم النصوص "التقليدية". إننا نستخدم هذا المصطلح هنا بنفس البساطة التي يستخدمونها هم أنفسهم، ولا نشير بأي شكل من الأشكال إلى سلطة سرية وغامضة للتعليم، وهو ما يميل الغربيون إلى افتراضه عندما يناقشون هذه الأمور. إنها ببساطة تعني النصوص التي يلجأ إليها المرء تقليدياً عند التعامل مع موضوع مثل الموضوع الحالي.

وأخيراً، تبين أن عدد مؤلفينا أحد عشر مؤلفاً، على الرغم من أن هذا لم يكن مقصوداً من جانبنا. ومع ذلك، من المحتمل ألا يقبل أي من أتباع طائفة الاثني عشر هذا الأمر على أنه نتيجة للصدفة، لأنه سيعرف مكان وجود الثاني عشر.

1

شهاب الدين يحيى السهروردي
(ت. 587 /1191)

هورقليا، عالم الصور المستقلة والإدراك الخيالي

(a) أ) كتاب المحادثات*

عندما تعلم من كتابات الحكماء القدماء أن هناك عالماً ذا أبعاد وامتداد، بخلاف عالم العقول والعالم الذي تحكمه أرواح الأفلاك، وأن فيه مدناً لا تعد ولا تحصى ذكر النبي نفسه من بينها جابلقا وجابلسا، فلا تسارع إلى إعلان ذلك كذباً، فهناك حجاج روحيون يأتون لرؤيتها بأعينهم ويجدون فيه ما تشتهيه قلوبهم. أما حثالة الدجالين والكهنة الكذبة، فسوف ينكرون ما رأيت حتى لو قدمت دليلاً لكشف كذبهم. لذلك، التزم الصمت واصبر، لأنه إذا وصلت في النهاية إلى كتابنا عن الفلسفة الشرقية، فلا شك أنك ستفهم شيئًا مما قيل للتو، شريطة أن يقدم لك مرشدك التوجيه. وإلا، فكن مؤمناً بالحكمة.

(b) كتاب التوضيح

قصة وحلم: لفترة من الوقت كنت فريسة لهوس شديد. لقد مارست التأمل والتمارين الروحية بلا انقطاع، لأن مشكلة المعرفة كانت تهاجمني بصعوبات لا حل لها. ما ورد في الكتب حول هذا الموضوع لم يُضف لي أي جديد. في إحدى الليالي بالذات، عشت نشوة أشبه بالحلم. فجأة شعرت باللطف يلفني؛ كان هناك

. * طبعتنا، صفحة 109، في الحواشي؛ مقتبس هنا بالإشارة إلى المخطوطة[1]. •
ص. 70، الفقرة 55.

وميض مبهر، ثم ضوء شفاف للغاية على هيئة إنسان. راقبته بانتباه، وهناك كان: معين النفوس، إمام الحكمة، المعلم الأول، الذي ملأني شكله بالدهشة وأبهرني جماله المتألق. اقترب مني، وحياني بلطف شديد لدرجة أن حيرتي تلاشت وتحول خوفي إلى شعور بالألفة. ثم بدأت أشتكي له من المشكلة التي أواجهها مع هذه المسألة المعرفية.

قال لي: "عد (استيقظ) إلى نفسك، وسيتم حل مشكلتك".

"كيف ذلك؟" سألت.

"هل المعرفة التي لديك عن نفسك هي إدراك مباشر لذاتك من قبل نفسك، أم أنك تحصل عليها من شيء آخر؟..." 2

وفي وقت لاحق، أشار السهروردي إلى معنى هذه المحادثة في كتابه "كتاب المحادثات"، الصفحات 483-484، الفقرة. *208.*

أما بالنسبة للرأي الذي أتبناه شخصياً بشأن هذه المشكلة (المعرفة)، فقد تم ذكره في كتابي عن "حكمة الإشراق"، ولكن ليس من الممكن بالنسبة لي الخوض فيه هنا بشكل صريح، لأنني في هذا الكتاب كنت أنوي إجراء بحثي بطريقة لا تكون بعيدة جداً عن برنامج المشائيين. ومع ذلك، إذا قام المرء بدراسة هذا الكتاب الحالي بعناية، فسيجد أنه لا يخلو من الأشياء الثمينة والكنوز المخفية تحت حجاب رقيق. إذا لم يتمكن الأحمق من اكتشافها، فالخطأ ليس خطئي. أما العامل الدؤوب والباحث المثابر، فليجمع التعاليم الراسخة في هذا الكتاب، وليتمسك بما لم يجرؤ على الرغبة فيه بعد، والذي سأزوده بالجرأة اللازمة من أجله. إن أضمن طريقة يجب على الباحث اتباعها قبل دراسة حكمة الإشراق هي الطريقة التي ذكرتها في كتابي "التوضيحات". أروي فيه ما حدث بين الإمام الحكيم للمجادلين وبيني، عندما تحدث معي ظهوره في المسكن الغامض، جابلسا. بالنسبة للباحث، يتمثل هذا الطريق أولاً وقبل كل شيء في استكشاف معرفته بذاته،

ثم في الارتقاء بنفسه إلى معرفة ما هو أعلى منه.3

(c) كتاب التوضيح*

في إحدى الليالي التي أشرقت فيها الشمس، كان هرمس يصلي في معبد النور. عندما انبثق "عمود الفجر"4، رأى أرضًا على وشك أن تُبتلع، بمدنٍ حلّ عليها الغضب الإلهي وسقطت في الهاوية.5

ثم صاح هرمس قائلاً: "يا أبي، أنقذني من حصار أولئك الذين هم على وشك الهلاك!"

وسمع صوتاً يصيح بالإجابة: "أمسك بحبل إشعاعنا واصعد إلى أسوار العرش".

ثم صعد إلى الأعلى، وهناك، تحت قدميه، كانت الأرض والسماء.

الشهرازوري: يشير المؤلف من خلال هرمس بشكل رمزي إلى الروح النبيلة والكاملة. صلاته هي بوصلته نحو العالم الآخر. إن ليلة الشمس هي الحضور، هناك وحينها حقيقة، لما تتطلع إليه النفس في مساعيها الروحية وفي اتباعها للمسار الصوفي. إن انبثاق "عمود الفجر"6 هو بمثابة تجلي النفس خارج الجسد المادي، عندما تشرق عليها الأنوار الإلهية وأقدس النيران فجأة. وكما يرتفع عمود الفجر بالنسبة لنا فوق الأفق الأرضي، فإن عمود الفجر هذا - الذي يشير إلى النفس المفكرة - ينبثق من خلال الارتفاع فوق أرض الجسد. لذا فمن الصحيح تماماً أن هرمس يرى الأرض وهي تُبتلع. إن الحاج، أي النفس المفكرة، التي تتجلى في ومضة البرق الإلهي خارج الجسد المادي، ترى أرض جسدها ومدنها - أي ملكاتها - وهي تُبتلع معًا. وذلك لأن النفس، بفضل الوحي والتجلي، تجد نفسها في فضاء الأنوار المعقولة والكيانات العليا، بينما يبقى الجسد وقواه في فضاء العالم الأدنى الذي يسقط فيه الغضب الإلهي.

- * ص. 108 الفقرة 83.120

هذه طريقة للإشارة إلى أن الأخير يمثل ما هو أبعد ما يكون عن الجلال الإلهي. ثم يصعد الحاج الصوفي من هاوية الجسد المادي نحو ذروة الذكاء، وينادي "أباه"، وهو اسم يشير إما إلى الكائن الضروري نفسه أو إلى العقل الملائكي الذي تنبثق منه النفس الصوفية. "أنقذني"، يصرخ، "من حصار أولئك القريبين من الهلاك"، أي القدرات الجسدية والتعلقات المادية. يجيبه صوت قائلاً: "تمسك بحبل الإشعاع"، أي الثيوصوفيا النظرية والثيوصوفيا العملية، وكلاهما يؤدي إلى العوالم العليا. "اصعد إلى أسوار العرش"، موجهة إلى العقول الملائكية المنفصلة عن المادة. وهناك تحت قدميه كانت الأرض والسماء. وهكذا رُفع هرمس بالفعل فوق كل الأكوان المادية، فوق عالم الأفلاك السماوية وكذلك فوق عالم العناصر. كان الحكماء القدماء معتادين على الإشارة إلى الكيانات الروحية باسم "الأجرام/الأفلاك السماوية"، لأن تلك التي يكون نورها أقوى تحيط بالأضعف، تمامًا كما تحيط الأجرام السماوية ببعضها البعض. هذا ما يشير إليه أفلاطون عندما يقول: "في حالة من النشوة رأيت أفلاكًا من النور"، وهو ما يعني السماوات التي لا يمكن رؤيتها إلا من قبل أولئك الذين قاموا من الموت، عندما تحل أرض أخرى محل الأرض وعندما تحل سماوات جديدة محل السماوات.

ابن كمونة: من الصعب فك رموز هذه الرموز مجتمعة. تخميننا هو كالتالي: 7 إن عمود الفجر المنبثق هو تجلي أنوار المعرفة العليا. الأرض هي الجسم، أو المادة بشكل عام. المدن هي النفوس التي ارتبطت بالأجسام المادية، أو هي القدرات التي تتخذ من الأخيرة مقراً لها. يبدو إذن أن المؤلف يقارن القدرات بسكان

هذه المدن ويسمي السكان أنفسهم مدنًا، كما هو الحال عندما يقول: "لقد لجأت المدينة إلى الله"، قاصدًا بذلك السكان. إن سقوطهم في الهاوية هو سقوط هذه النفوس من المرتبة التي كان من المفترض أن يمنحها إياها مبدأ طبيعتها الأصلية. أنت تعرف بالفعل الحالة وسبب هذا السقوط. إن الغلاف هو الجسد، والوظائف الجسدية هي تلك القريبة من الهلاك. حبل

الإشعاع هو الصلة بالعالم الأعلى. أسوار العرش هي الكيانات الروحية. وأخيراً، فإن حقيقة وجود أرض وسماء تحت قدمي هرمس تعني أنه في صعوده قد ترك عالم الأجساد والحقائق المادية وأصبح فوق أرضهم وكذلك سمائهم.

يشرع ابن كمونة، مثل الشهرازوري من قبله، هنا في الإشارة إلى الرواية الشهيرة عن النشوة التي ينسبها جميع مؤلفينا إلى أفلاطون، في حين أنها، كما نعلم، تأتي من سيرة ذاتية روحية في كتاب التاسوعات لأفلوطين (الكتاب الرابع، الفصل الثامن 1). يعرف مؤلفونا ذلك من خلال فقرة من كتاب اللاهوت المنسوب إلى أرسطو، والذي كان أحد كتبهم المفضلة، إن صح التعبير. يقتبس السهروردي السطور الأولى في كتابه "حكمة الإشراق"، ويقوم معلقه قطب الدين الشيرازي بنسخ المقطع بأكمله بحماس. لا يشكك معلقونا - وهم على حق تمامًا - في أن نشوة هرمس تعني دخوله إلى العالم الآخر، أي عالم هورقليا. وتأكيداً لذلك، يستشهد ابن كمونة بنفس المقاطع الثلاثة المترجمة أعلاه. لقد خرج هرمس من حدود الأرض والسماء المرئية لعلم الفلك، واخترق عالم الصور المثالية الذي له أرضه وسمائه الخاصة، والذي يحتوي، من بين مدن أخرى لا تعد ولا تحصى، على جابلقا وجابلسا. ويخلص ابن كمونة إلى ما يلي: "إن النية الحقيقية للمؤلف في هذا المقطع تثير لي صعوبات أكثر من كل ما ورد سابقاً في هذا الفصل". لم يواجه الشهرازوري هذه الصعوبات؛ ولكن من الصحيح أن ابن كمونة لم يكن متصوفًا.

بما أن وصف النشوة كما يظهر في النص العربي لكتاب اللاهوت المنسوب إلى أرسطو كان إعادة صياغة لنص كتاب التاسوعات، فإننا لا نقدم الترجمة هنا. علاوة على ذلك، فإن هذه الأرض الجديدة وهذه السماوات الجديدة، التي لم تعد تلك الخاصة بالعالم الحسي، بل تلك الخاصة بالكون الخيالي، العالم المثالي، يتم وصفها مرة أخرى في المقطع من اللاهوت الذي يستخدمه غالبًا صدر الدين الشيرازي (انظر أدناه، المادة 6) في دروسه حول الكتاب الثاني من الجزء الثاني من حكمة الإشراق. هذا النص في حد ذاته مبرر لربط صورة السماوات أو أفلاك النور بالكيانات الروحية التي رآها أفلاطون، وفقًا لمؤلفينا. نقتبس هنا ترجمة هذا المقطع من قبل زميلنا جورج فاجدا. 8

هناك عدة أنواع من الكيانات الروحية. بعضهم يسكنون في السماء، في السماء المرصعة

بالنجوم. كل كيان من الكيانات الروحية التي تعيش في هذه السماء يشغل كامل مجال سمائه، ومع ذلك له مكان ثابت، متميز عن مكان رفيقه - على عكس الأشياء المادية الموجودة في السماء - لأنها ليست أجسامًا، وليست السماء المعنية جسمًا. ولهذا السبب يشغل كل واحد منهم كامل سمائه. نقول إن وراء هذا العالم سماء وأرض وبحر وحيوانات ونباتات وبشر سماويين؛ كل كائن في ذلك العالم سماوي وليس فيه شيء أرضي. الكيانات الروحية الموجودة هناك تتوافق مع البشر الموجودين هناك؛ لا يختلف أي منهم عن الآخر، ولا يوجد تعارض أو خلاف بينهم، بل يدعم كل منهم الآخر.

(d) كتاب المحادثات*

يمكن أن يحدث اللقاء مع الواقع فوق الحسي من خلال طريقة معينة لقراءة نص مكتوب؛ ويمكن أن يحدث من خلال سماع صوت، دون أن يكون المتحدث مرئيًا. أحيانًا يكون الصوت ناعمًا، وأحيانًا أخرى يجعل المرء يرتجف، وفي أحيان أخرى يكون مثل همس لطيف. قد يكون المتحدث قد جعل نفسه مرئياً بشكل ما، إما ككوكبة، أو على صورة أحد الأمراء السماويين العظماء. إن تجربة النشوة الحقيقية في عالم هورقليا تعتمد على الأمير العظيم، هورخش، وهو أسمى من اتخذ جسداً، وهو الشخص المبجل للغاية والذي، في مصطلحات حكمة الإشراق، هو الوجه الأعلى لله. هو الذي يدعم تأمل النفس بإغداق النور عليها، وهو شاهد على تأملها.10 وهناك أيضًا زيارات ورسائل من أمراء سماويين آخرين. أحيانًا تتكون الزيارة من ظهور بعض هؤلاء الأمراء السماويين في أشكال أو أماكن تجلية مناسبة للحظة التي يظهرون فيها أنفسهم للناسك الكامل. أحيانًا تكون النفوس الماضي هي التي تحفز الصحوة أو النداء الداخلي. في بعض الأحيان يتخذ الشبح شكلاً بشرياً، وفي أحيان أخرى شكل كوكبة،

. ص 494 -96، فقرات 215-26.

أو شكل عمل فني، أو تمثال ينطق بكلمات، أو شكل يشبه الأيقونات الموجودة في الكنائس، والتي تتمتع أيضاً بالقدرة على الكلام. أحيانًا يتخذ المظهر شكله مباشرة بعد صدمة الضوء الآسر؛ وفي أحيان أخرى لا يأتي إلا بعد شكل الضوء. عندما يستمر الضوء الساطع لفترة طويلة، فإنه يمحو الشكل؛ وتختفي الأشكال ويتم طمس الزيارة الفردية. عند هذه النقطة، يدرك المرء أن ما تم محوه يفسح المجال لشيء من مستوى أعلى...

إننا ننكر حق المشائيين في الحديث عن الأشكال والحقائق التي تصبح مرئية للمتأملين ذوي الرؤى، لأن ما هو محل نقاش هو طريق لم يتبعه أي منهم تقريبًا، وحتى في تلك الحالات القليلة جدًا ظلت التجربة الصوفية ضعيفة وغير مستقرة. إن متبع الطريق الصوفي الذي تلقى تأهيله من معلم ذي خبرة ثيوصوفية،11 أو بفضل المساعدة الإلهية الخاصة التي توجه المنفي المنعزل - وهي حالة نادرة للغاية - سيفهم تمامًا أن المشائيين قد أغفلوا تمامًا عالمين ساميين لم يظهرا أبدًا في مناقشاتهم، وأن هناك عددًا من الأشياء الأخرى التي تبقى خارج نطاق فلسفتهم.

(e) من نفس العمل *

. . . باختصار، إنّ المتصوف الذي بلغ التجربة الصوفية الحقيقية هو من يصبح جسده المادي أشبه برداء يخلعه تارةً ويرتديه تارةً أخرى.12 ولا يُمكن اعتبار أي إنسان من المتصوفين ما دام يجهل جوهر الحكمة الصوفية، وما دام لم يختبر هذا الخلع وهذا الارتداء. ومن تلك النقطة، يصعد نحو النور حسب رغبته، وإذا رغب في ذلك، يمكنه أن يظهر نفسه بأي شكل يختاره. هذه القوة تنتج فيه بواسطة النور الشفقي (نور شارق) الذي يشع على جسده. ألا ترى كيف أن الحديد عندما يسخن بالنار يصبح أحمر متوهجاً، فإن الحديد يتخذ مظهر النار؛ فهو يشع

.. * الصفحات 503-505، الفقرات 223-24.

ويشتعل؟ وينطبق الأمر نفسه على النفس التي جوهرها هو جوهر العالم الروحي. عندما تخضع لتأثير الضوء وترتدي رداء الضوء الشفقي 13 فإنها قادرة أيضاً على التأثير والعمل؛ فهي تصنع علامة ويتم إطاعة العلامة؛ إنها تتخيل وما تتخيله يحدث وفقاً لذلك. يخدعنا المحتالون بالخداع، لكن الإنسان المستنير، الإنسان الكامل، الإنسان المحب للانسجام، محصن من الشر ويعمل من خلال الطاقة وبمساعدة النور لأنه هو نفسه ابن عالم النور.

. إذا كان ما يسود في الجوهر الأساسي للنفس هو الأمر القهري، فإن نور الفجر يشرق على النفس بطريقة تجعل ذلك الجزء من حقائق النصر المنبثقة من الأبراج ومن الملائكة الذين هم آلهة هذه الأبراج يسود فيها. هذه هي الحقيقة فوق الحسية التي أطلق عليها الفرس القدماء اسم كسفارناه (نور المجد، خوراه بالفارسية).14 هذا شيء، بعد أن نشأ من التوهج النجمي، يبقى قوة مهيمنة في العالم البشري؛ من يمتلكه يصبح بطلاً، فاتحاً، منتصراً. إذا كان نور الفجر المنبثق من النجوم الروحية - الكيانات الروحية النقية

من النور - يتوافق مع قدرة النفس في "بعد" الرغبة والحب، فإن ما يتبقى من كسفارناه الذي يخترقها سيتجلى من خلال جعل مالكها يشعر بالفرح في الأشياء الدقيقة والراقية، ومن خلال إيقاظ الميل والحب في النفوس تجاهه، ومن خلال جعل الناس يغنون مدائحه، لأن الروعة التي تُنقل إلى كيانه مستمدة من الملائكة وطقوسهم المفيدة، وهي جديرة بالتمجيد والحب. وأخيراً، إذا كان هناك توازن وإذا كانت صفات النور المتلقى من نور سامٍ من خلال وسيط الأمير السماوي وفيرة فيه،15 فإنه سيصبح ملكاً عظيماً، محاطاً بالاحترام، ومنعماً بالمعرفة والكمال والازدهار. وهذا وحده هو ما يسمى بالملكي كسفارناه (Kayan Khurrah). يشير هذا في كمالها إلى أسمى الفئات، إذ ينطوي على توازن مثالي للضوء، فضلاً عن كون النور السامي هو بوابة جميع النشوات العظيمة.16

أما بالنسبة لحقيقة المشي على الماء، والانزلاق عبر الهواء،

والوصول إلى السماء، ورؤية الأرض وهي تلتف مثل السجادة، فهذه تجارب يعرفها عدد معين من المتصوفين، بشرط أن يكون النور الذي يصل إليهم ناتجًا عن عمود الفجر في مدن الشرق الوسيط،17 ومن المؤكد أن كل هذا يمكن مواجهته في الطريق الذي يسلكه المتصوفون. أولئك الذين ما زالوا متقدمين بشكل معتدل يتوقفون عند تلك النقطة، أما المتقنون فلا يولونها أي أهمية. على أي حال، لا نعرف أحداً في طائفة المشائيين ممن امتلكوا أساساً متيناً في الحكمة الثيوصوفية، أعني في علم الأنوار النقية.

(f) كتاب حكمة الإشراق*

في هذا الجزء الأخير من عمله العظيم، قدم السهروردي وصفًا تحليليًا لكيفية تجربة الضوء أو الصور الضوئية. يمكن تصنيف هذه الصور تجريبياً إلى حوالي خمس عشرة فئة. يختتم المؤلف تحليله ببعض الملاحظات التي تُكمل المقطع الذي تمت ترجمته للتو.

كما هو الحال في المقاطع الأخرى في نفس الكتاب، فقد أضفنا إليه مواد إضافية لا غنى عنها من المعلق قطب الدين محمود الشيرازي.

كل هذه إشراقات ترتفع فوق النفس البشرية عندما تكون هي المسيطرة على جسدها. ثم تنعكس على المسكن الجسدي (المعبد). تمثل هذه الصور مرحلة منتصف الطريق التي يتوقف عندها البعض. أحياناً تحملهم هذه الأضواء، بطريقة تجعلهم يمشون على المياه وينزلقون في الهواء. قد يكون أنهم يصعدون إلى السماء، ولكن في جسد هو جسدهم اللطيف؛18 ثم يتحدون مع بعض الأمراء السماويين. لكن كل هذه الأحداث تعتمد على ظروف المناخ الثامن بمدنه، جابلقا وجابلسا، وهورقليا، المليئة بالعجائب.

قطب الدين محمودالشيرازي: المناخ الثامن هو عالم الصور والعالم المثالي. في الواقع، الكون الوحيد الذي يمتلك أبعاداً وامتداداً هو الكون المنقسم إلى ثمانية مناخات. سبعة منها هي المناخات الجغرافية السبعة ذات الأبعاد والامتداد التي يمكن إدراكها بالحواس. المناخ

- * ص 254، الفقرة. 273.

الثامن هو المناخ الذي لا يمكن إدراك أبعاده وامتداده إلا من خلال الإدراك الخيالي. هذا هو عالم الصور والأشكال المستقلة (حرفيًا "في حالة تعليق"، أي غير مختلطة بأي ركيزة قابلة للفساد، ولكنها معلقة بالطريقة التي يتم بها تعليق الصورة في المرآة). هذا هو عالم الأجسام اللطيفة، التي وحدها قادرة على الصعود إلى السماء، في حين أن الأجسام المادية، المصنوعة من جوهر العناصر، غير قادرة بشكل أساسي على ذلك. هذا ما يحدث لبعض المتصوفين؛ فمعظم الأشياء المذهلة وغير العادية التي تظهر في حالة الأنبياء والمتأهلين تنتج عن وصولهم ودخولهم إلى ذلك العالم، الذي يعرفون أشكاله الظاهرة وخصائصه المميزة. أما بالنسبة لجابلقا وجابلسا وهورقليا، فهذه أسماء مدن موجودة في عالم الصور المثالية، وقد سُمع النبي نفسه وهو ينطق بهذه الأسماء. ومع ذلك، يجب التمييز بين جابلقا وجابلسا، وهما مدينتان تنتميان إلى عالم العناصر من عالم الصور النمطية، بينما تقع هورقليا في سماوات ذلك العالم نفسه.

(g) من نفس العمل•

لقد علمناكم أنه من المستحيل أن تُطبع الصور مادياً على العين؛ تماماً كما أنه من المستحيل أن تُطبع في مكان ما في الدماغ. الحقيقة هي أن الأشكال التي تُرى في المرايا، تمامًا مثل الأشكال الخيالية، لا تُطبع ماديًا، سواء على المرآة أو على الخيال. لا، إنها "أجسام معلقة"،20 لا تعتمد على طبقة تحتية (والتي ستختلط بها بعد ذلك، تمامًا كما يختلط اللون الأسود، على سبيل المثال، مع جسم أسود). بالتأكيد لديهم أماكن يظهرون فيها، أماكن الظهور (المظاهر)، لكنهم لا يتم احتواؤهم مادياً فيها. بالتأكيد المرآة هي مكان ظهور الأشكال التي تُرى فيها، لكن الأشكال نفسها "معلقة" هناك؛ فهي ليست مثل الأشياء المادية في مكان ما في الفضاء، ولا مثل حادث في طبقتها الأساسية. بالتأكيد، الخيال النشط هو مكان

• * ص. 211، الفقرة 225.

ظهور الأشكال الخيالية، لكن الأشكال نفسها "في حالة تعليق"؛ فهي ليست في هذا المكان، ولا في الطبقة التحتية. الآن إذا قبلنا في حالة المرايا وجود صورة مستقلة، حتى وإن كانت موجودة فقط على السطح، بدون عمق أو أي شيء خلفها، وحتى وإن كان ما هي صورته عرضيًا (على سبيل المثال، الشكل العرضي لزيد، الكامن في مادته)، فسوف نعترف من باب أولى بوجود ماهية جوهرية، وهي ماهية النموذج الأصلي (جوهري، في الواقع، لأنه مستقل عن أي ركيزة) له صورة عرضية (شكل زيد الكامن في مادته). وبالتالي فإن الضوء غير الكامل يُشابه الضوء الكامل. افهموا.

قطب الدين الشيرازي: لذلك، فإن الأشكال الخيالية لا توجد في الفكر، لأن العظيم لا يمكن نقشه في الصغير، ولا في الواقع الملموس، وإلا لكان بإمكان أي شخص يتمتع بحواس سليمة أن يراها. لكنها ليست مجرد عدم وجود، لأنه لو كان الأمر كذلك لما استطاع المرء أن يمثلها لنفسه، ولا أن يميز بينها، ولما أمكن تكوين أحكام مختلفة عنها. وبما أنها شيء ذو وجود حقيقي وليست في الفكر، ولا في الواقع الملموس، ولا في عالم العقول - لأنها أشكال متجسدة، وليست أشياء معقولة خالصة - فلا بد أن توجد في منطقة أخرى، وهذه الأخيرة هي ما يسمى عالم الصورة المثالية والإدراك الخيالي. إنه عالم وسيط بين عالم العقول وعالم الحواس؛ مستواه الوجودي أعلى من عالم الحواس وأدنى من العالم العقول؛ إنه أكثر تجريدًا من الأول، وأقل تجريدًا من الثاني. إنه عالم توجد فيه مجمل الأشكال والهيئات والأبعاد والأجسام، مع كل ما يرتبط بها: الحركات، والراحة، والأوضاع، والتكوينات، وما إلى ذلك، وكلها قائمة بذاتها "في حالة تعليق"، أي أنها لا تحتوي على مكان ولا تعتمد على ركيزة.

يقول لنا المؤلف: "افهموا". وهنا، بالفعل، لدينا سر عظيم، شيء ذو أهمية قصوى. وهذا يعني أن مجمل الأشياء الموجودة في العالم الأعلى لها أدنى مستوياتها ونظيرها في العالم الأدنى. تُعرف جميع 128

الأشياء من خلال أدنى نقطة لها ونظيرها. ثم، عندما تتعلم أن تعرف، كما هو ضروري، حقيقة الأنوار الزائلة، فإن معرفتك تساعدك على معرفة الأنوار غير المادية والجوهرية. والغرض من كل هذا هو أن تعلم أن الضوء الناقص والعرضي الذي هو ضوء شمس العالم الحسي هو صورة الضوء الجوهري الكامل، وهو ضوء شمس عالم العقل، نور الأنوار. وبالمثل، فإن ضوء كل نجم زائل هو صورة لضوء جوهري غير مادي. هذا موضوع هائل، يقدم العديد من التجارب الروحانية. ومن هنا جاءت عبارة المؤلف الحتمية: "افهموا!"

(h) من نفس العمل *

إن هذه الصور والأشكال المستقلة ليست هي الأفكار الأفلاطونية، لأن أفكار أفلاطون هي من نور خالص لا يتغير، بينما من بين الأشكال المعنية يوجد بعضها مظلم - تلك التي تعذب المارقين؛ هذه بشعة، مثيرة للاشمئزاز، رؤيتها تسبب معاناة للنفس، في حين أن البعض الآخر مضيء ويتذوق حلاوته المباركون، وهذه أشكال جميلة متألقة.21

قطب الدين الشيرازي: لم يؤكد حكماء القدماء، مثل أفلاطون وسقراط وأمبادوقليس وغيرهم، وجود الأفكار الأفلاطونية فحسب، وهي أفكار عاقلة ومصنوعة من نور خالص، بل أكدوا أيضًا وجود أشكال تخيلية مستقلة غير كامنة في طبقة مادية لعالمنا. وأكدوا أن هذه مواد منفصلة، مستقلة عن "الأمور المادية"، وأن لها مكانها في ملكة التأمل وفي الخيال النشط للنفس، بمعنى أن هاتين الملكتين هما المكانان الإلهاميان اللذان تظهر فيهما هذه الأشكال؛ بلا شك وبشكل ملموس، على الرغم من أن هذا لا يعني أنها كامنة في طبقة أساسية. أكد الحكماء وجود كون مزدوج: من جهة، كون فوق حسي محض، يشمل عالم الإله وعالم العقول الملائكية؛ ومن جهة أخرى، عالم الأشكال المادية، أي عالم الأجرام السماوية

• ص. 230-34، الفقرات 246-48.

والعناصر وعالم الأشكال الظاهرة، أي عالم الصورة المستقلة.... لا يوجد لهذه الأشكال والصور أساس في عالمنا المادي، وإلا لكانت بالضرورة قابلة للإدراك بالحواس الخارجية ولما احتاجت إلى أماكن لتجليها. لذلك فهي مواد روحية، موجودة في ذاتها وفي عالم الإدراك الخيالي، أي في الكون الروحي.

السهروردي: لقد شهدت في نفسي بعض التجارب الأصيلة التي لا جدال فيها والتي تثبت أن الأكوان أربعة: هناك عالم الأنوار المهيمنة أو الملائكية (الجبروت)؛ وهناك عالم الأنوار التي تحكم الأجساد (النفوس، أي الملكوت)؛ وهناك برزخ مزدوج؛ وهناك عالم الصور والأشكال المستقلة، بعضها مظلم وبعضها مضيء، الأول يشكل العذاب التخيلي للمنبوذ، والثاني الحلاوة التخييلية التي يتمتع بها المباركون. هذا العالم الأخير هو الذي نسميه عالم الظواهر الحقيقية المستقلة عن المادة؛ (عالم الأشباح المجردة) هذا هو الكون الذي تتحقق فيه بعث الأجساد والظهورات الإلهية، حيث تتحقق جميع الوعود النبوية.

قطب الدين الشيرازي: لذلك علينا أن نفهم أن أول هذه الأكوان هو كون الأنوار المعقولة المنفصلة التي ليس لها أي ارتباط من أي نوع بالأجسام؛ إنهم رفاق الجلالة الإلهية، ملائكة من أعلى رتبة (ملائكة العقل). الكون الثاني هو عالم الأنوار التي تحكم الأجسام، سواء كانت الإسبهبذ 22 الأفلاك السماوية (ملائكة السماء) أو من جسم الإنسان. يشكل البرزخ المزدوج الكون الثالث؛ إنه عالم الأجسام التي يمكن إدراكها بالحواس (لأن كل ما له جسم يشكل فاصلاً، مسافة، برزخاً).23 وهو مقسم إلى عالم الأفلاك السماوية مع الأجسام النجمية التي تحويها، وعالم العناصر مع مركباتها. وأخيرًا، الكون الرابع هو عالم الخيال النشط؛ إنه عالم هائل، لا نهائي، تتطابق مخلوقاته تمامًا مع تلك التي يحيط بها العالم الحسي في البرزخ المزدوج: النجوم ومركبات

العناصر والمعادن والنباتات والحيوانات والإنسان...

إلى هذا العالم الأخير أشار حكماء القدماء عندما قالوا إن هناك عالماً له أبعاد وامتداد آخر غير العالم المادي المحسوس. عجائبه لا حصر لها، ومدنه لا تعد ولا تحصى. ومن بين هذه المدن جابلقا وجابلسا، وهما مدينتان ضخمتان، لكل منهما ألف بوابة. إنها مأهولة بمخلوقات لا حصر لها لا تدرك حتى أن الله قد خلق آدم الأرضي وذريته.

يتوافق هذا العالم مع العالم الحسي: أفلاكه السماوية الخيالية (أي هورقليا) في حركة دائمة؛ وعناصره (أي جابلقا وجابلسا) ومركباتها تتلقى من هورقليا

تدفقات وفي نفس الوقت إشراقات العوالم لمعقولة. وهناك تتحقق الأنواع المختلفة من الصور النمطية المستقلة بشكل لا نهائي، لتشكل تسلسلاً هرمياً من الدرجات يختلف باختلاف دقتها أو كثافتها النسبية. عدد الأفراد الذين يشغلون كل درجة لا نهائي، على الرغم من أن الدرجات نفسها محدودة العدد. (نفس العمل، ص 240: "على كل مستوى من هذه المستويات توجد أنواع مماثلة لتلك الموجودة في عالمنا، لكنها لا نهائية. بعضها يسكنه الملائكة والبشر المختارون. بعضها يسكنه الملائكة والجن، وبعضها الآخر يسكنه الشياطين. الله وحده يعلم عدد هذه المستويات وما تحتويه. إن الحاج الذي يرتقي من درجة إلى أخرى يكتشف في كل مستوى أعلى حالة أكثر دقة، وجمالاً أكثر سحراً، وروحانية أكثر كثافة، وبهجة أكثر فيضاً. أعلى هذه الدرجات تقترب من درجة الكيانات الضوئية النقية المعقولة وتشبهها إلى حد كبير.) لقد أقر الأنبياء والمتأهلون والصوفيون جميعًا بوجود هذا الكون. يجد حجاج الروح هناك كل ما يحتاجونه، وكل العجائب والأعمال العجيبة التي قد يتمنونها...

من خلال هذا الكون تتحقق الأشكال الإلهية الظاهرة - أحيانًا مهيبة وجميلة بشكل مبهر، وأحيانًا أخرى رهيبة ومرعبة - والتي يتجلى من خلالها السبب الأول. وينطبق الشيء نفسه على المظاهر الحقيقية التي ترضي العقل الأول والعقول الملائكية الأخرى أن تظهر نفسها من خلالها، لأنه لكل منها

عدد كبير من المظاهر التي تتوافق مع الأشكال المتنوعة التي قد ترضيها أن تظهر نفسها من خلالها. قد يكون للأشكال الإلهية الظاهرة أماكن تجلية في عالمنا؛ فعندما تتجلى هنا، يصبح من الممكن إدراكها بصرياً. كان هذا هو الحال في حالة موسى عندما تجلى الله له على جبل سيناء، كما هو موضح في التوراة. وهكذا كان الأمر بالنسبة للنبي، الذي أدرك حقيقة الملاك جبريل عندما تجلى الأخير في صورة الشاب دحية الكلبي. يمكن القول إن الكون الخيالي بأكمله هو المكان المتجلي لنور الأنوار وللكائنات غير المادية من النور، كل منها يتجلى في شكل محدد، في لحظة محددة، ويتوافق دائمًا مع الملاءمة المترابطة للمستقبل والفاعل.

وأخيرًا، عندما يقال إن وعود النبوءة تتحقق في هذا الكون، إذا فُهم هذا على أنه العذاب الذي يعانيه الناس في الجحيم والنعيم الذي يتذوقه أولئك الذين في الجنة، فذلك لأن حالة الجسد اللطيف المتاح للنفس بعد الموت تتوافق مع حالة الجسد المادي الحسي. يمتلك الجسد اللطيف أيضاً حواساً خارجية وحواساً داخلية، وتبقى الحقيقة أنه في الحالة الأولى كما في الحالة الثانية، فإن الذات المدركة والشاعرة ليست أبداً شيئاً آخر غير النفس نفسها.

(i) من نفس العمل*

تظهر الحقائق فوق الحسية التي يواجهها الأنبياء المتأهلون وغيرهم لهم أحيانًا في شكل سطور من الكتابة، وأحيانًا في سماع صوت قد يكون لطيفًا وعذبًا وقد يكون مرعبًا أيضًا. في بعض الأحيان يرون أشكالاً بشرية فائقة الجمال تتحدث إليهم بأجمل الكلمات وتتحاور معهم بشكل حميم عن العالم الخفي؛ وفي أحيان أخرى تظهر لهم هذه الأشكال مثل تلك الشخصيات الرقيقة المنبثقة من أرقى فنون الرسامين. في بعض الأحيان يتم عرضها كما لو كانت داخل حظيرة؛ وفي أحيان أخرى تظهر الأشكال والشخصيات معلقة. كل شيء يُدرك في الحلم - الجبال والمحيطات

• ص 240-42، الفقرة 11. 256-58.

والقارات والأصوات غير العادية والشخصيات البشرية - كل هذه أشكال وشخصيات كثيرة قائمة بذاتها ولا تحتاج إلى ركيزة. وينطبق الأمر نفسه على العطور والألوان والنكهات. كيف يمكن للدماغ، أو أحد تجاويفه، أن يحتوي على الجبال والمحيطات التي تُرى في الحلم، سواء كان الحلم حقيقياً أم زائفا، بغض النظر عن كيفية تصور المرء لهذه القدرة أو تفسيرها؟ كما أن النائم عند استيقاظه من أحلامه، أو الإنسان الخيالي والإنسان المتأمل، بين اليقظة والنوم، عائدين من رؤيتهم، يغادرون عالم الصور المستقلة دون الحاجة إلى القيام بأي حركة أو الشعور بالمسافة المادية بالنسبة إليه، كذلك من يموت عن هذا العالم يقابل رؤية عالم النور دون الحاجة إلى القيام بأي حركة لأنه هو نفسه في عالم النور.›..24

تصدر الأجرام السماوية أصواتًا لا تنتج عن أي شيء موجود في عالمنا تحت القمر. علاوة على ذلك، فقد أثبتنا بالفعل أن الصوت شيء آخر غير تموج الهواء. أقصى ما يمكن قوله في هذه النقطة هو أن الصوت هنا في الأسفل يتأثر بتموج الهواء. لكن إذا كان شيء ما شرطاً لشيء آخر في مكان معين، فلا يترتب على ذلك أنه يظل شرطاً لنظيره. وكما أن أي شيء بشكل عام يمكن أن يكون له أسباب متعددة وقابلة للتبديل، فإن ظروفه أيضاً يمكن أن تتغير. وكما أن ألوان النجوم لا تتأثر بما يؤثر على الألوان في عالمنا الأرضي، فكذلك الأمر بالنسبة للأصوات المنبعثة من الأجرام السماوية. لا يمكننا القول إن الأصوات المرعبة الهائلة التي يسمعها المتصوفون ذوو الرؤى ناتجة عن تموج الهواء في الدماغ. إن حدوث موجة هوائية بهذه القوة نتيجة لاضطراب ما في الدماغ أمر لا يمكن تصوره. لا، ما لدينا هنا هو الصورة المثالية للصوت، وهذا الشكل المستقل هو نفسه صوت [تعليق: تمامًا كما أن الصورة المثالية للإنسان هي بالتأكيد إنسان، وصورة كل شيء هي بالتأكيد ذلك الشيء على التوالي]. وبالتالي، من الممكن أن تكون هناك أصوات وألحان في الأجرام السماوية لا تتأثر بالهواء ولا بالاضطراب الاهتزازي. ولا يمكن للمرء أن يتخيل أن تكون هناك ألحان أكثر بهجة من ألحانهم، تمامًا كما لا يمكن للمرء أن يتصور أن تكون هناك

رغبة ملحة أكثر حرارة من رغبة الملائكة السماوية. تحية! ثم، إلى صحبة كل من جن جنونهم وسكروا برغبة عالم النور، بحبهم العاطفي لجلال نور الأنوار، والذين أصبحوا في نشوتهم مثل "السبعة الثابتين جداً". 26 لأنه في حالتهم هناك درس لمن هم قادرون على الفهم.

قطب الدين الشيرازي: كما ذكر المؤلف في كتاب المحادثات، فقد أكد جميع الروحانيين من مختلف الشعوب وجود هذه الأصوات، ليس على مستوى جابلقا وجابلسا، وهما مدينتان من عالم العناصر في كون الأشكال المثالية، بل على مستوى هورقليا، المدينة الثالثة، بعجائبها الكثيرة، عالم الأفلاك السماوية في كون الأشكال المثالية.27 ولمن يصل إلى هذا الكون، تُكشف له الكيانات الروحية لهذه الأفلاك بأشكالها الجميلة وأصواتها الرائعة. ذكر فيثاغورس أن نفسه صعدت إلى العالم العلوي. بسبب نقاء كيانه وقوة قلبه التنبؤية، سمع ألحان الأفلاك والأصداء الناتجة عن حركات الأجرام السماوية؛ وفي الوقت نفسه أدرك الرنين الخفي لأصوات ملائكتهم. ثم عاد إلى جسده المادي. ونتيجة لما سمعه، حدد العلاقات الموسيقية وأتقن علم الموسيقى.

2

محيي الدين بن عربي
(ت. 1240 /6S8)

الأرض التي خُلقت مما تبقى من طين آدم

هنا يحدث ما لا يوصف بالفعل.
(فاوست، الجزء الثاني

العنوان الكامل للفصل الثامن من كتاب الفتوحات المكية لابن عربي، وهو كتاب الفتوحات الروحية المكية (القاهرة، 1329/1911، الجزء الأول، 126-11)، هو كالتالي: "في معرفة الأرض التي خُلقت مما تبقى من خميرة طين آدم، وهي أرض الحقيقة، مع ذكر الأشياء الغريبة والعجائب التي تحتويها". وكما هو الحال every في معظم الفصول في هذا العمل، يبدأ هذا الفصل ببضع أبيات يصعب وصف كثافتها. الفكرة ال allusive شجرة النخلة كرمز للأرض السماوية. تقع شجرة النخلة على الحدود بين المملكة النباتية والمملكة الحيوانية، وقد حظيت باهتمام خاص من الفلاسفة المسلمين باعتبارها مخلوقاً استثنائياً. إن الأرض السماوية هي السر الأعمق للإنسان، كما لو كانت حواء الصوفية، وما هو مخفي في الكلمات التي يتحدث بها الشاعر إلى شجرة النخلة التي هي رمزها يبدأ، بدوره، في الظهور. كما هو الحال في هذه الأرض السرية، فإن شجرة النخلة هي "أخت آدم" (كلمة نخلة، وهي مؤنثة في اللغة العربية). يا أختي! أو بالأحرى، يا عمتي! أنتِ النور الأنثوي الذي لا يزال سره مجهولاً لنا، وهو أمرٌ محسوسٌ للجميع. ينظر إليكِ الأبناء يا أخت أبيهم. ..يا عمتي، أخبريني كيف يتجلى السر الأخوي فيكِ... أنتِ الإمامة المؤنثة والإمام أخوك؛ والذين سبقوه هم صور كثيرة مستوحاة منه."

تم شرح كل هذه الإشارات حتى نقطة معينة في السطور الأولى من الفصل: سر خلق شجرة النخلة المصنوعة من بقايا الطين الذي خلق منه الإنسان نفسه. ومن الطين الذي صُنعت منه "أخته"، بقيت بقايا غير مرئية، تعادل حبة سمسم، لا أكثر. لكن هذه الحقيقة بالذات تنقل المعنى القائل بأنه لا يوجد مقياس مشترك بين اتساع

الفضاء الحسي والفضاء الذي يبدأ عند النقطة التي تنتهي عندها اتجاهات الفضاء الحسي. لأنها هناك تحديداً ستمتد المساحة اللامحدودة للأرض السماوية. وهذا يعني كذلك أنه يمكن للمرء أن "يحرر نفسه من الفضاء دون التخلي عن الإحساس بالاتساع". بدوره، يحاول عبد الكريم الجيلي (انظر أدناه، المادة الرابع) توضيح هذا الرمز: "أرض السمسم" هي أخت آدم، أو بالأحرى ابنة سره الأعمق. نسب أحدهما هو نسب الآخر . إنها تصمد وتستمر في الوجود، بينما كل شيء آخر يؤول إلى العدم. الثمرة التي هي آدم نفسه انبثقت من شجرة نخيل. ليس لها أي حضيرة أخرى؛ فغابة أشجار النخيل ليست في أي مكان آخر سوى آدم نفسه. وهكذا يستجيبون
بشكل متبادل وتلقائي لنداء بعضهم البعض. 2

هناك حاجة إلى جمع العديد من المراجع التي توضح وظائف شجرة النخلة كرمز للأرض السماوية وللبعث.3 علاوة على ذلك، وكما هو معروف، فإن الوحي القرآني لا يذكر ميلاد عيسى في بيت لحم؛ من ناحية أخرى، وكأنه يستحضر أو ينقل بعض أخبار الطفولة، فإنه يشير إلى الميلاد المعجز "تحت النخلة". بين "نخلة مريم" والنخلة التي تُعتبر "أخت آدم" رمزًا للأرض السماوية، تلك التي وُلد تحتها المسيح، تسمح لنا بعض التفاسير القرآنية بإدراك الصلة.4 لا يمكننا الخوض في هذا الأمر، تمامًا كما لا يمكننا مناقشة جميع الصعوبات التي تطرحها النصوص التي حاولنا ترجمتها لأول مرة. ومع ذلك، ينبغي أن نلفت الانتباه مرة أخرى إلى القرابة الموضوعية بين النص الحالي الذي يتناول "الأرض التي خلقت مما تبقى من طين آدم"، والنص الذي سيقرأ لاحقًا (أدناه، المادة العاشرة، 1) والذي يوضح "بالمعنى الذي يكون فيه جسد المؤمن المؤمن هو أرض جنته".

اعلم أنه عندما خلق الله آدم الذي كان أول كائن بشري تم تكوينه، وعندما جعله أصلاً ونموذجاً لجميع الأجسام البشرية، بقي فائض من خميرة الطين. ومن هذا الفائض خلق الله شجرة النخلة، بحيث تكون هذه النبتة (النخلة، شجرة النخلة، كونها مؤنثة) أخت آدم؛ بالنسبة لنا، إذن، هي مثل عمة من جهة أبينا. في علم اللاهوت، يتم وصفها على هذا النحو ويتم تشبيهها بالمؤمن المخلص.5 لا يوجد نبات آخر يحمل في داخله مثل هذه الأسرار الاستثنائية التي تخفيها هذه النبتة. والآن، بعد خلق شجرة النخلة، بقي جزء مخفي من الطين الذي صنعت منه النبتة؛ وما

تبقى كان يعادل حبة سمسم. وفي هذه المساحة المتبقية، وضع الله أرضاً شاسعة. وبما أنه رتب فيها العرش وما يحتويه، والسماء 6، والسماوات والأرض، والعوالم تحت الأرض، وكل الجنان والجحيم، فهذا يعني أن كوننا بأكمله موجود هناك في تلك الأرض بكاملها، ومع ذلك فإن كل ذلك معًا يشبه خاتمًا ضائعًا في إحدى صحارينا 7 مقارنة بضخامة تلك الأرض. وقد أخفت الأرض نفسها في طياتها الكثير من العجائب والأشياء الغريبة التي لا يمكن حصر عددها، ويبقى عقلنا مذهولاً أمامها.

على تلك الأرض خلق الله في كل نفس (وما يقابل كل نفس8) عوالم من التسبيح تُنشد فيها الترانيم بلا انقطاع ليلاً ونهاراً، لأن عظمة الله تتجلى على تلك الأرض وقدرته الخلاقة تبهر عيون من يتأملها. هناك العديد من الأشياء التي يستحيل وجودها عقلانياً، أي العديد من الأشياء التي أثبت العقل بشكل قاطع أنها غير متوافقة مع الوجود الحقيقي. ومع ذلك! - كل هذه الأشياء موجودة بالفعل على تلك الأرض. إنها البراري الشاسعة حيث يمتع المتصوفون الثيوصوفيون أعينهم؛ يتحركون فيها، ويذهبون ويأتون إليها كما يحلو لهم. في كل الأكوان التي تشكل تلك الأرض، خلق الله على وجه الخصوص كونًا واحدًا على صورتنا (كونًا يتوافق مع كل واحد منا). عندما يتأمل المتصوف ذلك الكون، فإنه يتأمل ذاته، نفسه، فيه. كان عبد الله بن عباس يشير إلى شيء من هذا القبيل، في قول له ورد في حديث معين: "هذه الكعبة مسكن واحد من بين أربعة عشر مسكناً". في كل من الأراضي السبعة يوجد مخلوق مثلنا (نظيرنا)، بحيث يوجد في كل من الأراضي السبعة ابن عباس وهو نظيري.9 وقد لاقى هذا التقليد قبولاً واسع النطاق بين المتصوفين ذوي الرؤى.

دعونا نعود إلى وصف تلك الأرض، بضخامتها وعدد الأكوان المتعددة التي تشكلت منها وفيها. بالنسبة للمتصوفين، هذه الأرض هي المكان الذي تحدث فيه تجليات الإله والرؤى الإلهية. يروي لنا أحدهم

قصة أعرفها بنفسي من خلال رؤية شخصية: "في تلك الأرض"، كما يقول لنا، "صادف أن دخلت ذات يوم إلى تجمع كان يُعرف باسم مجلس الرحمة ". لم أرَ قط تجمعاً أروع من ذلك. وبينما كنت هناك، انتابتني فجأة رؤية إلهية؛ وبدلًا من أن تمزقني عن نفسي، جعلتني أكثر ثباتًا في صحبتي الخاصة. هذه إحدى الخصائص المميزة لتلك الأرض. في الواقع، عندما تأتي مثل هذه الرؤى الإلهية إلى المتصوفين في عالمنا المادي بينما هم حاضرون في أجسادهم الجسدية، فإنها تأخذ النشوة بعيدًا عن نفسه ويتم إفناؤه أمام رؤيته؛ وهكذا كان الحال مع الأنبياء، وكبار المتأهلين، وجميع أولئك الذين اختبروا مثل هذه النشوات. وبالمثل، فإن عالم الأفلاك السماوية، والسماء (كرسي، سماء النجوم الثابتة) المتوهجة بالأبراج، وعالم العرش الذي يحيط بالكون بأكمله، كلها محرومة من النشوة عندما تأتي الرؤى الإلهية عليهم؛ يتم تدميرها كلها كما لو كانت برقًا خاطفًا. من ناحية أخرى، عندما يتغلغل المتصوف صاحب الرؤية في هذه الأرض التي أتحدث عنها، وعندما تأتيه رؤية إلهية هناك، فإن إدراكه التأملي لا يُفنى بها، ولا تنتزعه من فعل وجوده؛ بل تجعل من الممكن التعايش في داخله بين الرؤية والخطاب."

ويقول أيضًا: "في هذا التجمع الذي ذكرته للتو، مررت بتجارب وعرفت أسرارًا لا أستطيع البوح بها بسبب غموض معانيها، ولأنه من المستحيل الوصول إلى إدراكها وفهمها قبل رؤيتها بالعين المجردة كما يراها من لديه رؤية مباشرة لها".

في تلك الأرض توجد حدائق، وجنات، وحيوانات، ومعادن

- الله وحده يعلم عددها. الآن، كل شيء موجود على تلك الأرض، كل شيء على الإطلاق، حي ويتكلم، وله حياة مماثلة لحياة كل كائن حي موهوب بالفكر والكلام. إن الكائنات هناك، الموهوبة بالفكر والكلام، تتوافق مع ما هي عليه هنا في الأسفل، مع اختلاف أن الأشياء في تلك الأرض السماوية دائمة،

لا تفنى، لا تتغير؛ كونهم لا يموت. الحقيقة هي أن الأرض لا تسمح بالوصول إلى أي من أجسادنا المادية المصنوعة من طين بشري قابل للتلف؛ طبيعتها تجعلها تسمح بالوصول فقط للأجساد من نفس جودة أجساد كونها أو عالم الأرواح. وهكذا يدخل المتصوفون في ذلك بروحهم وليس بأجسادهم المادية. إنهم يتركون مسكنهم المادي على أرضنا الأرضية ويتحولون إلى كائنات غير مادية. 10

يوجد على تلك الأرض جنس رائع من الأشكال والهيئات، ذو طبيعة استثنائية. إنهم يراقبون مداخل طرق الوصول التي تقع فوق هذا العالم الذي نحن فيه، الأرض والسماء، الجنة والنار. عندما يبحث أحدنا عن طريق الوصول إلى تلك الأرض، طريق المتأهلين من أي فئة كانوا، سواء كانوا رجالاً أو جناً، ملائكة أو سكان الجنة - فإن الشرط الأول الذي يجب تحقيقه هو ممارسة المعرفة الصوفية والانسحاب من الجسد المادي. ثم يلتقي بتلك الأشكال التي تقف وتراقب عند مداخل طرق الوصول، وقد خصص الله لهم هذه المهمة على وجه الخصوص. يسرع أحدهم نحو الوافد الجديد، ويلبسه رداءً مناسباً لمرتبته، ويأخذه بيده، ويسير معه على تلك الأرض ويفعلان فيها ما يحلو لهما. إنه يتأمل الأعمال الفنية الإلهية؛ كل حجر، كل شجرة، كل قرية، كل شيء يصادفه، يمكنه أن يتحدث معه، إن شاء، كما يتحدث الرجل مع رفيقه. بالتأكيد يتحدثون لغات مختلفة، لكن هذه الأرض تتمتع ببهبة فريدة من نوعها، وهي منح كل من يدخلها القدرة على فهم جميع اللغات التي تُتحدث هناك. عندما يحقق هدفه ويفكر في العودة إلى مسكنه، يذهب رفيقه معه ويعيده إلى المكان الذي دخل منه. وهناك ودعته؛ فخلعت الرداء الذي كانت قد ألبسته إياه وانصرفت عنه.11 ولكن بحلول ذلك الوقت كان قد جمع كمًا هائلاً من المعرفة والدلائل، وازدادت معرفته بالله بشيء لم يكن يتصوره من قبل. لا أعتقد أن الفهم يتغلغل بعمق وبسرعة تضاهي سرعة انتشاره عند حدوثه.

في تلك الأرض التي أتحدث عنها. بل وأكثر من ذلك، ففي عالمنا الخاص وفي وجودنا الحالي، تأتي بعض المظاهر لتدعم تأكيدنا.

ثم يروي ابن عربي قصة شيء غريب حدث لعالم صوفيّ إيراني، أوحد الدين كرماني (توفي عام 624/1127) 12
12 خلال فترة مراهقته؛ وقد أخبر كرماني بنفسه ابن

عربي بذلك (يُلاحظ أنهما التقيا شخصيًا). رغب الشاب المتصوف في مساعدة شيخه الذي أصيب بالمرض. عند وصوله إلى تكريت في بلاد ما بين النهرين، طلب من الشيخ الإذن بالذهاب للحصول على بعض العلاج من المستشفى في سنجار. تأثر الشيخ بحزن تلميذه الشاب، فمنحه الإذن. فذهب الشاب إلى مجلس الأمير، ولكن لكونه غريباً عنهم، شعر بالخوف والرهبة من أن يتم رفضه. لكنّ استقبله الأمير بلطف شديد، وسأله عما يريد، وأمر خادماً بإعطائه ما طلبه. انتاب الشاب المتصوف شعور بالفرح والانتصار، فعاد إلى شيخه وأخبره بكل ما حدث. لكن الشيخ ابتسم وقال: "يا بني، لقد استلهمت ذلك من قلقي عليك". لما رأيت مدى أسفك عليّ، سمحت لك بفعل ما طلبته. لكن عندما رحلت، كنت أخشى أن يخجلك الأمير برفضه استقبالك. لذلك انفصلت عن مسكن جسدي، ودخلت مسكن الأمير وجلست في مكانه. عندما وصلت، كنت أنا من استقبلك وتصرفت معك كما رأيت. ثم عدت إلى هذا المسكن الذي تراه. في الحقيقة، أنا لست بحاجة إلى هذا الدواء ولا أجد له أي فائدة. "وهنا ترى كيف استطاع المرء أن يظهر نفسه في صورة رجل آخر. فماذا سيكون الحال بالنسبة لسكان تلك الأرض التي كنا نتحدث عنها؟"

الحلقة التالية (الصفحات 128-29) تأتي على شكل سرد طويل من قبل ذو النون المصري (توفي عام 245/869) الذي يخبرنا أولاً أن زمن تلك الأرض ليس موحدًا وليس كله من نوع واحد. "إن أزمنة تلك الأرض تختلف نوعياً." لكل حدث، ولكل شخص، وقته الخاص هناك. قد يعادل يوم واحد من أيام حياتنا على الأرض عدداً من السنوات. ثم يصف ذو النون بإسهاب عجائب تلك الأرض بكلمات تذكرنا بالقصص التقليدية عن جبل قاف، وهو الجبل النفسي الكوني، مثل جبل فر في فيرنا. وهناك زار أرض الفضة، وأرض الكافور الأبيض، وأرض الزعفران. يصف عجائبها وجمالها، وسحر ولطف سكانها، وعاداتهم البسيطة، والألوان التي تزينها. إن الضوء الذي يسود هناك ليس

ضوء الشمس المادي، ولكن مع ذلك يتناوب الليل والنهار، تماماً كما هو الحال عندنا. لكن ظلام الليالي هناك ليس حجاباً أبداً؛ فهو لا يمنع رؤية أي شيء. وهناك ينخرطون في قتال هو مجرد لعبة بلا كراهية أو جروح. تُقام الرحلات البحرية وتُضفي عليها حطام السفن حيويةً وإثارةً: فالماء ليس عنصراً عدائياً. لا يشكل خطراً على الحياة. يمشون على سطحها حتى يعودوا إلى الشاطئ. كما أن هناك زلازل على تلك الأرض أكثر عنفاً حتى من تلك التي تحدث على أرضنا. شهد ذو النون إحداها. عندما هدأت الهزة، أمسكت به الكائنات الطيبة المحيطة به وواسته بشأن إحدى بناته التي تدعى فاطمة. وقال: "لكنني تركتها بصحة جيدة مع والدتها". "ما تقوله صحيح، ولكن هذه الأرض لا ترتجف ما دام أحدكم بيننا إلا إذا مات (وعندئذ يبقى بيننا بالتأكيد) أو مات أحد أقاربه. كان هذا الزلزال علامة على وفاة ابنتك." عندما غادر ذو النون هؤلاء الرفاق (مراسم العودة هي ما تم وصفه أعلاه) وعاد إلى هذه الأرض، علم بوفاة ابنته. نحن ملزمون باختصار كل هذه البيانات قدر الإمكان، والتي تعتمد أهميتها من وجهة نظر الظواهرية الدينية على المبدأ المذكور سابقًا، وهو: أن لكل النفس على تلك الأرض كون خاص بها (شجرة النخلة، التي هي أخت آدم)؛ فعندما تتأمل النفس هذا الكون، فإنها تتأمل نفسها. وبهذا المعنى ينبغي أن نفسر رؤية أخرى وصفها ابن عربي: رؤية الكعبة التي تتجاوز أبعادها أبعاد المعبد الموجود في مكة. لم يكن أولئك الذين طافوا حوله يرتدون ملابس الحجاج الطقسية. كان لها أربعة أعمدة تخاطب أولئك الذين يمشون حولها وتلقنهم معرفة لم تكن لديهم من قبل. (انظر رمز العمود المرئي الوحيد للمعبد، باعتباره الروح القدس الذي يفسر السر، في
خيالنا الإبداعي في التصوف لابن عربي، ص 367، حاشية
44.) هناك نجد مرة أخرى المحيط نفسه، المصنوع من الأرض، والذي مع ذلك يتصرف مثل الماء. (انظر أدناه، المادة التاسعة، 4، ب، المقطع الذي يؤكد فيه الإمام الأول، عند سؤاله
عن العمل الخيميائي، قائلاً: "أشهد الله أنه ليس إلا الماء في الحالة الصلبة. . الأرض في الحالة السائلة.") وعلى هذا المحيط يمكن رؤية رؤية سفينة غريبة مصنوعة من أحجار رائعة: عمودان يرتفعان من جناحيها، والسطح الخلفي للسفينة بين العمودين (حتى أن المؤلف يرسم مخططًا لها) مفتوح على البحر لكن البحر لا يدخل. ثم ذُكرت ثلاث عشرة مدينة من النور على أنها تقع في تلك الأرض التي لا يدخلها إلا المختارون من بين الغنوصيين. (يُدرك التفسير الشيعي تلقائيًا وجود النبي والأئمة الاثني عشر في مدن النور هذه. وهناك العديد من التفاصيل الأخرى التي لا تقل ثراءً بالإمكانيات الرمزية. ; .

باختصار، كل ما يعتبره العقل العقلاني مستحيلاً في حالتنا، ويجد أدلة تدعمه، نجده في تلك الأرض ليس مستحيلاً، بل ممكناً، وهو في الواقع يحدث.13 "لأن الله على كل شيء قدير" (ص: 26 وما بعدها). نحن نعلم أن عقولنا محدودة، ولكن الله له القدرة على التناقضات: القدرة على جعل جسم واحد موجودًا في مكانين مختلفين، والقدرة على جعل العرضي قائمًا بشكل مستقل عن جوهره ونقله من جوهر إلى آخر، والقدرة على جعل الحس الروحي قائمًا بفضل الحس الروحي وحده (بدون أي دعم خارجي). كل حدث، ومعجزة، وعلامة تحدث في عالمنا ويكره العقل الرشيد الاعتراف بظهورها الحقيقي، نجدها في تلك الأرض تحدث بلا شك كظهور حقيقي. كل جسد يتخذه الروحاني، سواء كان ملاكاً أو جنياً، وكل شكل أو هيئة ينظر بها الإنسان إلى نفسه في الحلم، كل هذه أجسام لطيفة تنتمي إلى تلك الأرض الأخرى. لكل من هذه الأجسام موقعها المناسب هناك، مع امتدادات دقيقة وواهية تمتد إلى كامل الكون. لكل من هذه "الروابط" شخص موثوق به يتوافق معها. عندما يرى الأخير كياناً روحياً معيناً بعينيه، فهذا يعني أن لديه تقارباً خاصاً مع شكل معين من بين الأشكال، وهو الشكل الذي تتخذه الروح، كما هو الحال عندما اتخذ الملاك جبريل للنبي شكل الشاب الوسيم دحية الكلبي. والسبب في ذلك هو أن الله وضع هذه الأرض في البرزخ، أي العالم الآخر، وحدد مكاناً هناك لهذه الأجسام اللطيفة التي تتخذها الكائنات الروحية النقية، والتي تُنقل إليها أرواحنا نفسها أثناء النوم وبعد الموت. ولهذا السبب نحن أنفسنا جزء من عالمها.

وأخيراً، أن الأرض تنفتح من أحد طرفيها على الجنة:

يُعرف ذلك الطرف منه باسم الساحة الأمامية أو المتنزه. وهناك طرف آخر مجاور لأرضنا الأرضية. ولإعطائك صورة تساعدك على فهم كيف يمكن للأرض أن تمتد إلى عالمنا، أقترح المقارنة التالية. لنفترض أن رجلاً يثبت نظره على مصباح، أو على الشمس، أو القمر، ثم يغمض عينيه نصف إغلاق بحيث -

تحجب رموشه الجسم المضيء عن نظره؛ عندئذ سيرى شيئًا يشبه عددًا كبيرًا من خطوط الضوء تمتد من الجسم المضيء إلى عينيه - شبكة كاملة تبدأ من المصباح، على سبيل المثال، وتصل مباشرة إلى عينيه. عندما ترتفع الجفون ببطء وتدريجياً، يرى المراقب شبكة خطوط الضوء وهي تنسحب شيئاً فشيئاً وتتجمع في الجسم المضيء.

وهكذا فإن الجسم المضيء هنا يشبه الموقع المحجوز خصيصًا في تلك الأرض لمثل هذا الشكل من أشكال الظهور (جسم لطيف يغطي كيانًا روحيًا). يمثل المراقب في هذه الحالة عالمنا الخاص. أما بالنسبة لتوسع خطوط الضوء، فهذا يتوافق مع أشكال الأجسام اللطيفة التي تنتقل بها نفوسنا إلى عتبة الجنة أثناء النوم وبعد الموت، وهي كذلك الأشكال الشبحية التي تتخذها الأرواح. إن نيتك في الحصول على رؤية لخطوط الضوء عن طريق تغطية جفونك بحيث تأتي الرموش بين نظرتك والجسم المضيء تشبه في هذه الحالة القدرة على الإدراك البصري. إن انبعاث خطوط الضوء من الجسم المضيء عند إجراء هذه التجربة يتوافق مع انبعاث الأشكال (التي تتخذها الكائنات الروحية من أجلك) عندما تصل إلى القدرة (على رؤية شكل شبحي معين في الرؤية). وأخيرًا، يمثل انكماش خطوط الضوء أثناء انسحابها إلى الجسم المضيء، مع توقف تداخل الجفون، عودة الأشكال المنسحبة إلى تلك الأرض عندما تنتهي قدرتك على إدراكها. لا يوجد تفسير آخر غير هذا التفسير. علاوة على ذلك، فقد تحدثنا بالفعل بإسهاب في أحد أعمالنا العظيمة 14 عن عجائب تلك الأرض والمعرفة المرتبطة بها.

3

داود القيصري
(ت. 751/ 1350)

العالم المثالي*

اعلم أن العالم المثالي (عالم الصور المثالية) 1 هو كون روحي من مادة نورانية؛ من ناحية، له صلة بالمادة المادية، من حيث أنه موضوع الإدراك ويمتلك امتدادًا؛ من ناحية أخرى، له صلة بمادة معقولة منفصلة، من حيث أن طبيعته هي طبيعة النور الخالص. إنه ليس جسماً مادياً مركباً، ولا مادة معقولة منفصلة، لأنه برزخ، أي عالم بيني، حد يفصل أحدهما عن الآخر. كل ما يخلق فاصلاً، أو برزخاً، بين شيئين، يجب أن يختلف عن هذين الشيئين، أو بالأحرى، لا بد أن يكون له بعدان يرمز من خلال كل منهما إلى الكون الذي يتوافق معه هذا البعد. ويمكن للمرء أن يقول أيضاً، وهذا صحيح، إنه جسم من الضوء يساوي في دقته أقصى درجات الدقة التي يمكن تصورها. وهكذا، فهو حد، عالم وسيط يفصل بين المواد المنفصلة الدقيقة والمواد المادية الكثيفة والمعتمة، على الرغم من أن بعض الأجسام من بين الأخيرة أكثر دقة من غيرها، كما هو الحال في السماوات، على سبيل المثال، مقارنة بالأجسام الأخرى.

لذلك فهو ليس عالماً عرضياً، كما اعتقد مفكر معين، معتقداً -كما فعل- أن أشكال الصور يمكن فصلها عن حقائقها الجوهرية وأن الأمر نفسه ينطبق على الأشكال المعقولة. الحقيقة هي أن الأشكال الجوهرية موجودة في كل من الأكوان: الكون الروحي، والكون المعقول، والكون الخيالي، وكل هذه الحقائق

* مقتطف من شرح كتاب فصوص الحكمة لابن عربي، الفصل السابع من المقدمة. بومباي، 1299/1881، ص 30 و 1300/1882، ص 25. من الضروري مقارنة النسختين.

الجوهرية تتخذ أشكالاً تتوافق مع كوناتها الخاصة.

عندما تفهم تمامًا ما يدور حوله هذا الأمر، ستلاحظ أن القوة الخيالية (المُخَيِّرة) التي تنتمي إلى روح الكون، والتي تشمل في حد ذاتها كل ما تشمله القوى الخيالية الأخرى (قوى الأرواح السماوية)، هي الركيزة ومكان الظهور لهذا العالم البيني.2 تُسمى هذه العالم المثالي لأنها تحتوي على صور كل شيء موجود في هذا العالم، ولأنها النموذج الأصلي لجميع صور الأفراد والجواهر الموجودة على مستوى المعرفة الإلهية. ويطلق عليه أيضاً عالم الخيال المستقل، لأنه غير مادي بالمقارنة مع الخيال الكامن. لا يوجد واقع فوق الحسي، ولا كيان روحي ولا روح، ليس له شكل مثالي يتوافق مع كمالاته، لأن كل واحد منهم يشارك في الاسم الإلهي "الظاهر". هذا هو معنى حديث موثوق، يروي أنه عندما رأى النبي جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى،4 كان للملاك ستمائة جناح؛ وكان يدخل نهر الحياة كل صباح ومساء؛ ثم يخرج منه يهزّ اجنحته، ومن القطرات المتناثرة خلق الله ملائكة لا حصر لها.

يحتوي هذا العالم البيني على العرش (عرش، السماء العليا)، والسماء (كرسي، سماء النجوم الثابتة)، والسماوات السبع والأراضي، وكل ما تحتويه كل هذه. عند هذا المستوى، يستيقظ وعي الباحث؛ فهو يفهم ما كان عليه المعراج (الانتقال السماوي) للنبي، وكيف رأى النبي رؤيا آدم في السماء الأولى، ورؤيا يحيى وعيسى في السماء الثانية، ورؤيا يوسف في الثالثة، وإدريس (أخنوخ-هرمس) في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة. يدرك الباحث، من جهة، الفرق بين ما يراه في حلمه وقدرة أولئك الذين بلغوا تقدماً معتدلاً في المسار الصوفي على إدراك الصعود إلى السماء بشكل تخيلي، ومن جهة أخرى، الفرق بين ما يتم التفكير فيه فعلاً في العالم الروحي. إن الأشكال التي نراها في

عالمنا هي ظلال هذه الأشكال المثالية. ولهذا السبب، يتعرف العارف، من خلال علم الفراسة الحدسي، على الحالات الداخلية للإنسان وفقاً لشكله الخارجي. . . . بدورها، فإن الأشكال المثالية الأسيرة 5 التي يمثلها خيالنا ليست سوى أمثلة على العالم الروحي، وظل من بين الظلال التي خلقها الله كعلامة ودليل على وجود هذا العالم الروحي. ولهذا السبب رأى أساتذة الرؤية الصوفية العالم الآخر كشيء متصل بالعالم الروحي، يستقبل النور منه، كما تصب الجداول والأنهار في البحر، وكما تسمح النوافذ العالية لأشعة الضوء بالدخول إلى المنزل.

لكل كائن من الكائنات الموجودة في عالم الحواس، يوجد على التوالي شكل مثالي أسير يُدرك في العالم البشري على مستوى الخيال، سواء كان سماءً أو نجمًا أو عنصرًا أو معدنًا أو نباتًا أو حيوانًا، لأن لكل منها روحًا وطاقات روحية، ولأن الروح تشارك إلى حد ما في هذا العالم؛ وإلا فإن الأكوان لن تتطابق تمامًا. أقصى ما يمكن قوله هو أن المظاهر في عالم المعادن ليست هي نفسها في عالم الحيوان. يقول الله تعالى: "وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تفقهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" (17: 46).6 ويؤكد هذا بعض تقاليدنا، التي تذكر أن الحيوانات ترى أشياء لا يراها عند البشر إلا المتصوفون ذوو الرؤى. من الممكن أن تحدث هذه الرؤية في العالم المثالي الأصلي المطلق، ومن الممكن أن تحدث في عالم الأشكال المثالية الأسيرةّ7 الله وحده يعلم كيف يكون الأمر!

أما بالنسبة لأولئك البشر الذين لا يستطيعون رفع الحجاب بسبب عمى بصيرتهم، فإن الكتاب المقدس يضعهم "في أدنى الدرجات" (95: 5). أما المتصوف، فعندما يصل إلى العالم المثالي الأصلي المطلق في رحلته الروحية، بفضل الخروج الذي يقوده من أسير خياله، فإنه يبلغ غايته في كل ما يتأمله، ويكتشف الحقيقة كما هي، لأن الصور المثالية الأصلية تتطابق مع الأشكال المعقولة المنقوشة على اللوح المحفوظ، وهو الشكل المتجسد للعالم

الإلهي. منذ ذلك الحين، ومن خلال الإدراك الرؤيوي، قد يُكشف للإنسان عن فرديته الأبدية في حالاتها المتعاقبة، الماضية والمستقبلية، لأنه يُنقل حينها من عالم الظلال إلى عالم الأنوار الحقيقية والجوهرية...

وأخيرًا، من المهم أن تعرف أن البرزخ الذي تجد فيه الأرواح نفسها بعد مغادرتها العالم الأرضي يختلف عن البرزخ الذي يمتد بين الكيانات الروحية النقية وعالم الأجساد. والحقيقة هي أن مراحل هبوط الكائن وخطوات صعوده تشكل دورة. أما المراحل التي تسبق الوجود في العالم الأرضي فهي درجات من الانحدار؛ فهي مراحل أمامية؛ بينما تلك الدرجات التي تأتي بعد الوجود في العالم هي درجات من الصعود؛ فهي مراحل خلفية. إلى جانب ذلك، فإن الأشكال التي تتحد بها الأرواح في البرزخ الثاني هي أشكال أعمالهم ونتيجة أنشطتهم السابقة في هذا العالم الأرضي،8 على عكس أشكال البرزخ الأول. وبالتالي، لا يمكن أن يكون الأخير مطابقاً للأول. ومع ذلك، فإن لديهم هذا الشيء المشترك: في كلتا الحالتين، فإن الأشكال هي كون روحي وهي مواد غير مادية من النور الخالص، تحتوي على النماذج الأصلية لأشكال هذا العالم. وقد أوضح الشيخ (ابن عربي) في الفصل 321 من كتاب الفتوحات المكية، أن البرزخ الثاني يختلف عن الأول. ويسمي الأخير "لغز الممكن"، بينما يسمي الأول "لغز المستحيل"، بمعنى أن ما هو موجود في الأول يمكن أن يتجلى في عالمنا المرئي، في حين أنه ليس من الممكن لما هو موجود في الثاني أن يعود إلى الحالة المرئية، إلا في يوم القيامة. قليلون هم الذين يُكشف لهم هذا البرزخ الثاني. أما الأول، من ناحية أخرى، فقد يُكشف للكثيرين منا ويُرى بأعيننا. قد يمتلك هؤلاء الأشخاص معرفة بالأحداث المستقبلية في العالم، ولكن ليس لديهم القدرة على اكتشاف حالة أولئك الذين فارقوا هذا العالم.

4

- عبدالكريم الجيلي

(ت. 805 /1403)

النص المترجم أدناه مأخوذ من أشهر أعمال عبد الكريم الجيلي، (كتاب الإنسان الكامل)، القاهرة، 1304/ 1886. ثمة حاجة ملحة إلى طبعة نقدية من شأنها أن توفر أساساً أفضل لقراءة هذا النص. موضوع الفصل الخامس (2، 27-28) هو أن "الخيال
هو جوهر (هيولي، المادة) جميع الأكوان".

بعض الملاحظات التمهيدية والموجزة للغاية: يلاحظ المرء، منذ بداية الفصل، الأهمية المطلقة المنسوبة إلى القوة الخيالية (الـ"خيالية") - إنها "حياة روح الكون، ومبدأها، ومبدأها الخاص هو ابن آدم". يعتبر الجيلي، مثل ابن عربي، القوة الخيالية هي السر الحقيقي لعلم الكونيات الذي يُنظر إليه على أنه تجلي إلهي، أي أن الخلق هو الكشف الإلهي عن الذات. ويُقال إن المتصوف يصادف هنا كياناً روحياً أعلى يُسمى "روح الخيال" و"روح الجنة". لكن فجأة نتذكر تحذير النبي: غفلة البشر النائمين في غفلة الأحلام التي هي عالم الخيال. في الحقيقة، لا يوجد تناقض أو تنافر هنا، لأن ما هو ضمني هو سر المعرفة التي يعتمد عليها ما إذا كان الإنسان يبقى فاقداً للوعي أو يأخذ مكانه بين مراقبي الأعراف.

بما أن جميع مستويات الكون هي عبارة عن العديد من الأعمال الإلهية المنبثقة من الخيال الإلهي المطلق، فلا يمكن أن يكون هناك أي سؤال حول إعادة استيعابها أو إنكارها أو إبادتها دون أن يتعارض ذلك مع الإرادة الإلهية الظاهرة. إن مثل هذا التمرد هو بالضبط ما يخلق حالة شعوب الجحيم، لأنهم لم يفهموا. لكن الجيلي يجعل من الممكن لنا أن نفهم، من خلال إجراء تمييز مشابه للتمييز الذي سبق أن أشير إليه لنا (انظر أعلاه، المادة ن، رقم 3). إن الخيال الذي يُنظر إليه في مجمله له مبدأ مزدوج، ومصدر مزدوج: من ناحية، هو تكوين نشط

وينتمي إلى عالم الوجود الفائق (عالم الخيال المطلق، عالم الملكوت، عالم النفس)؛ ومن ناحية أخرى، هو الصورة المتخيلة، والصورة المتشكلة، والتمثيل الفاني (الصور المحتجزة "أسيرة" في ملكات الإنسان في حالته الحالية). إن النوم الناتج عن فقدان الوعي يعني الجهل بالطبيعة الحقيقية للإدراكات الحسية. وهذا يعني الخضوع السلبي - كما لو كانوا ماديين - للبيانات (التجريبية والتاريخية وما إلى ذلك) التي أنشأتها

عبد الكريم الجيلي، الفقرة1

قوة في نفسه يبقى الإنسان غير واعٍ وغير مدرك لها. وهذا يعني الخضوع التام لهذه البيانات، ولهذا السبب يشرح الجيلي (2، 59-60) أن هذه العبودية هي بالضبط حالة الجحيم التي تمثل سوء فهم أو تمرد على التجلي الإلهي في حد ذاته؛ لأنه في جهل الإنسان بماهية التجلي الإلهي، يضع نير التصورات الموضوعية المستعبدة مكانه.

وعلى النقيض من ذلك، فإن حالة الفردوس هي التغلب على هذه العبودية لأن المرء أصبح على دراية بالقانون السري للكون باعتباره تجليًا إلهيًا، ولأن المرء متفق مع هذا السر. أما من يحصل على هذه المعرفة، "فإن الله يجعله قاضياً ليحكم في حقائق الكون". هذا الوعي، هذا الاستيقاظ من النوم العقائدي الذي كان عبودية لسلطة الأشياء الخارجية، يُعرف باسم التواجد المتبادل بين الكائن الخالق والكائن المخلوق. لأنه فهم البيانات، وبالتالي لم يعد خاضعاً لسيطرتهم، فإن المتصوف حاضر في حضور مانح هذه البيانات. ومنذ ذلك الحين، أصبح الخيال الإلهي هو الخيال الحقيقي، السر الحقيقي للقوة التي تخلق كل الأكوان، وهذا هو معنى "أن تكون مراقبًا" (إغريغوروس)، أحد رجال الأعراف. إن الذي بلغ معرفة القانون الذي يعطي بنية لهذا الكون، والذي أصبح متاحاً له متى شاء كل ما جعلته معرفته حقيقة، فهو في الأعراف، مكان القرب الإلهي، المشار إليه في الآية القرآنية: "فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ " (54: 55). ولهذا السبب يشرح جميع مؤلفينا المصطلح الغامض "الأعراف" من خلال الجذر الذي اشتُقت منه الكلمة: المعرفة: معرفة الغنوص، وهي المعرفة التي هي إدراك روحي.

هناك العديد من التقاليد المتعلقة بالأعراف، وسيحتاج الأمر إلى كتاب كامل لتنسيقها واستخلاص معانيها. وهي كثيرة عند الشيعى (انظر السفينة، الجزء الثاني، 182). بالنسبة للشيخ مفيد، الذي يعبر عن رأي عام في هذه النقطة، فهو جبل أو حاجز، مكان وسيط بين الجنة والنار. الآيات القرآنية (7: 44 و 46) يسمى: "الأعراف" أي الحاجز الذي يوجد فيه رجال موهوبون بفطنة الوجوه، أي أنهم قادرون على التعرف على جوهر كل فرد من خلال ملامحه. بالنسبة لعلماء الشيعى، فإن هؤلاء الرجال من الأعراف هم الأربعة عشر المطهرون (النبي وفاطمة والأئمة الاثني عشر): لا يدخل الجنة إلا من يعرفه هؤلاء، ولكنهم لا يستطيعون التعرف إلا على من عرفهم بنفسه. وبالتالي فإن هذا الإدراك هو كذلك تواجد، لأنه يُعرف أثناء المعرفة، أي في فعل المعرفة نفسه، بطريقة يتفاعل فيها الداخل والخارج بشكل متبادل. وهكذا فإن هذا الحضور في المعرفة وأن يُعرف يعتمد على الوظيفة الإلهية لشخص الأئمة الأطهار. ومن ثم فإن أهمية مكان الأعراف تكمن في الباطنية بشكل عام.

الأعراف هو "الارتفاع الذي يطل"، وهو الذي من خلاله وبواسطته يصبح الإدراك الإلهي ممكناً، أي: الإدراك الرؤيوي للوجود الإلهي كما يتجلى في كل شيء، بصفاته التي يكون كل شيء شكلاً إلهياً منها.

ومن النقاط المهمة التي تلي ذلك أن مؤلفينا يربطون مصطلح "الأعراف" بأنه "ارتفاع مهيمن" أو "الرأس"، بأحد أحاديث النبي التي تحكم التفسير الباطني الكامل للقرآن: فلكل آية جانب ظاهري (الظاهر، حيث يُتلى النص الحرفي)، وجانب باطني (الباطن، وهو المعنى الخفي الذي يجب فهمه)، وجانب نهائي (الجد، وهو تحديد السلوك العملي)، و"غاية سامية"، وهي ما يهدف الله إلى تحقيقه في الإنسان ومن خلاله. وقد تم إثراء هذا الحديث من إمام إلى إمام بتنويعات وتوسعات أصبحت تقليدية (المعاني الباطنية السبعة، ومستويات المرجعية التسعة، وما إلى ذلك). يذكرها روزبهان وغيره في بداية تفسيرهم. وبالتالي فإن الأعراف هي "الرأس"، الارتفاع الذي يجب بلوغه و"إدراكه" من أجل إدراك المعنى الروحي، أو بالأحرى الوصول إليه - هذه هي النقطة بالضبط: إدراك المعنى الروحي للوحي، و"إدراكه"، و"التاريخ الروحي" الذي يمثل البعد غير المرئي للبيانات الحرفية والأحداث الأرضية. أما المتصوفة، بعد أن أصبحوا معروفين ومعترف بهم بنفس القدر الذي هم فيه من العارفين، فإنهم بدورهم يصبحون "رجال الأعراف". ولهذا السبب هم العارفون بالله، لأن من يعرف الله يعرف

بنية العالم الآخر.

هناك مكان غامض آخر في العالم الآخر، بالقرب من الأعراف، والذي تم ذكره في نصنا، وسيكون من المفيد في هذه المرحلة تقديم تفسير الجيلي الخاص (II، 59-60). هذا هو المكان المعروف باسم "الكثيب" أو "منطقة الكثبان الرملية". نتعلم أنها منطقة أو مستوى يقع أسفل الأعراف. الفرق بين سكان الكثيب وسكان الأعراف هو أن الأولين غادروا عالمنا قبل أن يظهر الله نفسه لهم. عندما هاجروا إلى العالم الآخر، كان مكان إقامتهم هو الجنة، ومن هناك يخرجهم الله أحيانًا باتجاه الكثيب لكي يظهر نفسه لهم هناك، أي لكي يظهر نفسه لكل واحد منهم وفقًا لإيمانه ومعرفته بالله. أما سكان الأعراف، من ناحية أخرى، فهم روحانيون تجلى لهم الله قبل مغادرتهم هذا العالم، وبالتالي فقد رأوه بالفعل هنا في عالمنا هذا. بالنسبة لهم، لا يوجد مسكن خارج العالم إلا في الله، "لأنه إذا وصل المرء إلى بلد يقيم فيه صديق، فلا يمكن لهذا الصديق أن يسمح له بأن يتخذ من نفسه مسكناً".

في صفحات أخرى (1 70 II 1 في سياق تطوير طوبوغرافيا خيالية عالي

تصف السماوات السبع والأراضي السبع (انظر النص المترجم أدناه، المادة 11، الفقرة 1)، يشير الجيلي مرة أخرى إلى البلد الغامض يوه، بلد "الرجال الخفيين"، الذين لا يعترفون بأحد سوى النبي خضر بصفته سيدهم. يصف المقطع المترجم أدناه دخول الحاج الروحي إلى تلك البلاد. في هذه الحالة، تُسمى الأرض السماوية، وهي أولى الأراضي، "أرض النفوس"، ويتم وصفها بمصطلحات تستخدم رموز الشمال (انظر أعلاه، الجزء الأول، الفصل ن، الفقرة 1، الجزء الأخير في الختام، والفقرة 2)، وهكذا نجد هنا مرة أخرى، في علم المعرفة الإسلامية، موضوع "جنة هايبربوريا" (قارن بفر فيرنا). إنها أرض خُلقت أبيض من الحليب، وأنعم من المسك. عندما طُرد آدم من الأرض، اتخذت لون التراب، باستثناء منطقة في أقصى الشمال، يحكمها الخضر، ويسكنها "رجال الغيب"، والتي لا يستطيع أي خاطئ الوصول إليها. إنها بلاد "شمس منتصف الليل": هناك لا تكون صلاة المساء واجبة، لأن الفجر يشرق قبل غروب الشمس.

1. أرض الأعراف، أرض المراقبين

بصرف النظر عن خلود الجنة، ومع ذلك كم هي بعيدة
عن الجحيم!
إدغار آلان بو , الأعراف

أعلم، عسى الله أن يعينك! -أن الخيال هو مبدأ ومصدر الوجود؛ إنه الجوهر الذي يحتوي على كمال التجلي الإلهي (ظهور المعبود'). تأمل في إيمانك الشخصي فيما يتعلق بالكائن الإلهي. ألا ترى أن هذا الإيمان مرتبط بصفات وأسماء معينة يتضمنها لك؟ أين هو المكان، وما هي الأداة التي تجسّد هذا اليقين العميق الذي يكشف فيه الله العليّ عن نفسه لك؟ هذا المكان، هذه الأداة هي بالضبط الخيال، ولهذا السبب تحديداً نؤكد أن الخيال هو الجوهر الذي يكمن فيه كمال التجلي الإلهي.

بمجرد أن تدرك ذلك، يصبح من الواضح لك أن الخيال هو مبدأ ومصدر الكون بأكمله، لأن الكائن الإلهي هو نفسه مبدأ وأصل كل الأشياء، ولأن أكمل تجلياته لا يمكن أن تحدث إلا في وعاء هو أصله ومبدأه. هذا الأساس هو الخيال.

منذ تلك اللحظة، أصبح من المؤكد أن الخيال هو المبدأ والمصدر لجميع الأكوان بلا استثناء.

ألا ترون الآن كيف أدرك النبي ما هو موضوع الإدراك الحسي على أنه حلم، وهذا الحلم على أنه خيال؟ قال: "البشر نائمون". "إنهم يستيقظون عندما يموتون." 1 وهذا يعني أنه في تلك اللحظة، وبمعناها الحقيقي، تتجلى الحقائق التي كانت بجانبهم في هذا العالم، وعندها يدركون أنهم كانوا نائمين. هذا لا يعني أن الموت يؤدي إلى الصحوة الكاملة. لأن عدم الوعي بالله يخيم على سكان العالم الآخر (البرزخ) وكذلك على رجال اليوم الآخر، وكذلك على سكان الجحيم كما على سكان الجنة، حتى يظهر الكائن الإلهي نفسه لهم في "منطقة الكثبان "،2 التي يخرج إليها سكان الجنة أحيانًا ويتأملون الله.

هذا اللاوعي هو النوم. إن مبدأ ومصدر جميع الأكوان هو الخيال. ولهذا السبب يربط الخيال بين جميع الأفراد الموجودين في هذه العوالم. ترتبط كل من هذه المجتمعات بالصورة المتخيلة في أي عالم قد تكون فيه. إن سكان هذا العالم، على سبيل المثال، مرتبطون ببعضهم البعض من خلال خيال الحياة اليومية أو من خلال خيال الحياة المستقبلية (عن طريق الرغبة في "ضمان" أحدهما والآخر). الآن، ينطوي كلا الأمرين على عدم إدراك التواجد المتبادل مع الله.3 ولهذا السبب يكون هؤلاء الناس نائمين، بينما الشخص الذي يتواجد مع الحضور الإلهي هو مراقب، مستيقظ (إيغريغوروس4)؛ درجة يقظته تتناسب مع تواجده المتبادل مع الله.

وبدورهم، فإن سكان العالم الآخر (البرزخ) هم أيضاً أناس نائمون، على الرغم من أن نومهم أخف من نوم بعض الناس في عالمنا. في الواقع، إنهم منشغلون تماماً بالمعاناة أو المتعة، وهما أمران يشكلان أنفسهم، وينبعان من أنفسهم، وأمران هم أنفسهم جزء منهما. وهذا أيضاً نوم، لأنهم غافلون عن الله وغير مدركين له بنفس القدر. وينطبق الأمر نفسه على رجال اليوم الآخر، فمع أنهم يقفون أمام الله "لتقديم الحساب"، إلا أنهم

لا يحضرون أمام الله حتى مع "تقديمهم الحساب". وهذا هو النوم، لأنه حالة من عدم الوعي. لكن نومهم أخف من نوم سكان العالم الآخر. وهكذا يكون الأمر نفسه بالنسبة لأولئك الذين يعيشون في الجنة، بل وأكثر من ذلك بالنسبة لأولئك الذين يعيشون في الجحيم. الأولى تتعلق بالمتعة التي يختبرونها؛ والثانية تتعلق بالألم الذي يعانونه. وهذا يعني أيضاً عدم إدراك وجود الله. إنه نوم، وليس حالة يقظة. لكن نوم أهل الجنة أخف من نوم أهل يوم الأخير.

لذلك، وبهذا المعنى، فإن النوم يشبه قانون الطبيعة للجميع، بمعنى أن كل ساكن في جميع الأكوان، بينما هو، بمعنى ما، حاضر مع الكائن الإلهي على هذا النحو، لأن الكائن الإلهي حاضر مع الوجود في كليته - يقول عن نفسه: "هو معكم أينما كنتم" (57: 4).

-ومع ذلك، فإن الجميع حاضرون معه فقط في الحلم، وليس في حالة اليقظة الواعية.

ولهذا السبب لا يوجد صحوة وحالة يقظة إلا لسكان الأعراف ولأولئك الذين يعيشون في "منطقة الكثبان". لأنهم في حالة توافق متبادل مع الله، ودرجة استيقاظهم تتناسب مع التجلي الإلهي الذي يتجلى لهم. لقد أظهر الله نفسه للإنسان الذي، بسبب استعداد إلهي، يحصل من الله، هنا في هذا العالم، على ما يتم إنتاجه لاحقًا فقط في "منطقة الكثبان " لسكان الجنة 6، وهذا ما يظهره الله له فيعرفه. لذلك فهو مراقب ((إغريغوروس مستيقظ). ولهذا السبب، أعلن أمير جميع الروحانيين الذين وصلوا إلى هذا المسكن أن البشر نائمون. كان ذلك لأنه كان هو نفسه مراقباً وكان يعلم. لذلك، الآن وقد فهمت أن سكان كل كون يخضعون لقانون النوم، أعلن أن جميع الأكوان هي مجرد صور متخيلة، لأن الحلم هو عالم الخيال.

2. رحلة الغريب والحوار مع الخضر

الغريب، الملقب بالروح 7، سافر حتى

وصل إلى أرض يوه 8. عندما

وصل إلى تلك الجنة، طرق باب العتبة المحرمة.

سأله صوت: "من أنت، أيها العاشق الذي يطرق البوابة؟"

فأجاب: "فرد مؤمن بالمحبة، منفصل عن أهله". لقد طُردت من بلدكم. لقد ابتعدت كثيراً عن أمثالكم. لقد كنت مقيداً بقيود الارتفاع والعمق، والطول والعرض. لقد سُجنت في سجن النار والماء، والهواء والأرض. 9 أما الآن وقد قطعت قيودي، فقد بدأت أبحث عن مخرج من السجن الذي كنت محتجزاً فيه.

ثم وجد نفسه في حضرة شخص ذي شعر أبيض، فقال له: "اعلم أن العالم الذي تعود إليه هو عالم الغيب (عالم ما وراء الحواس). الرجال المنتمون 10 إليها يتمتعون بعدد كبير من الصفات؛ وهم متعاونون بحساسية؛ ويمتلكون أساليب فعالة؛ ويوفرون مجالاً واسعاً. من يطمح إلى الانضمام إليهم والظهور أمامهم، عليه أن يرتدي ثيابهم الفاخرة وأن يتعطر بعطرهم الناعم.

"من أين أحصل على الملابس؟ أين تُباع هذه العطور؟"

"يمكن العثور على الملابس في سوق السمسم المتبقي كفائض من بقايا طين آدم.11 أما العطور، فيمكن الحصول عليها من أرض الخيال." إذا كنت تفضل ذلك، يمكنك عكس هذا التفسير: في هذه الحالة استعر الملابس من قماش الخيال والعطر من أرض السمسم. فهما بلا شك أخوان (أو أختان)، وكلاهما ينتميان إلى نفس العالم المسمى عالم الغموض أو عالم ما وراء الحواس. 12 ثم ذهبت، أولاً نحو أرض الكمال، المظهر الأصلي للجمال، المسمى بسبب جوانبه، "عالم الخيال". في ذلك المكان بالذات التفتُّ نحو شخصية في حالة سامية، ذات رتبة عالية، وسلطة سيادية. كان يحمل اسم: "روح الخيال" *(روح الخيال)* ولقب: *"روح الجنة" (روح الجنان)*. عندما سلمت عليه ووقفت باحترام أمامه، رد عليّ بالعديد من التحيات الترحيبية.

قلت له: يا سيدي، ما اسم هذا العالم؟ إنه السمسم المتبقي من طين آدم؟ 13

قال لي: "هذا هو العالم الخفي، عالم لا يفنى إلى الأبد، مكان لا يزول مع تعاقب الليالي والأيام. خلقه الله من ذلك الطين؛ اختار هذه البذرة من بين كل الطين، ثم منحها سلطة امتدت إلى كل شيء، إلى العظيم والوضيع...14 إنها أرض يصبح فيها المستحيل ممكناً، حيث تُتأمل صور الخيال الخالصة بالحواس.

"هل سأجد طريقاً يؤدي إلى هذا المسكن الاستثنائي، إلى هذا العالم الغريب؟"

" 'بالتأكيد! عندما يبلغ خيالك النشط كل كماله وكل تمامه، ستتوسع قدرتك حتى تجعل المستحيل ممكناً، حتى تتأمل حقائق الخيال فوق الحسية في وضع حسي، حتى تفهم العلامات الإيحائية وتفك شفرة سر علامات التشكيل في الحروف. عندها ستكون قد نسجت ثوباً من هذه الحقائق فوق الحسية؛ وعندما ترتديه، افتح لنفسك باباً يؤدي إلى السمسم.

"يا سيدي، أنا أفي بالشروط، لأني موجود هنا الآن وملزم برباط الاتفاق المبرم." أعلم بالفعل، من خلال الوحي والاكتشاف الشخصي، أن عالم الكيانات الروحية الخالصة أكثر وضوحاً وقوة من العالم الذي تدركه الحواس، سواء من حيث التجربة الحميمة أو الحدس الرؤيوي.

ثم، بعد همهمة، أشار بيده، فوجدت نفسي على أرض السمسم...15

"عندما توغلت في هذه الأرض الرائعة وتعطرت بعطورها الحلوة الغريبة، وعندما تأملت عجائبها وغرابتها، أشياء جميلة ونادرة لدرجة أنها لم تدخل بعد في تفكيرك ولا يمكن رؤيتها لا في عالمنا ولا حتى في عالمنا الذي نتخيله، سعيت للصعود إلى عالم الغموض."

"في تلك اللحظة وجدت مرة أخرى الشيخ الذي كان مرشدي الأول، لكنني تأكدت من أن ممارسة العبادة الإلهية جعلته نحيفًا جدًا لدرجة أنه بدا وكأنه شبح خالص،

وأنه أصبح أنحف مما كان يتصوره المرء. وعلى الرغم من ذلك، فقد احتفظ بكل قوته الداخلية ونفس الطاقة الروحية الإبداعية؛16 كان مندفعًا وحازمًا كما كان من قبل، وسريعًا في الجلوس والوقوف، وكان إشراقه مثل إشراق القمر المكتمل.

"بعد أن سلمت عليه ورد عليّ التحية، قلت له: "أرغب في الوصول إلى رجال عالم الغيب (الخفيين، الخارقين). لا شك في أنني أستوفي الشروط.

قال لي: "إذن فقد حان وقت الدخول". لقد حان وقت اللقاء من جديد. وبخاتمه طرق الباب الذي ظل مغلقاً حتى ذلك الحين، فانفتح على مصراعيه. لقد توغلت في مدينة الأرض العجيبة؛ طولها وعرضها هائلان، وسكانها لديهم معرفة بالله لا يمتلكها أي مخلوق آخر. ليس بينهم رجل يسمح لنفسه بأن يتشتت انتباهه. . تربتها عبارة عن دقيق قمح نقي وأبيض للغاية؛ جنتها من الزمرد الأخضر. سكانها المستقرون من عرق نقي ومن طبقة نبيلة رفيعة؛ ولا يعترفون بملك آخر غير الخضر. 17 لقد وضعت أمتعتي عنده تحديداً. دخلتُ في حضرته، وركعتُ وبدأتُ بتقديم تحياتي. بدوره، رحب بي كما يفعل الصديق مع صديقه. ثم دعاني لأكون ضيفه، وبابتسامة جعلتني أشعر بالراحة التامة، قال لي: "حسنًا!" والآن قل ما لديك لتقوله.

قلت: "يا سيدي، أود أن أسألك عن وضعك السامي، لأن حالتك يصعب تصورها لدرجة أن كلماتنا تتشابك عندما نرغب في وصفها، على الرغم من أن بعض الناس يصرون على فعل ذلك بشكل أعمى."

قال لي 18: "أنا هو الحقيقة المتعالية، وأنا الخيط الرفيع الذي يقربها كثيراً. 19 أنا سر الإنسان في فعل وجوده، وأنا ذلك الكائن غير المرئي (الباطن، الخفي، الباطني) الذي هو موضع العبادة". أنا الأسطوانة التي تحتوي على الجواهر، وأنا مجموعة الخيوط الرقيقة التي تم طرحها كوسيط. أنا الشيخ ذو الطبيعة الإلهية، وأنا حارس عالم الطبيعة البشرية.20 أجعل نفسي موجوداً في كل مفهوم

ومتجلياً في كل مسكن. أظهر في كل شكل من أشكال الإشراق، وأجعل "علامة" مرئية في كل سورة. شرطي هو أن أكون غامضاً وغير مألوف. وضعي هو أن أكون الغريب، المسافر. مسكنِي الدائم هو جبل قاف. 21 ومحطتي هي الأعراف. 22 أنا الواقف عند ملتقى البحرين، الذي يغوص في نهر حيث، والذي يشرب من منبع المنبع. 23 أنا دليل السمك في بحر الألوهية. 24 أنا سر الجنين، وأنا أحمل بالفعل المراهق. أنا من أهل موسى. 25 أنا النقطة التمييزية الأولى والأخيرة. 26 أنا القطب الفريد الذي هو مجموع كل شيء. أنا النور المتلألئ. أنا البدر الصاعد. أنا الكلمة الحاسمة. أنا بهجة الوعي. أنا رغبة الباحثين. إن الإنسان الكامل (الإنسان الكامل)، الروح المتجمعة، هو وحده الذي يصل إلي ويجد سبيلاً للوصول إلي. أما بالنسبة للآخرين، فإن رتبتي أعلى بكثير من مكان إقامتهم. ليس لديهم أي معرفة بي؛ ولا يرون أي أثر لي. من ناحية أخرى، يتشكل اعتقادهم العقائدي بالنسبة لهم في أحد أشكال الدين التي يعتنقها البشر. إنهم يتظاهرون بشكل مثير للسخرية باسمي؛ ويرسمون رمزي على خدودهم. ثم يستقر الجاهل، عديم الخبرة، بنظره هناك، ويتخيل أن هذا هو بالفعل ما يحمل اسم الخضر.لكن ما علاقة ذلك بي، وما شأني أنا بذلك؟ أو بالأحرى، ما قيمة هذا الكوب المسكين مقارنةً بجرتي؟ إلا إذا قيل، في الحقيقة، أن هذه أيضاً قطرة من محيطي، أو ساعة من أبديتي، لأن حقيقتها هي خيط واهن بين هشاشاتي،27 وأن الطريق الذي سلكه هؤلاء هو طريق بين طرقي. إذن، بهذا المعنى، أنا أيضاً هذا النجم الزائف.

"ما هي العلامة المميزة؟" سألته حينها: "ما هو رمز من يصل إليك، ومن يتخذ مسكناً في حرمك الخارجي بالقرب منك؟"

"قال لي: "إن علامته المميزة مخفية في معرفة القوة الإبداعية، ومعرفتها السامية متضمنة في علم استخلاص الجواهر."

ثم سألته عن الفئات المختلفة لـ "رجال الغيب".

(رجال الغيب)، من هم من عالم الغموض) *28.*

قال لي: "هناك بعض من بينهم من الأداميين، وهناك بعض من بينهم من هم كيانات روحية خالصة. تشكل هذه الفئات ست فئات تختلف في ترتيبها.

"الفئة الأولى هي الفئة المتميزة؛ إنهم الكاملون، والمتأهلون العظماء الذين يسيرون على خطى الأنبياء 29 والذين يظلون غير مرئيين لمخلوقات هذا العالم، لأنهم مخفيون في السر الذي تم تحديده على أنه المستوى الذي يتوج عليه الرحيم 30. إنهم غير معروفين، ولا يمكن وصفهم، على الرغم من أنهم من نسل

آدم.

"تتكون الفئة الثانية من المقربين من المستويات فوق الحسية، الأرواح التي تلهم القلوب." 31 يتجلى المرشد الروحي من خلال اتخاذ شكلهم، حتى يهتدي به البشر إلى الكمال الداخلي والخارجي. إنهم أرواح؛ إنهم، إذا جاز التعبير، أشكال شبحية خالصة، حيث أن لديهم القدرة على إنتاج تمثيل مرئي لأنفسهم. إنهم يسافرون، وينطلقون من هذا العالم المرئي؛ ويصلون إلى أبعد مدى في مجال سر الوجود. بعد ذلك، قد ينتقلون من الحالة الخفية إلى الحالة المرئية. أنفاسهم هي خدمة إلهية خالصة. إنهم أعمدة الأرض، 32 يسهرون على التقاليد والوصايا من أجل الله.

"الفئة الثالثة هي ملائكة الإلهام والدوافع الذين يزورون المتأهلين خلال الليل ويتحدثون مع الروحانيين؛ إنهم لا يظهرون أنفسهم في عالم الإدراك الحسي؛ ولا يعرفهم عامة الناس.

"الفئة الرابعة هم رجال المزامير السرية طوال فترة نشوتهم. إنهم دائمًا خارج عالمهم. إذا صادفهم المرء يوماً ما، فسيكون ذلك دائماً في مكان آخر غير المكان الذي كان من المفترض أن يتواجدوا فيه. إنهم يتجلون للرجال الآخرين من خلال اتخاذ شكل في عالم الإدراك الحسي. عندما يصادف أن يلتقي بهم الروحانيون في هذه المنعطفات، فإنهم يُعرّفونهم بأسرار العالم الخفي ويُطلعونهم على الحقائق التي تبقى سرية.

"الفئة الخامسة هم رجال الأراضي البرية؛ إنهم المتميزون في العالم. إنهم سلالة من الأداميين، بإمكانهم أن يجعلوا أنفسهم مرئيين للبشر، ثم يخفون أنفسهم. عندما يتم مخاطبتهم، فإنهم يجيبون. في أغلب الأحيان،

تكون مساكنهم في الجبال والصحاري، في مجاري الأنهار أو على ضفافها. أحياناً يكون بينهم من يميلون إلى الاستقرار؛ فيختارون من بين المدن مسكناً يختارون الإقامة فيه؛ لكنه ليس مكاناً يثقون به، ولا يلبي طموحاتهم المرجوة.

"الفئة السادسة هي تلك التي تشبه الإلهامات المفاجئة للفكر، والتي لا تشترك في أي شيء مع الإيحاءات الشيطانية. إنهم أطفال الذي أبوهم هو الخطاب العقلي وأمهم هي الخيال النشط. لا أحد يكترث لما يقولونه؛ أمثالهم لا يثيرون رغبة شديدة. إنهم يقعون بين الزيف والصدق؛ كلاهما أشخاص رفعوا الحجاب وأشخاص ما زالوا يقفون أمام الحجاب. "(وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ" (33: 4). "وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ" (13: 39، أم الكتاب). "

5

شمس الدين محمد اللاهيجي
(ت. 869/ 1465)

جابلقا وجابلسا *

في روايات وكتب التاريخ التقليدي، ورد ذكر أن جابلقا مدينة ضخمة تقع في الشرق، بينما جابلسا مدينة كبيرة وواسعة بنفس القدر، تقع في الغرب، مقابل جابلقا. لقد جعل خبراء تفسير الرموز هذا الموضوع محوراً للعديد من الشروحات. يمكن تلخيص الفكرة التي توصلت إليها بنفسي من خلال التفكير المستقل تمامًا على النحو التالي، تحت عنوانين: أولاً، جابلقا هي العالم المثالي الموجود في الشرق، والمتجه نحو الكيانات الروحية؛ إنه العالم البيني (البرزخ) بين العالم فوق الحسي والعالم المرئي للحواس. إنها تحتوي على جميع النماذج الأصلية للكون، وبالتالي فهي بالضرورة مدينة هائلة. جابلسا، في الغرب، هي عالم الصورة، العالم البيني الذي تسكنه الأرواح عندما تغادر عالم الوجود الأرضي.1 وهو المكان الذي توجد فيه صور جميع الأعمال المكتملة، وصور جميع السلوك الأخلاقي والأفعال الحسنة والسيئة، تلك التي تم اكتسابها خلال الوجود الأرضي، كما تشهد بذلك آيات القرآن الكريم وأحاديثنا النبوية. وهكذا، فإن جابلسا هي العالم البيني الواقع في الغرب، والمتجه نحو الأجسام المادية؛ وبضرورة، فهي أيضًا مدينة ضخمة وتواجه جابلقا. إن بنية جابلقا أكثر دقة ونقاءً من بنية جابلسا، من حيث الأعمال المخلوقة

والسلوك الأخلاقي المكتسب في عالم الوجود الأرضي، 1

تتكون إلى حد كبير من أشكال وشخصيات مغلفة بالظلام.

• مقتطف من التعليق الفارسي على "حديقة أسرار الورد" (جولشان راز)، وهي قصيدة صوفية من تأليف محمود شبستري (توفي عام 720/ 1320). طبعة كايفانسامي، طهران، 1378/1958،ص. 134..36

يعتبر معظم الناس هذين العالمين البينيين (البرزخ) عالماً واحداً فقط. ومع ذلك، من المهم إدراك أن العالم البيني الذي توجد فيه الأرواح بعد انفصالها عن الوجود الأرضي يختلف عن العالم البيني الذي يمتد بين الكيانات الروحية الخالصة والأجسام المادية. في الواقع، تشكل درجات الوجود المتناقصة من جهة، والدرجات الصاعدة من جهة أخرى، دورة، حيث لا يمكن تمثيل نقطة التقاء النقطة النهائية والنقطة الأولية إلا كحركة دوران كاملة. إن العالم البيني الذي يسبق مجال الوجود الأرضي هو جزء من سلسلة درجات الوجود التنازلية؛ وبالنسبة للوجود الأرضي، فإن هذا العالم البيني له الأولوية والأسبقية، في حين أن العالم البيني الذي يلي الوجود الأرضي هو جزء من الدرجات التصاعدية؛ وبالنسبة للوجود الأرضي، فإن رتبته هي الأخيرة واللاحقة.

إلى جانب ذلك، فإن الأشكال التي تعود لتلتقي بالأرواح مرة أخرى في العالم الآخر هي أشكال أعمالهم، ونتائج أفعالهم، والعادات المكتسبة والسلوك الذي نفذوه في العالم الأرضي. الآن هذا ليس هو الحال مع الأشكال النموذجية للعالم البيني الأول؛ ومن ثم، هناك فرق واضح جداً بين أحدهما والآخر. من ناحية أخرى، يشترك العالمان المتداخلان في كونهما كونين روحيين، وأن النور هو جوهرهما، وأنهما غير ماديين، وأنهما يحتويان على الأشكال والصور المستقلة للكون الواحد.

يلفت الشيخ داود القيصري الانتباه بشكل خاص إلى صفحات كتاب الشيخ محيي الدين ابن عربي بعنوان الفتوحات المكية، 2 حيث يذكر المؤلف بوضوح أنه لا شك في أن العالم الثاني يختلف عن العالم الأول. ويطلق على الأخير اسم لغز الممكن (أو المستقبلي) بينما يطلق على الثاني اسم لغز المستحيل (أو الذي لا رجعة فيه). هذان التسميان يعنيان أنه إذا كان من الممكن، من ناحية، أن يتجلى كل شكل أو نموذج أصلي موجود في العالم الأول في العالم المرئي، فمن المستحيل، من ناحية أخرى، أن يعود شكل منقول إلى العالم الثاني إلى العالم المرئي، إلا إذا كان موجودًا في العالم الثاني. كثيرون هم المتصوفون ذوو الرؤى،

الذين تتجلى لهم أشكال العالم الأول كأشباح، والذين يمتلكون بالتالي معرفة مسبقة بالأحداث في عالمنا. لكن قلة قليلة من أصحاب الرؤى لديهم معرفة بحالة من فارقوا الحياة بعد وفاتهم.

ثانيًا، أود أن أشير إلى ما يلي: بما أن مدينة جابلقا هي المستوى الإلهي الذي يتميز بـ "التقاء البحرين"،3 أي التقاء نمط الوجود الضروري ونمط الوجود الممكن، يمكننا أن نفهم أنه يحتوي على أشكال وصور وحدة الأشياء والكائنات، بجميع درجاتها: العامة والفردية، الدقيقة والكثيفة، الأعمال والحركات، طريقة الوجود وطريقة العمل، الحركة والسكون. يمكننا أن نعتبر أن جابلقا تشمل كل ما كان وكل ما سيكون، ولهذا السبب تقع في الشرق، لأنه وراءها توجد درجة الذات الإلهية في ذاتها، دون وجود أي حل للاستمرارية بين الاثنين. إن الشموس والأقمار والنجوم، وهي الأسماء الإلهية والصفات والهويات الأبدية، تنشأ في الشرق، وهي الذات الإلهية، ومنها تشع روعتها. أما مدينة جابلسا، من ناحية أخرى، فهي عالم الإنسان، المكان الذي تتجلى فيه عالمية محتويات الأسماء الإلهية وجميع جوهر الوجود. كل ما يشرق شرق الذات الإلهية، يتلاشى في النهاية عند غروب الواقع البشري ويصبح مخفياً في شكل الوجود البشري. وقد عبر أحد الشعراء عن ذلك على النحو التالي: "إذا كان هناك غرب، فها نحن هنا - أصبحنا أعراض للألغاز. لو لم يكن هناك غرب، ها نحن ذا - أصبحنا مشارف الأنوار."

باختصار، جابلقا وجابلسا مدينتان هائلتان، إحداهما تواجه الأخرى، وفي الحقيقة لا حدود لعدد المخلوقات التي تسكنهما. وبما أن لكل عالم من العوالم شرقه وغربه على التوالي، فإن مؤلف كتاب "حديقة أسرار الورد" يعلن: "تأملوا معًا في الشرق والغرب، 4 على الرغم من أن عالمنا هنا في الأسفل لا يحتوي إلا على واحد من كل منهما".

اعلم أن عالم "الإله"، فيما يتعلق بعالم "السيادة"6 هو شرق ينبعث منه الإشعاع البدائي على عالم السيادة هذا. وعالم السيادة 5

هو شرق بالنسبة للعالم البيني للصور النموذجية، وعالم الصور النموذجية هو شرق بالنسبة للعالم الحسي. من كل من هذه المقاصد، يفيض الفيض الإلهي على العالم الذي يقع تحته. كل كون من الأكوان بدوره، وكل درجة من درجات الوجود، وكل فرد من الأفراد، هو شرق تشرق منه شمس اسم واحد من بين الأسماء الإلهية. إن قلب الإنسان، لأنه يعيد صياغة جميع أشكال الوظيفة الإلهامية، يمتلك المئات، بل مئات الآلاف من الموجهات وأكثر من ذلك، وكل النجوم التي هي الأسماء الإلهية ترتفع وتتألق من خلال هذه الموجهات. لكن مقابل كل واحد يوجد أيضاً غرب. ما أروع وأغرب قلب الإنسان، الذي لا يراه أحد إلا حجاج الروح، وهم أنقياء القلب. 6

VI

صدر الدين محمد الشيرازي
(ملا صدرا)
(توفي عام 1050/ 1640)

التكثيف الروحي *

اقترح هنري مور مصطلح *spiritualis* spissitudo (التكثيف الروحي أو الاتساق) في كتابه *Enchiridion metaphysicum* للدلالة على "البعد الرابع" (quarta *dimensio*)، وهي الفكرة التي خطرت له حتماً بمجرد أن فهم الفرق بين مفهومي المكان *(locus supracoelestis)* ومفهوم المادة. بدا هذا التعبير
مناسباً لوصف الصفحات التالية من كتاب ملا صدرا. إنه يبرز تقارباً ليس مفاجئاً تماماً بين أفلاطون كامبريدج وأفلاطون الفرس، والذي سنعود إليه في مكان آخر.

كل ما يتصوره الإنسان لنفسه، وكل ما يدركه حقًا، سواء من خلال الإدراك المعقول أو الحسي، سواء في هذا العالم أو في الآخرة، كل هذه الأشياء لا تنفصل عن الإنسان نفسه ولا يمكن فصلها عن جوهره "الأنا". وبشكل أدق، فإن ما هو في جوهره موضوع الإدراك هو شيء موجود في ذاته، وليس في شيء آخر. لقد أتيحت لنا الفرصة بالفعل للحديث عن ماهية موضوع الإدراك البصري في جوهره؛ فعندما ندرك السماء أو الأرض أو أي شيء آخر، فإنه ليس شكلاً خارجياً موجوداً في بيانات مادية موضوعية، كما هو موجود في أبعاد عالمنا.

صحيح أنه في فجر الوعي عند الإنسان، يتطلب إدراك النفس تعاون الأعضاء المادية (العين والأذن وما إلى ذلك)؛ كما يتطلب أن يفي موضع الأشياء بعلاقات معينة،

., * مقتطف من كتاب ثيوصوفيا العرش (كتاب
الحكمة العرشية)، طهران، 1315/ 1897، ص 148، 15 1-55، 195-98. كان هذا الكتاب موضوعًا للعديد من الشروح، ولا سيما شرح الشيخ أحمد الأحسائي (تبريتز، 1278/1861)؛ انظر الصفحات 182-202، 325-334، ..
وبعض المقتطفات منه ترد أدناه (المادة (164 'IX, 4 b, c 5

لأن الإدراك لا يزال كامنًا فقط في وجود الإنسان بقدر ما هو ذات شعور. لذلك يجب وضعها في منظور مناسب ويجب استيفاء الشروط الخاصة بعضو الإدراك فيما يتعلق بجسم مادي. لكن الشيء المادي ليس إلا شيئًا يُدرك بالصدفة؛ إنه في الواقع مجرد شكل خارجي يحاكي ويجسد الشكل الموجود في النفس (شكلها الأصلي في الملكوت)، وهو في الأساس موضوع الإدراك. ولهذا السبب، عندما يحدث الإدراك مرة أو عدة مرات بهذه الطريقة، فإن النفس غالباً ما تكون قادرة على تأمل شكل الشيء في عالمها الخاص دون الحاجة إلى جسم مادي خارجي كوسيط. في حالة ما بعد الموت، لا يبقى أي عائق يمنع النفس من إدراك كل ما تشعر به وتدركه دون وسيط من البيانات المادية الخارجية أو من عضو جسدي لا ينتمي إلى عالم النفس ولا إلى حقيقة النفس....

من بين كل الحقائق التي يراها الإنسان ويتأملها في العالم الآخر، تلك التي تبهجه، مثل الحوريات والقصور والحدائق والنباتات الخضراء وجداول المياه الجارية - وكذلك أضدادها - الأنواع المرعبة التي يتكون منها الجحيم - لا شيء من هذه الأشياء غريب عنه، عن جوهر نفسه، ولا شيء منها متميز أو منفصل عن فعل وجوده. إن الواقع الجوهري أقوى، ودوامها أكثر ضماناً، وجوهرها أكثر استقراراً، مقارنة بالأشكال المادية لعالمنا الحسي التي تخضع للتجديد والتغيير المستمر. لذلك لا ينبغي لأحد أن يعتقد أن له الحق في التشكيك في مكان وموقع واتجاه هذه الحقائق؛ ولا حتى التساؤل عما إذا كانت في الداخل أو الخارج من كوننا، وما إذا كانت فوق فلك الأفلاك التي تحدد إحداثيات الفضاء الحسي أو ما إذا كانت مدرجة في دوائر السماوات، أو ما إذا كانت تحت الأفلاك السماوية. تصبح هذه الأسئلة بلا معنى بمجرد فهم أننا معنيون بعالم آخر من الوجود، لا توجد علاقة بينه وبين العالم المادي من حيث الموقع أو البعد.

يؤكد حديث معروف للغاية أن أرض الفردوس

هي السماء (السماء الثامنة أو سماء الأبراج)، بينما "سقفها" هو عرش الرحمن (فلك الأفلاك، السماء العليا). لكن لا ينبغي اعتبار هذا إشارة إلى المجال الفلكي المحصور في فضاء هذا العالم، بين سماء الأبراج والسماء العليا. لا، ينبغي أن نعتبر ذلك إشارة إلى ما يتوافق مع المستوى الباطني لكل سماء، وحقيقتها فوق الحسية، وكيانها الروحي، لأن الجنة تقع في باطن الحقيقة فوق الحسية للسماء.

وبالمثل، عندما يقال إن الجنة في السماء السابعة والنار في الأرض السفلى، يجب أن يُفهم أن ذلك يشير إلى شيء داخلي، شيء مخفي تحت حجاب هذا العالم، لأن العالم الآخر دائم، أبدي؛ حلاوته لا تنقطع، وثماره لا تنقطع، وثماره لا تُحرم أبداً. كل ما يطمح إليه الإنسان، وكل ما يرغب فيه، يكون حاضراً له على الفور، أو بالأحرى ينبغي القول: إن تصوير رغبته هو في حد ذاته تجربة الحضور الحقيقي لموضوعها. لكن الحلاوة والبهجة هما تعبير عن الجنة والجحيم، والخير والشر، وكل ما يمكن أن يصل إلى الإنسان مما يشكل عقابه في العالم الآخر، ليس لهما مصدر آخر سوى "الأنا" الجوهرية للإنسان نفسه، والتي تشكلت من خلال نواياه ومشاريعه وتأملاته ومعتقداته الداخلية وسلوكه. لا يمكن أن يكون مبدأهم في شيء له وجود وموقع مختلف عن فعل وجوده هو نفسه... هناك اختلافات كثيرة بين أجساد هذا العالم وأجساد العالم الآخر. في العالم الآخر، كل جسد متحرك؛ إنه حي بفضل الجوهر؛ من المستحيل تصور وجود جسد هناك بلا حياة، على عكس عالمنا حيث توجد أجساد محرومة من الحياة والوعي، وحيث لا تمتلك الأجساد الحية أكثر من حياة عرضية وعابرة. تتلقى أجساد هذا العالم نفوسها في نهاية عملية تجعلها مؤهلة لتلقيها. إن نفوس العالم الذي يتجاوز ذواتها تُنتج أجسادها وفقًا لاحتياجاتها الخاصة. ولهذا السبب في عالمنا ترتفع الأجساد والحقائق المادية تدريجياً، وفقاً لقدراتها وتحولاتها، للقاء النفوس، بينما في ذلك العالم الآخر تنزل النفوس للقاء الأجساد. فيما يلي، تعتبر الافتراضية سابقة

زمنية للفعل، بينما يعتبر الفعل سابقة وجودية للافتراضية. في العالم الذي يتجاوز الواقع الافتراضي، يكون الوجودي والمنطقي والوجودي سابقاً للفعل. هنا، يكون الفعل أنبل من الواقع الافتراضي لأنه يمثل تحقيقه. هناك، تكون الافتراضية أنبل من الفعل لأنها هي التي تنتج الفعل.

الأجسام والأحجام لا نهائية في العالم الآخر، لأنها تنشأ من تخيلات وإدراكات النفوس، وكلاهما لا نهائي. إن البراهين التي تثبت أن الأبعاد محدودة بالضرورة ليست صالحة للعالم الآخر؛ إنها صالحة فقط لأبعاد هذا العالم وتجسيداته المادية المكانية. ومع ذلك، لا يوجد ازدحام ولا إزعاج في ذلك العالم الآخر؛ لا يوجد جسد خارج جسد آخر، ولا داخله. كل إنسان، سواء كان مباركاً أو ملعوناً، يمتلك كوناً كاملاً، أوسع في حد ذاته من عالمنا، ولا يشكل أبداً، بالنسبة لكون إنسان آخر، خطوة في نفس السلسلة، لأن كل مبارك يمتلك النسبة التي يرغبها من السلسلة بأكملها. ولهذا السبب أعلن الصوفي العظيم ابو يزيد البسطامي: "حتى لو دخل العرش، بكل ما يحتويه، إلى الأماكن السرية في قلب أبي يزيد، فلن يلاحظه أبو يزيد"..

أما فيما يتعلق بالطريقة التي تتخذ بها الأفعال شكلاً، وتتخذ بها النوايا شكلاً في يوم القيامة، فيجب أن تعرف ما قيل عن مسألة أشكالها. لكل شكل خارجي طريقته الخاصة في الظهور في مسكن النفس. وبالمقابل، فإن كل شكل داخلي، وكل شكل نفسي، وكل سلوك، وكل عادة متأصلة في النفس، لها نمط معين من الوجود خارج العقل. ألا ترى أنه عندما يمارس جسم رطب تأثيره على مادة مادية قادرة على استقبال الرطوبة، فإن هذه المادة تستقبلها وتصبح رطبة مثل ذلك الجسم، وبالتالي تتمتع بنفس المرونة البلاستيكية التي يتمتع بها الأخير؟ وعلى العكس من ذلك، إذا كان يعمل على مسألة أخرى، على سبيل المثال على أداة من أدواة الإدراك الحسي أو الإدراك التخيلي، فعلى الرغم من أن هذه الأداة تخضع لتأثير الرطوبة، إلا أن هذا ليس هو نفس التأثير؛ فهو لا يصبح رطباً على طريقة ذلك الجسم، حتى أثناء تلقيه جوهر (quiddity) رطوبته، ولكن بشكل آخر ونوع آخر. وبدورها،

تتلقى الملكة الفكرية للإنسان شكلاً آخر منه وتدرك نمطاً آخر لوجودها وظهورها على الرغم من أن الجوهر المعني لا يزال هو نفسه، أي جوهر الرطوبة والرطب.

وهكذا نرى هنا كيف أن نفس الجوهر يمتلك ثلاثة أشكال في ثلاثة مساكن مختلفة، ولكل منها طريقة وجود مناسبة وطريقة ظهور محددة. توقف للحظة لتفكر في اختلاف الوضع الذي تظهره هذه الوجودات الثلاثة لنفس الجوهر، وقارن الطريقة التي يمكن بها لكل واقع مثالي ولكل جوهر ملموس أن يتخذا تكوينات مختلفة في أنماط وجودهما وظهورهما. فلا تتعجب إذا تحول الغضب، وهو حالة نفسية عند ظهوره، إلى نارٍ مُلتهمة عند اتخاذه شكلاً ذا وجود خارج عن العقل؛ ولا تتعجب إذا تحولتً المعرفة، وهي أيضاً طريقة وجود للنفس، إلى ينبوع يُسمى سلسبيل (ينبوع الجنة، القرآن 76: 18) عند ظهورها متخذةً شكلاً ذا وجود خارج عن العقل؛ ولا تتعجب إذا تحول ما التهمه أحدهم ظلماً من مال اليتيم، في الآخرة، إلى نارٍ تُعذب أحشاءه؛ ولا تتعجب إذا تحول حب الدنيا، أي الأهواء السيئة والطموحات التملكية التي هي أمراض للنفس، إلى عقارب لاذعة وأفاعي قارضة. وهذا يكفي لتقوية إيمان من يستطيع أن يفهم الوعود والتهديدات التي أطلقها النبي.

من واجب كل من لديه القدرة على المغامرة في المعرفة العليا أن يتأمل في المؤهلات النفسية، وأنماط وجود النفس، وفي الطريقة التي تؤدي بها أنماط الوجود هذه إلى آثار وأفعال خارجية. ينبغي عليه أن يجعل هذه المعرفة دليلاً حتى يتمكن من فهم كيف أن أنماطاً معينة من الوجود والسلوك تستلزم إنتاج آثار خارجية مناسبة لها في يوم القيامة. مثال على ذلك: إن عنف الغضب لدى الرجل يؤدي إلى اضطراب الدم، واحمرار الوجه، وتورم الجلد. إن الغضب حالة نفسية، شيء موجود في العالم الداخلي للإنسان. أما بالنسبة للتأثيرات المذكورة آنفاً، فهي أنماط وجود الأجسام المادية العضوية؛ وتبقى الحقيقة أنها التأثيرات التي تنتج في هذا العالم عن حالات نفسية بحتة. لذلك، لماذا

نتعجب إذا تحول الغضب في عالم آخر إلى نار خالصة تلهب القلب، وتصيب الأحشاء، وتلتهمها، تمامًا كما هو متأصل فيه في هذا العالم أن يسخن الجسم، ويسرع نبض الشرايين، ويجعل الأطراف ترتجف، ويستهلك الأخلاط، وأحيانًا يؤدي إلى مرض خطير، بل وحتى إلى حادث مميت. حسناً! ينطبق الأمر نفسه على جميع الأشكال الجسدية والمادية الموجودة في العالم الآخر؛ فجميعها ناتجة عن عادات اكتسبتها النفوس، وعن سلوكها الجيد أو السيئ، وعن المعتقدات التي تدعيها، وعن نواياها السليمة أو الفاسدة، وعن كل ما فيها يتجذر من خلال تكرار الأفعال وطرق القيام بالأشياء في هذا العالم. ولهذا السبب، إذا كانت الأفعال هي مصدر السلوك في هذا العالم، فإن النفوس هي مبادئ الأجساد في العالم الآخر من خلال أنماط وجودها.

أما بالنسبة للمادة التي تشكل الأجسام في العالم الآخر والتي من خلالها تتخذ الأفعال شكلاً وتتشكل النوايا، فإن تلك المادة ليست سوى النفس البشرية نفسها. وكما أن "المادة المادية" *(hyle)* هي هنا المادة التي تتكون منها الأجسام والأشكال الممتدة على الرغم من أن هذه المادة في حد ذاتها ليس لها مدى، فإن النفس البشرية هي المادة التي تشكل في العالم الآخر الموجودات التي لها مدى وشكل، على الرغم من أن النفس في حد ذاتها حقيقة روحية بلا مدى. لكن هنا تظهر بعض الاختلافات بين الوظائف المتشابهة للنفس والمادة.

إن وجود المادة (hyle) هو وجود كامن محض؛ فهي في حد ذاتها ليس لها وجود فعلي إلا من خلال الأشكال المادية. أما بالنسبة للنفس، فهي موجودة بالفعل، ولها وجود جوهري، وموهوبة بالقدرة على الإدراك. يبدأ الأمر بوجودها في هذا العالم على هيئة الجسد العنصري. ثم يصبح الأمر متعلقاً بالعالم الآخر، من أجل أشكال العالم الآخر التي يتحد معها بنمط اتحاد فريد من نوعه. لذلك فهو من جهة شكل الحقائق المادية لعالمنا، ومن جهة أخرى مادة أشكال العالم الآخر، التي نُفخت فيه في "اليوم الذي فيه ينفخ الملاك في الصور"، عندما يأتون جميعًا يركضون في حشود وفقًا لأنواعهم.

علاوة على ذلك، فإن النفس هي مادة روحية دقيقة (مادة روحانية لطيفة)؛ لا يمكننا أن تتلقى أشكالاً إلا في حالة فوق حسية دقيقة، لا يمكن إدراكها بواسطة حواس هذا العالم، ولكن بواسطة حواس العالم الآخر. من ناحية أخرى، فإن المادة المادية (hyle) هي مادة كثيفة ومعتمة تستقبل أشكالاً مكثفة تحددها الأبعاد الحسية والمواقع الحسية، وهي مزيج من الواقعية والعدم. علاوة على ذلك، تتصرف المادة بطريقة سلبية فيما يتعلق بالأشكال التي تتلقاها؛ فهي تخضع للتغيير والتعديل والحركة. وعلى النقيض من ذلك، فإن سلوك النفس في تلقي الأشكال التي تتجذر فيها هو فعل محافظ، وتضمن فعال. لا يوجد تناقض بين تقبلها للأشكال وفعلها في إنتاج هذه الأشكال نفسها، لأنها بالتحديد من أجل "سبب" واحد ونفس السبب لوجودها تقوم في الوقت نفسه بإنتاج واستقبال الأشكال والصور التي تنتجها بنفسها، وينطبق الشيء نفسه على معرفتها بالمبادئ الأولى، التي لا يتم تمييز وجودها عن وجود الذكاء الذي يسبب وجودها.

وهناك اختلافات أخرى: فالاستقبال في ذلك العالم لا يحمل معنى الكفاءة المكتسبة تدريجياً ولا معنى الإمكانات المستقبلية. وأخيراً، فإن الأشكال هنا هي كمالات كثيرة فيما يتعلق بموادها وأساساتها، بينما هناك الأشكال، المولودة من النفس نفسها، ليست كمالات فيما يتعلق بالنفس بقدر ما هي أشكال محققة من أجلها. هناك، يكمن كمال النفس المتنامي بشكل عكسي في تحقيقها لهذه الأشكال، أي في كونها قادرة على إنتاج هذه الأشكال بنفسها، وجعلها موضوع معرفتها الخاصة. يوجد فرق جوهري بين الجانبين تم شرحه في مكان آخر.

7

'عبدالرزاق اللاهيجي
(توفي عام 1072/ 1662)

المتصوفون الشرقيون والفلاسفة المشائيون*

اعلم أن هناك مدرسة فلاسفة في الإسلام، يرأسها شهاب الدين يحيى السهروردي، الذي اشتهر بلقب "شيخ الإشراق" لإنشائه في العصر الإسلامي مجموعة "فلسفة الإشراقيين"1. تدعم هذه المدرسة الفرضية القائلة بأن العديد من ملوك وأمراء بلاد فارس القديمة، مثل كاي خسرو 2 وأقرانه، كانوا من المنتسبين إلى "حكمة الإشراق". كان الحكماء اليونانيون قبل أرسطو أيضاً من أتباع "حكمة الإشراق". أما أرسطو، من ناحية أخرى، فقد اتخذ موقفاً معاكساً وأنشأ تلك المجموعة من المذاهب التي أطلق عليها اسم "فلسفة المشائيين". 3

يمكن رؤية الفرق بين فلسفة حكمة الإشراق وفلسفة المشائيين من عدة زوايا. كما يعلم الجميع، يؤكد الشرقيون، أو الإشريقيون، أن الحكمة لا يمكن اكتسابها إلا من خلال طريقة الإدراك الروحي؛ فهم يشددون على الجهد الداخلي للنضال الروحي والتجربة الصوفية. إنهم لا يقدرون النظرية العقلانية البحتة ولا الجدلية في حد ذاتها؛ بل يمكن القول إنهم معادون لها بشكل صريح. أما المشائيون، من ناحية أخرى، فيبنون فلسفتهم على النظرية العقلانية والاستدلال المنطقي، ولا يعترفون بأي قيمة لما لا يمكن اختزاله إلى الحجة العقلانية والاستدلال المنطقي. إن الشرقيين، أو الاشراقيين، يرتبطون بالمشائين كما يرتبط الصوفيون بالمتكلمين المدرسيين في الإسلام (المتكلمين). يمكن التحقق من هذا الاختلاف في مقدمة الكتاب التي سبق ذكرها. 4

. * مقتطف من العمل العظيم باللغة الفارسية بعنوان جوهري مراد (الجوهرة **المرغوبة)** المقال 3 الباب 4، الفصل 2، طهران 1313/1895 الصفحات 287-289.

باختصار، يتفق المتصوفة الشرقيون والصوفيون على الدفاع في الفلسفة والثيوصوفية عن عدد كبير من النظريات التي يرفضها المشائيون وعلماء اللاهوت المدرسيون، على أساس أنها لا تفي بمتطلبات النظرية العقلانية والمنطقية. وتشمل هذه النظريات بشكل خاص النظرية التي تؤكد وجود عالم الصور أو الأشكال النموذجية المستقلة ('العالم المثالي). يتفق المتصوفة الشرقيون والصوفيون على تأكيد ما يلي: 5 بين العالم المعقول، وهو عالم الذكاءات النقية غير المادية تمامًا، والعالم الحسي، وهو عالم الحقائق المادية البحتة، يوجد كون آخر. تمتلك كائنات هذا الكون الوسيط شكلاً وامتداداً، على الرغم من أنها لا تمتلك "مادة مادية". وهكذا تنفصل العقول الخالصة عن المادة والمدى؛ الأشياء المادية الخالصة مغطاة بالمادة والمدى؛ كائنات العالم المثالي منفصلة عن المادة، ولكنها تتمتع بالمدى بنفس الطريقة التي تتمتع بها أشكال الوعي التخيلي. ومع ذلك، فإن حقيقة الأشكال الكامنة في الوعي التخيلي تكمن في ذلك الوعي نفسه، وليس بشكل موضوعي أو خارج عن العقل، في حين أن حقيقة عالم الصور النموذجية موضوعية وخارجة عن العقل. 6

وهكذا فإن هذا العالم وسيط بين الكونين: نتيجة لانفصاله عن المادة، فهو من نفس طبيعة عالم العقول الخالصة؛ ونتيجة لامتلاكه شكلاً وامتداداً، فإنه يشبه عالم الأشياء المادية. لكل كائن من الكونين، المعقول والحسي، صورته النموذجية في هذا الكون الوسيط، صورة قائمة بذاتها ذات وجود مستقل؛ - كل مخلوق وكل شيء، بما في ذلك الحركة والسكون، والأوضاع والملامح، والنكهات والعطور، وغيرها من الأمور العرضية.7 إن نمط الوجود الذي يتخذه كائن غير مادي في جوهره في هذا العالم الوسيط يتوافق بالنسبة لهذا الكائن نفسه مع نوع من النزول الذي يصبح من خلاله قادراً على اتخاذ مدى وشكل. من ناحية أخرى، فإن نمط الوجود الذي يتخذه الكائن المادي، لأن هذا الكائن نفسه يتوافق مع صعود

يجرده من المادة وأشياء معينة متأصلة في المادة، مثل التموضع. 8

يُطلق على هذا الكون أيضًا اسم عالم الصور والخيال المستقلين9، وعالم البرزخ.10 وقد يحدث أن يُظهر كائن من هذا العالم المستقل للصور نفسه، ويظهر في عالمنا المادي، ويمكن إدراكه فيه عن طريق الحواس الخارجية. الأجسام المصقولة والشفافة تمامًا، مثل المرايا والمياه الراكدة والغلاف الجوي، هي أماكن ظهور الكائنات في عالم الصور النموذجية في عالمنا المادي. وبالمثل، فإن خيال الإنسان هو أيضاً مكان تجليه. الأشكال التي يتم تأملها في المرايا وتلك التي تتجلى في الخيال تنتمي إلى ذلك النموذج الأصلي للعالم، والذي يتجلى لنا في هذه "الأماكن الموحية" (مظاهر)، أي المرآة والخيال. وبالمثل، فإن الأشكال التي يراها المرء في الحلم، من ملائكة وجن وشياطين، هي أيضاً كائنات تنتمي إلى هذا العالم نفسه، والتي تتجلى أحياناً لمجموعة كاملة، في مكان معين أو مكان معين في الهواء أو الماء.11

علاوة على ذلك، هناك تقليد يعود إلى حكماء العصور القديمة يتعلق بوجود كون له امتداد ولكنه مختلف عن العالم الحسي - كون ذو عجائب لا حصر لها ومدن لا تعد ولا تحصى، من بينها جابلقا وجابلسا، مدينتان هائلتان، لكل منهما ألف بوابة وتحتوي على مخلوقات لا تعد ولا تحصى. هذا هو الكون الذي من خلاله يشرح أتباع مدرسة الثيوصوفية (الإشرقيين أو الشرقيين) ويؤكدون قيامة الجسد؛ فهم يؤكدون أن الجنة والنار وأرض القيامة موجودة في هذا العالم المثالي، الكون المستقل للصور النموذجية. هذا هو الكون الذي يمكن فيه للعوارض أن تكتسب جوهرًا، والذي يمكن فيه لأفعال الإنسان وأعماله أن تتخذ شكلًا وهيئةً متسقين. 12 ومن بين المدارس التي تقر بالبعث الجسدي، هناك مدرسة تزعم أن الروح البشرية (الجسد اللطيف) تستمر في الوجود في هذا العالم من الصور المستقلة خلال الفترة التي تسمى أيضًا البرزخ، والتي تمتد من موت الفرد إلى

البعث الأعظم. تشير العديد من الأحاديث والروايات إلى هذا الأمر ويمكن الاستشهاد بها لدعمه؛ وسيتم تحليلها لاحقًا في هذا الكتاب.

يختلف عالم الصور النموذجية هذا عن عالم المُثُل الأفلاطونية -الذي يُنسب اسمه إلى أفلاطون- من حيث أن المُثُل الأفلاطونية تُشير إلى أشكال معرفية كونية، منفصلة عن المادة وكل ما يحيط بها من أغلفة مادية، قائمة بذاتها، لا تقوم فقط من خلال شخص الذات العارفة أو من خلال أي ركيزة أخرى.13 ووفقًا لأفلاطون، فإن الكائن الإلهي يمتلك معرفة ما هو آخر من خلال هذه المُثُل. وهنا تحديداً توجد طريقة ثالثة لتصور المعرفة الإلهية بقدر ما تختلف عن نوعين آخرين من المعرفة: المعرفة التمثيلية والمعرفة الحاضرة.14 الآن، وفقًا للثيوصوفيين الشرقيين، فإن كائنات عالم الصور النموذجية هي أشكال معينة منفصلة عن المادة، ولكنها ليست بأي حال من الأحوال منفصلة عن جميع الأغلفة المادية (أي الدقيقة). وبالطبع، يشبه عالم الأفكار الأفلاطونية عالم الصور النموذجية من حيث أن هذه الأشكال الخيالية المستقلة قائمة بذاتها، تمامًا كما أن الأفكار أو الأشكال المعقولة قائمة بذاتها. باختصار، فإن أطروحة العالم المستقل للصور النمطية هي أطروحة خاصة بالثيوصوفيين الشرقيين (الإشرقيين) وبالصوفيين، ولدعم هذه الأطروحة يشيرون إلى التجربة الصوفية...

ثم يستذكر المؤلف عدداً من الاعتراضات التي أثارها المشائيون وعلماء اللاهوت المدرسي ضد الإشراقية.
لا يمكن الخوض في هذه التفاصيل التقنية هنا. من بين أمور أخرى، استمر المشائيون في الإسلام في الاعتراض على أن كل مدى يستلزم قابلية للقسمة، وأن كل قابلية للقسمة تستلزم وجود مادة، وبالتالي أنه من المستحيل أن توجد الأشكال الممتدة بدون مادة. لسوء الحظ، يبدو أن فكرة قابلية التقسيم كانت محدودة بالنسبة لهم إلى قابلية التقسيم التشريحية، ومفهومهم للمادة إلى المادة المركبة والكثيفة والقابلة للفساد في العالم تحت القمري. مع "الثيوصوفيين الشرقيين"، تفترض فكرة "العالم المثالي" فكرة "المادة المطلقة"، أي أنها معفاة من المحددات الخاصة بحالة المادة في العالم الأرضي. إن فكرة المادة البدئية "غير المادية" هي المفتاح لعلم الكونيات عند ابن عربي (نَفَس الرحيم)؛ وبدونها، فإن التكثيف الدقيق للمادة ما قبل

المادية لكائنات العالم النموذجي أمر لا يمكن تصوره. وبهذا المعنى، لا يوجد شكل بدون مادة. سنتناول هذه الفكرة في الفقرات التالية. يمكن أن تكون المقتطفات من كتاب مولا صدرا، المترجمة أعلاه، بمثابة مقدمة لها.

8

محسن فيض كاشاني
(توفي عام 1091 / 1680)

عالمٌ تتجسد فيه الأرواح وتُضفى فيه الروحانية على الأجساد*

ولأن القدرة على حكم الأجساد قد أوكلت إلى الأرواح، ولأنه من المستحيل إقامة اتصال مباشر بين الأرواح والأجساد بسبب جوهرها غير المتجانس، فقد خلق الله عالم الصور النموذجية كوسيط (برزخ) يربط عالم الأرواح بعالم الأجساد. وبالتالي فإن الاتصال والتنسيق بين كل من العالمين يتم ضمانهما. يصبح انبعاث واستقبال تدفق الكيانات الروحية أمراً ممكناً؛ إذ تستطيع الأرواح ممارسة سيطرتها على الأجساد وتقديم المساعدة لها.

هذا العالم النموذجي هو كون روحي. من ناحية أخرى، يرمز إلى المادة المادية من حيث أنه يمكن أن يكون موضوعًا للإدراك، ويتمتع بالامتداد، ويمكن أن يتجلى في الزمان والمكان. من ناحية أخرى، يرمز إلى المادة المعقولة الخالصة، حيث أنه يتكون من ضوء خالص وهو مستقل عن المكان والزمان. وبالتالي، فهو ليس جسماً مادياً مركباً، ولا مادة معقولة خالصة منفصلة تماماً عن المادة. يمكن للمرء أن يصفه بالأحرى بأنه كون ذو أبعاد مزدوجة، يرمز من خلالها إلى الكون الذي يتوافق مع ذلك البعد. 2 ليس هناك شيء موجود، سواء في العالم المعقول أو في العالم الحسي، لم يتم تسجيل صورته في هذا الكون الوسيط. هذا الكون، في العالم الكبير، هو متماثل مع الخيال النشط في العالم الصغير البشري. في الواقع،

., * مقتطف من كلمات مكنونة (أقوال ظلت سرية)، الفصل. [1]،30 ليث. طهران، 16/12/ 1801، ص 68-70؛ بومباي، 1296/ 1878، ص 69-72. العمل مكتوب باللغتين العربية والفارسية.

يتضمن ذلك جانبًا يعتمد إدراكه على الملكات الموجودة في الدماغ، وهذا ما يسمى تقنيًا بالخيال المتصل (المتصل بالعالم النموذجي، مع بقائه كامنًا في الإنسان). لكنها تشمل أيضًا جانبًا لا يخضع لهذا الشرط، ويُطلق عليه اسم الخيال المستقل (عالم الملكوت). 3

من خلال هذا العالم، ومن خلال خصائصه المميزة، تتجسد الكيانات الروحية، وتتجسد، عندما تظهر في الأشكال الإلهامية التي هي الصور التي ترمز إليها. هذا ما يُشار إليه في الآية التي تروي كيف أن جبريل "اتخذ جسداً (تم تجسيده) أمام مريم في صورة إنسان كامل الجمال" (19: 16). تشير القصة المروية عن السامري إلى الأمر نفسه: "(قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي" (20: 96)، أي من تحت قدمي جبريل عليه السلام.4 ويُذكر الأمر نفسه في الحديث الذي يروي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام في هيئة الطفل دحية الكلبي، وسمعه يقرأ خطبة مكتوبة بالكلمات والحروف.

هذا هو العالم الوسيط الذي يُحمل إليه أولئك الذين تم تجسيدهم روحياً (الروحانيون) في افتراضاتهم الروحية عندما يتخلون عن أشكالهم المادية الأساسية وعندما تتخذ أرواحهم شكلها الروحي المتجلي. في العالم الوسيط تتخذ النفوس الكاملة الأشكال الشبحية التي تُدرك بها في مكان آخر غير المكان الذي تتواجد فيه فعلياً؛ أو تظهر لمن ترغب في الظهور له بشكل مختلف عن الشكل الذي تُدرك به بالحواس أثناء إقامتها الأرضية. يمكن أن يحدث ذلك الشيء بالذات بعد انتقالهم إلى العالم الآخر، لأنه حينها تزداد الطاقة النفسية والروحية بشكل أكبر بسبب إزالة عائق الجسد.

باختصار، هذا هو عالم الصور النموذجية التي من خلالها وفيها تتجسد الأرواح وتتحول الأجساد إلى روحانية. في هذا العالم، تُضفى على أنماط الوجود والسلوك الأخلاقي طابع شخصي، وتتجلى الحقائق فوق الحسية في الأشكال التي ترمز إليها.5 كما أن

ظهور الأشكال في المرايا أو في أي مادة عاكسة، كالماء الصافي مثلاً، يحدث أيضاً في هذا العالم الوسيط، لأن جميع الأشكال المنعكسة في المرايا تنتمي أيضاً إلى هذا العالم.6 كذلك، تُرى جميع الأشكال الكامنة في مخيلتنا الفاعلة في هذا العالم الوسيط، سواء في الأحلام أو في حالة اليقظة، لأن هذه الأشكال متصلة بهذا العالم النموذجي؛ فهي تستقبل ضوءه كما يخترق شعاع الضوء مسكناً عبر فتحة السقف والنوافذ.

إذن، هذا عالم هائل، واسع لدرجة أنه لا يحتوي فقط على أشكال المواد غير المادية التي تعلوه، بل يحتوي أيضًا على الحقائق المادية التي تقع تحته. إنه الوسيط، الوسيلة التي يتم من خلالها إتمام الاتصال. ترتفع الحواس والإدراكات الحسية 7 نحوها، بينما تنزل الحقائق فوق الحسية نحوها. ومن المكان الذي يشغله يستمر في جمع ثمار كل شيء. من خلال هذا العالم تتأكد حقيقة روايات صعود النبي إلى السماء، والتي تذكر أنه رأى الملائكة والأنبياء في رؤيا، كما لو كان شاهد عيان.8 وفي هذا العالم الوسيط، يكون الأئمة الكرام حاضرين عندما يظهرون أمام المحتضر، كما ورد في العديد من الروايات المتداولة. هذا هو العالم الذي تجري فيه استجوابات القبور، بما فيه من أفراح وأحزان؛ وفي هذا

العالم الوسيط أيضاً يستطيع المؤمن زيارة أحبائه بعد موتهم.9 كذلك، يفسر هذا العالم الوسيط إمكانية حدوث مشاهد مشار إليها في بعض التقاليد: حيث تتعرف الأرواح على بعضها البعض بعد الموت، تماماً كما تتعرف الكائنات المادية على بعضها البعض، وتطرح الأسئلة على بعضها البعض، وما إلى ذلك.

يبدو أن "نزول يسوع" (في وقت المجيء الثاني للإمام الخفي) ينتمي إلى هذه الفئة من الأحداث. على حد تعبير الشيخ الصدوق: 10 "إن نزول عيسى إلى الأرض هو عودته إلى هذا العالم بعد أن أُخذ منه"، لأن الله نفسه يعلن: "أنا الذي أستقبلك، وأحملك إليّ، وأنقذك من الذين ينكرونك... إلى يوم القيامة". 11 (3 :48) وبالمثل، فإن تقاليدنا المستمدة من الإمام الكريم

تعلمنا: "في وقت مجيء المهدي (الهادي)، سيعيد الله عددًا معينًا من الأشخاص الذين ماتوا من قبل؛ أي عددًا معينًا من بين المتأهلين والمتصوفين للإمام، "شيعته"، المؤمنين الخالصين ذوي الإيمان الخالص، حتى يتمكنوا من جمع ثمرة انتصاره ومعونته التي لا تقهر وتذوق فرحة ظهور ملكه. كذلك سيُعيد الله عدداً من أعداء الإمام، وهم كفارٌ محضون بفيض من الكفر، ليُحاكموا وينالوا العقاب الذي يستحقونه..." يشير كل هذا إلى العودة التي تصاحب المجيء الثاني، والتي يرتبط بها إيمان إخواننا الإمامية ارتباطًا وثيقًا.12 وهذا هو المعنى الروحي لبعض الآيات المتعلقة بالقيامة، عند تفسيرها وفقًا لتعاليم أئمتنا.

9

المدرسة الشيخية: الشيخ أحمد الأحسائي
(توفي عام 1241/1826)

I. فسيولوجيا جسد القيامة *

. . . باختصار، ما يعلمنا علماء اللغة وعلماء فقه اللغة والمتخصصون في تفسير القرآن هو أن "الجسد" (جسد) يشير إلى الجسم، و"حجم" (جسم) الكائن الحي والظاهر والمرئي. صحيح أن المصطلح يظهر بكثرة أيضاً في اللغة التقنية للخيميائيين، وفي هذه الحالة يشير إلى مادة معدنية، وهي المعادن السبعة: الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير والزئبق.1 ويبدو لي أن الأرجح هو أن كلمة "جسد" في اللغة العربية كانت تُفهم في الأصل، أو مع مرور الوقت، على أنها تعني جسم الكائن الحي بقدر ما تكون الروح غائبة عنه. لكن في أماكن أخرى، يُستخدم المصطلح لشيء مختلف. وهكذا يذكر القاموس استخدامه للدلالة على الزعفران (جسد وجساد)، وحتى للدلالة على ما يحركه الروح، كما هو الحال عند الحديث عن "جسد زيد".

ومع ذلك، يمكن القول أنه في الحالة الأخيرة، يُستخدم المصطلح بالفعل للإشارة إلى ما هو مُحَيَّز بالروح، ولكن فقط عند اعتباره مركباً ناتجاً عن كائن حي مادي وروح؛ عندها ستنطبق الكلمة تحديداً على ما يختلف عن الروح وليس على الروح ولا على المركب في حد ذاته. لعل استخدام الخيميائيين الخاص للكلمة يدخل في هذه الفئة، إما على أساس أن المعادن تختلف عن "الأرواح" أو لأن الخيميائيين يعتبرون بعض المعادن ناقصة، وهي الرصاص والقصدير والنحاس، والبعض الآخر وسيط، وهو الفضة

.. * مقتطف من كتاب شرح الزيارة، تبريز، 1276/ 1859، ص.
369-70.[1]

والزئبق، وواحد فقط كامل ونهائي، وهو الذهب. يجب فهم هذا التدرج فيما يتعلق بالإكسير الذي، فيما يتعلق بالستة الأوائل، يكملهم، أو يجعلهم يميلون إلى إكمال الآخرين، كما هو الحال في الذهب. وبهذا المعنى، يتم تمثيل المعادن كأجسام جامدة بدون روح (أجساد)، والروح بالنسبة لهم هي الإكسير.

قد يكون أيضًا أنه إذا استخدم علماء الفلك، على العكس من ذلك، كلمة جسم (وليس جسد)، بالمعنى الصحيح، فذلك لأن الأجرام السماوية في حالة دقيقة قابلة للمقارنة بحالة الأرواح، أو لأن علماء الفلك ينظرون إليها من وجهة نظر ترابطها الأبدي مع النفوس التي تحركها، وفقًا لمذهب المتخصصين في الفيزياء السماوية. إن المصطلحات التي يستخدمها المسلمون فيما بينهم تتوافق مع هذا الاستخدام، لأن تفسيراتهم، مثل تفسيرات علماء الفلك، تتعامل مع الكتل النجمية (الأجرام) على هذا النحو، دون مزيد من التعريف.

أما كلمة "جسم"، فعند استخدامها دون مزيد من التعريف، فإنها تشير إلى ما يشكل حجمًا، بمعنى الحجم الذي يمكن تقسيمه وفقًا للأبعاد الثلاثة. ويترتب على ذلك: إما أن 1) يشير إلى جسم غير محدد وبسيط، بدون أي تركيب، إذا جاز التعبير. يُشار إليه أحيانًا باسم الجسم (الجسم) باعتباره في حد ذاته، باعتباره الذي تتكون منه مادته. يُشار إليه أحيانًا باسم المادة (hayula, hyle)، عند النظر إليه من وجهة نظر قدرته على استقبال أشكال الأنواع؛ أو 2) قد يشير إلى الجسم الصلب الرياضي (جسم تعليمي)، أي الجسم عندما يكون البعد في حد ذاته هو الاعتبار الأساسي. هذا المصطلح مشتق من حقيقة أن القدماء كانوا يعلمون أطفالهم الهندسة من حيث الجسم بقدر ما يشمل الخطوط والأسطح، لا شيء أكثر من ذلك؛ أو قد يشير إلى الجسم المادي (الطبيعي)، الذي تم تحديده على هذا النحو لأن المناقشة تقتصر على النظر إليه من وجهة نظر الطبيعة.

في التقاليد المتعلقة بالأئمة الأطهار، وفي الأدعية الموجهة إليهم، يتم الحديث أحيانًا عن جساد (جسدهم الجسدي)، وأحيانًا أخرى عن جسمهم (الجسد، غير محدد). في كثير من الأحيان، يتم استخدام كلا المصطلحين، وفي بعض الأحيان

يتم استبدال المصطلح الثاني (جسم) بالأول. لا بد أن الأئمة أنفسهم، في حديثهم مع التلاميذ، قد استرشدوا ببعض الاعتبارات التي رأوها وحدهم ككل. على أي حال، فإن النتيجة، بالنسبة لأولئك الذين هم على دراية تامة بمفردات الأئمة الأطهار، هي أن كلمة أجساد (جمع جسد، مادي، جسد لحمي) تستخدم بوضوح من قبلهم كنقيض لكلمة "روح"، في حين أن كلمة جسم (جسم، غير محدد، جمع أجسام) لها معنى أكثر عمومية في علمهم. في بعض الأحيان، حتى مصطلحات "الأشكال" و"المظاهر الحقيقية" و"الأشكال الشبحية" (أشباح) تستخدم من قبلهم على أنها مكافئة لـ "الجسم المادي"، ومصطلح "الأرواح" على أنه مكافئ لـ "الأجسام" غير المحددة (أجسام).

والآن يجب أن تعلم أن الإنسان يمتلك جسدين وجسمين. الجسد الأول (الجسد أ، أي عنصر الجسد الأرضي من اللحم) هو الذي يتكون من عناصر هي فريسة للزمن. هذا الجسد، هذا اللحم، يشبه عباءة يرتديها الإنسان ثم يخلعها مرة أخرى؛ هذا الجسد في حد ذاته لا متعة فيه ولا معاناة؛ إنه لا يخضع لا للوفاء ولا للتمرد.

ألا ترى كيف يمكن أن يحدث لزيد، على سبيل المثال، أن ينهشه المرض؛ فهو يذبل إلى درجة لا يمكن للمرء أن يصدق أنه لم يتبق منه سوى رطل3 واحد من اللحم. لكنه بالتأكيد زيد؛ فهو يحتفظ بهويته. بشكل عفوي وبدون شك، تتعرف عليه على أنه لا يزال زيد المتمرد؛ لم يختفِ ذرة واحدة من تمرده. لو كان ما اختفى نتيجة لهزاله قادراً على إحداث اختفاء تمرده، لكان الأخير قد اختفى بالكامل تقريباً، لأنه في تلك الحالة كان سيفقد كلاً من دعمه ومصدره. وينطبق الشيء نفسه على زيد المؤمن. لن يختفي ذرة واحدة من إخلاصه، إذ لا صلة لإخلاصه بالجزء الذي اختفى منه، فلا صلة بين الأثر وسببه، ولا بين المشتق ومصدره.

-لا يوجد أي نوع من أنواع الترابط على الإطلاق. لو أن ما تسبب المرض في اختفائه في زيد كان بالفعل جزءًا منه، لكان اختفاؤه مصحوبًا باختفاء الخير والشر الخاصين بشخص

زيد. وعلى العكس من ذلك، إذا زاد وزنه، فإن زيد يبقى هو نفسه زيد؛ تمامًا كما في الحالة السابقة عندما لم يكن هناك نقصان، فلا يوجد هنا زيادة، فيما يتعلق بجوهره وصفاته، ولا أي زيادة في الإخلاص أو التمرد.

باختصار، هذا الجسد، هذا الجسد المكون من عناصر أرضية، ليس جزءًا من زيد. وهو مماثل للعتامة الموجودة في السيليكا والبوتاس. عندما تندمج هذه المواد معًا، وتتحول إلى سائل، فإنها تتحول إلى زجاج. من المؤكد أن الزجاج مصنوع من نفس السيليكا ونفس البوتاس اللذين كانا كثيفين ومعتمين تمامًا. لكن بعد الاندماج، اختفت العتامة. وهذا يعني أن العتامة ليست خاصية من خصائص الأرض نفسها. الأرض نفسها دقيقة وشفافة؛ وسبب عتامة سطحها هو الصدام بين العناصر. عندما يكون الماء ساكناً ونقياً، ترى كل شيء في أعماقه. لكن إذا قمت بتحريكه، فلن تتمكن من تمييز أي شيء فيه طالما أنه في حالة حركة، وذلك بسبب التصادم بين أجزائه وتخلخل عنصر الهواء. ماذا يحدث إذن عندما تتصادم الطبائع الأربعة الأساسية؟ هذا الجسد، هذا الجسد المصنوع من عناصر أرضية، يشبه الكثافة التي تجعل السيليكا والبوتاس معتمين، على الرغم من أن هذا ليس جزءًا من جوهرهما، من ذاتهما.

مقارنة أخرى: فالثوب، على سبيل المثال، هو عبارة عن مجموعة من الخيوط المنسوجة. أما بالنسبة للألوان، فهي ألوان عرضية، وليست جزءًا منها؛ قد يتم صبغها بدرجات مختلفة، ثم تفقدها؛ وتبقى هي نفس الثوب. ربما كان هذا ما كان يدور في ذهن الإمام الأول، علي، عندما قال رداً على العربي الذي كان يسأله عن النفس الحيوانية الحساسة: "عندما تنفصل،" قال، "تعود إلى حيث أتت، تماماً كما يذوب الخليط، وليس بالطريقة التي تنفصل بها العناصر المستقلة المتجاورة عن بعضها البعض. لقد تم تدمير شكله؛ وتم إلغاء الفعل والوجود منه، بحيث يتم تدمير تركيبة الخليط نفسها، لأنه من الواضح أن توقف الشكل والوجود يستلزم اختفاء التركيبة نفسها."

أما بالنسبة للجسد الثاني (جسد ب، الجسد الروحي لعناصر العالم الروحي)، فإن هذا الجسد يبقى، لأن "الطين" الذي كان يتكون منه لا يزال موجودًا "في القبر".

عندما تلتهم الأرض الجسد الأرضي الأولي (الجسد أ)، وعندما يذوب كل جزء من هذا الجسد في مصدره: الأجزاء النارية تعود إلى النار، والأجزاء الهوائية إلى الهواء، والأجزاء المائية إلى الماء، والأجزاء الترابية إلى الأرض؛ بينما يبقى "الجسد السماوي" ويحتفظ بـ "شكله" الكامل، كما يقول الإمام جعفر الصادق. من ناحية أخرى، فإن الإجابة التي سمعناها قبل قليل، والتي قدمها الإمام الأول لأحد العرب، أشارت تحديداً إلى الجسد الأول، إلى الجسد الفاني المصنوع من عناصر أرضية. لكن الجسد الروحي (جسد ب) هو، على العكس من ذلك، هو المشار إليه في قول الإمام جعفر، عندما يقول إن "الطين" الذي صنع منه يبقى "في القبر" ويحتفظ بشكله سليمًا وكاملاً. هذا التعبير الأخير يعني: الاحتفاظ بالشكل الذي يتوافق مع تكوينه الخاص، أي أن عناصر الرأس والرقبة والصدر وما إلى ذلك تبقى كل منها في مكانها الخاص. هذا هو التفسير الرمزي (التأويل) للآية "وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ" (سورة 7: 164).

هذا الجسد (جسد ب) هو حقيقة الإنسان الذي يبقى "في القبر" دون زيادة أو نقصان، بعد أن انفصل عنه جسد اللحم المصنوع من العناصر الأرضية، أي الكثافة المعتمة والعناصر العرضية، وذاب. عندما تنفصل هذه العناصر العرضية، التي يُطلق على مجموعها اسم الجسد الأساسي للحم (جسد عنصري، جسد أ)، عن الإنسان، فإن العيون الجسدية، وهي أعضاء الإدراك البصري، لم تعد تراه. عندما يتحلل ويدمر بهذه الطريقة، لا يبقى منه شيء في النهاية، ولذلك يؤكد بعض الناس أن الإنسان قد تم إبادته. مُطْلَقاً ! ليس كذلك! لكن إذا قلنا أن هناك جسدًا يبقى "في القبر"، فإن هذا الجسد مع ذلك غير مرئي للكائنات الأرضية، لأهل هذا العالم، بسبب العتمة التي تظلم عيونهم الجسدية وتمنعهم من رؤية ما ليس من نفس نوعهم. ولهذا السبب يقارن جعفر مرة أخرى هذا الجسد غير المرئي بغبار الذهب في بوتقة الصائغ. وهذا أيضاً لا تراه العيون. لكن الصائغ، بعد أن غسله بالماء ونقاه من التراب الذي اختلط به، جعله يصبح مرئيا.

وينطبق الشيء نفسه على جسد "اللحم الروحي" (جسد ب) الذي يبقى "في القبر". عندما يُريد الله أن يُعيد مخلوقاته إلى الحياة، يُنزل مطراً من المحيط الواقع أسفل العرش، فينتشر على الأرض، ويكون ماء هذا المطر أبرد من الثلج. وهذا ما يُشير إليه في آية في القرآن الكريم ("وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"، 11: 9). ثم يندمج وجه الأرض في محيط واحد. تتلاطم الأمواج ببعضها البعض تحت وطأة الرياح العاتية. تتم عملية تكرير شاملة. تتحد أعضاء الجسد الروحي (الجسد ب) لكل فرد معًا لتشكيل كائن حي في "شكل" مثالي، أي متوافق مع البنية التي كان يمتلكها الجسم في هذا العالم؛ يتم لحام عناصر الرقبة بعناصر الرأس، ثم بعناصر الصدر وهكذا. تختلط عناصر هذه الأرض الأخرى (الأرض السماوية) بها. وبهذه الطريقة يولد الجسد الروحي "في القبر" مثل الفطر في دباله. عندما يتسبب نفخ إسرافيل 5 في اهتزاز الصور، تنطلق الأرواح في رحلة. كل روح تطير بسرعة نحو جسدها الروحي (الجسد ب)؛ إنها تمزق القبر، تمامًا كما يستسلم فراش الدبال لدفع الفطر. وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ (39:69)" هذا الجسد الروحي الذي يعود إلى الحياة هو الجسد الذي ينتمي إلى الأرض، هورقليا. هذا هو الجسد الذي يُبعث فيه البشر، والذي يدخلون به إلى الجنة أو إلى الجحيم.

ربما يرد أحدهم قائلاً: "المعنى الواضح لكلامك هو على أي حال أن هذا الجسد الذي نراه هنا اليوم لم يقم من الموت. إن مثل هذه العقيدة تتعارض مع التعاليم التي يتبعها أولئك الذين يدّعون الإسلام وفقًا للآية من الكتاب: "وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ" (22: 7). "8

أجيب على ذلك: ما أقوله هو بالضبط ما يقوله المسلمون. ألا يقولون إن "الأجساد" التي سيبعثون فيها هي في الواقع نفس الأجساد التي كانت موجودة في الحياة الأرضية الحالية، مع اختلاف أنها مطهرة تمامًا من العوارض وكل دنس؟ ألا يتفق المسلمون جميعاً على أن هذه الأجساد لن تُبعث بنفس عتامة وكثافة حالتها، بل ستضطر إلى

أن تخضع لعملية تنقية ولن يتم إحياؤها إلا عندما تكون نقية تمامًا، مع احتفاظها بهويتها؟ هذا بالضبط ما أقوله وما أنوي قوله. لأن عتامة الجسد الحالي تزول، مما يعني أنه يعود إلى مصدره؛ أما هذا الجسد الأولي فليس له صلة بالروح، ولا بالوفاء أو الكفر، ولا بالمتعة أو المعاناة؛ وبذاته، لا يمتلك حتى القدرة على الشعور بأي منهما. في الواقع، بالنسبة للإنسان، فهو أشبه بثوب يُلقى عليه. إن العتامة هي بالضبط هذا الجسد المادي المصنوع من العناصر الأرضية (الجسد أ)، والذي يتم تدميره إلى الأبد.

لذا افهموا ما أود قوله، فهذه هي الطريقة التي ينبغي بها فهم تلك التقاليد التي تنص على أن أجساد الأئمة المقدسين 7 قد "صعدت إلى السماء". بالتأكيد لو تم استخراج جثة الإمام الحسين بعد دفنه بفترة وجيزة لكانت لا تزال مرئية؛ ولكن الآن لن تتمكن أي عين بشرية من رؤيتها. وهو الآن "خادم على العرش، يتأمل حجاجه، إلخ". لذلك ينبغي فهم المعنى الروحي لهذه التقاليد على أنه يشير إلى الانفصال النهائي عن الأجسام الأرضية الأولية التي تشكل الحالة الجسدية، وهي حالة مرتبطة للحظة بالأجسام الروحية النموذجية. بمجرد أن تنفصل هذه الأخيرة عن هذا الغلاف الجسدي، تصبح غير مرئية للعين

البشرية العادية. لقد تناولت هذا الموضوع بالفعل في بعض فقرات هذا الكتاب، والتي أود أن أطلب منكم الرجوع إليها. أما بالنسبة للجسمين (أي الجسم أ، أو الجسم الأثيري اللطيف، والجسم ب، الجسم النموذجي فوق السماوي)، فإن الأول (الجسم أ) هو الجسم الذي تغادر فيه الروح جسدها من الجسد الأرضي (أي، الجسد أ). يبقى "الجسم الأثيري اللطيف" (جسم أ) مع الروح، بينما تنفصل الروح عن "جسدها اللطيف من اللحم الروحي" (جسد ب) في اللحظة التي يتدخل فيها الموت بينهما. إن الجسد النجمي موجود مع الروح في الجنة الأرضية (جنة الدنيا)، الواقعة في الغرب؛ وبهذا الجسد النجمي يدخل دار

السلام، ويزور مسكنه ومكان نشأته. كما أن روح الكافر يرافقها هذا الجسد النجمي عندما تدخل الجحيم الأرضي (نار الدنيا) عند شروق

الشمس، بينما عند غروب الشمس تلجأ مع هذا الجسد في وادي البرهوت 8، وتتجول معه خلال الليل في وادي الكبريت.

وهكذا تبقى المجموعتان على هذه الحال حتى ينفخ في الصور لأول مرة.9 ثم تُفنى الأرواح نفسها خلال الفترة الفاصلة بين "نفختي البوق". تتوقف جميع حركات الأجرام السماوية وكل شيء، حيواني ونباتي، يمتلك روحاً ونفساً. يستمر هذا التوقف الكوني "أربعمائة عام". وعندها يتم إحياء الأرواح، كل منها في جسمها الثاني (أي الجسم ب، الجسد النموذجي فوق السماوي). هذا ممكن لأن هذه الأجسام (جسم ب) قد طُهرت تمامًا وفقدت كل عتامة، أي العتامة التي كانت عليها من الجسم الأول (جسم أ أو الجسم النجمي)، تمامًا كما شرحنا فيما يتعلق بما يحدث للجسد المادي (من العناصر الأرضية، جسد أ، وجسم الجسد الروحي، جسد ب)، كلمة بكلمة.10 لذلك تُبعث الأرواح، كل منها على حدة في جسمها الثاني (جسم ب، أو الجسم النموذجي). هذا الجسم السماوي هو في الواقع الجسم الذي كان موجودًا سابقًا في الحياة الأرضية

- لا غيره؛ لو كان الأمر خلاف ذلك، لكانت ثواب وعقاب الأرواح قد اختفيا مع الجسم الأول. ومع ذلك، فإن الجسم الموجود أثناء الحياة على الأرض، والذي هو في الوقت نفسه هذا الجسد الذي نراه، يتضمن عناصر دقيقة وكثيفة. الكثافة التي جعلته معتماً ستكون قد تم تنقيتها وتدميرها. هذه الكثافة هي ما نسميه الجسد الأول (الجسد أ، الجسد الأساسي للحم القابل للتلف). أما العنصر الدقيق، فإنه يبقى "في القبر"؛ وهذا ما نسميه الجسد الثاني (الجسد ب، جسد اللحم الروحي). في الجسم النجمي (الجسم أ) تظهر الروح في البرزخ (العالم الوسيط). هذا الجسم النجمي هو المركبة (مَرْكَب، أَخْتُمَا) ومسكن الروح حتى "النفخة الأولى" للصور. في تلك اللحظة، يتلقى تطهيراً أخيراً، وتغادره أيضاً الكثافة التي نسميها الجسم الأول (الجسم أ، أو الجسم النجمي). لم يبقَ من هذا الجسم سوى العنصر الدقيق في عالم المادة الأولية في ثلاثة "خزائن"، بينما تتلاشى الكثافة من ثلاثة "خزائن" أخرى. هذه "الخزائن" الست مرتبة في

خزانة الفتحات (صور إسرافيل الكوني، وهو المصفوفة) لهذا الروح. عندما ينفخ رئيس الملائكة إسرافيل في "بوق القيامة" (أي "النفخة الثانية" للصور)، ينزل الروح نحو القبر. تمتزج جميع كنوزها معًا، وتتغلغل في الجسد الدقيق (الجسد ب، الجسد الروحي)؛ ثم يتم "إعادة تجميعها"، أي إحياؤها.12

لكن اعلم أنه لو استطعت وزن هذا الجسد الروحي خلال هذه الحياة الحالية، ولو خضع بعد وزنه لعملية تطهير تفصله تمامًا عن الجسد المادي الفاني، بحيث لا يبقى شيء سوى هذا الجسد الروحي الدائم (الجسد ب) الذي ينتمي إلى عالم هورقليا؛ وبافتراض أنك استطعت وزنه مرة أخرى، ستجد أنه لم ينقص حتى بمقدار وزن حبة سمسم مقارنة بنتيجة الوزن الأول. والحقيقة هي أن الكثافة التي شكلت الجسد المادي الأساسي (الجسد أ) هي عرضية. الآن، لا تُغير العوارض بأي حال من الأحوال "الوزن" الذي نهتم به هنا؛ فهي لا تزيده عند حدوثه، ولا تنقصه بالانحراف عنه. وبهذا المعنى، سيكون من الخطأ أن يتصور المرء لنفسه "جسد القيامة"، عضو السعادة أو اللعنة، على أنه شيء آخر غير الجسد الموجود في الحياة الحالية، على الرغم من حدوث تغيير وتطهير كامل. أو بالأحرى، ينبغي القول إنه بالفعل هذا الجسد، ومع ذلك فهو أيضاً شيء آخر غيره بسبب حقيقة أنه قد تم تطهيره وتفكيكه وإعادة تشكيله.

بحسب أبي منصور علي التبريزي، 13 معلقاً على الآية من القرآن الكريم: "كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ" (4: 59) - أجاب الإمام جعفر الصادق أحداً من حاشيته كان يسأله عن معنى هذه الآية: "انتبه!" إنها بالفعل نفس الجلود، ومع ذلك في كل مرة يكون الأمر مختلفًا." "أعطني مثالاً مشابهاً لشيء ما في هذا العالم." "حسنًا، ألا ترى أنه إذا أخذ رجل طوبة، وكسرها إلى قطع، ثم أعادها إلى قالبها، فستكون الطوبة هي نفسها ومع ذلك ستكون طوبة أخرى؟"

وفي تفسير علي بن إبراهيم 14 يذكر كيف سألوا الإمام: "كيف يمكن للمرء أن يتصور استبدال جلد بآخر؟" "لنفترض أنك أخذت طوبة، وكسرتها وحولتها إلى غبار، ثم أعدت تشكيلها في القالب، فهل ستكون هذه الطوبة هي نفسها الطوبة الأولى؟ في الواقع، سيتم تغيير الأول إلى آخر، على الرغم من أن الأصل، النموذج الأصلي، متطابق.

وبهذه الطريقة يوضح الإمام أن الجلد الذي يحل محل الجلد الأول هو جلد آخر، مع بقائه "جلدهم". إن التمايز هو اختلاف في طريقة الوجود والتأهيل. وبالمثل، فيما يتعلق بما نتناوله هنا: فإن الجسد، الشيء المرئي خلال هذه الحياة الحالية، هو في الواقع ما سيكون "جسد القيامة"، ولكن بعد أن يخضع لتلك الخيمياء التي وصفناها عدة مرات...

2. حول المعنى الباطني للمقبرة *

إن الطبيعة الأساسية للمقبرة هي أنها مكان راحة الموتى، وهي المرحلة الأولى نحو نهاية العالم. في مظهرها المرئي ومعناها الظاهري، فهي مسكن الجسد المادي الذي انفصلت عنه الحياة. هذا هو الرأي السائد. لكن إذا فُهمت بشكل باطني (تأويل)، فإن القبر يدل على طبيعة الشخص وحياته ورغبته الداخلية. قال الله لنبيه: "إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ" (35 :21). ومرة أخرى: "أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (16 :21-22)."

إن عبارات مثل "ستعود الروح إلى الإنسان (في القبر)" هي عبارات تتوافق مع المعنى الظاهر أو الخارجي. في الواقع، ما هو محل التساؤل هو الأحداث التي لا تحدث في العالم الزمني الأدنى، عالم الأشياء والموضوعات، ولكن على المستوى الأعلى لدرجات الزمن، أي في هورقليا. وإذا قلت "على أعلى مستوى" - "في أعلى درجة زمنية"، فذلك لأن هورقليا وسيط.16

. مقتطف من رسالة القافية، المنشورة في مجموعة أعمال الشيخ أحمد الأحسائي جوامع الكلم، تبريز، 1273-76/ 1856-59, ، المجلد 2. المجلد 1، 1ت، 2 3 الرسالة ص.136 [15] .

أحيانًا يُستخدم للدلالة على درجة الزمن الأعلى (زمان)، وأحيانًا يُستخدم للدلالة على المستوى أو الدرجة الأدنى من الأبدية (دهر، الأبدية).

وبالتالي، فإن هذا الاستخدام المزدوج للمصطلح مبرر بالتجانس والتطابق الحقيقي. أثناء نومه، يمكن أن يكون الإنسان موضع حركات عنيفة، على الرغم من أن جسده المادي (الجسد) يظل بلا حراك. يكمن تفسير هذه الحركات في قرب الجسم اللطيف (الجسم) من الجسم المادي. فبينما ينام الإنسان، فإن روحه "تغني" بحرية في الأغصان العالية للشجرة العظيمة، وهي العالم المستقل للأشكال والصور (عالم الأشكال والصور، العالم المثالي). هذه الشجرة الناضجة لها جذورها في تربة "الأجسام اللطيفة"، وهناك العديد من تجليات هذه الأجسام اللطيفة بقدر ما توجد الأجسام المادية.

عندما نتحدث عن "ما يعود" (كما في العبارة أعلاه)، فإننا نشير إلى الروح الموجودة في العام المثالي المستقل للعالم. عندما نتحدث عن "ما تتم العودة إليه"، فإننا نشير إلى الجسد الروحي (الجسد ب) الذي سيتحد 17 معه الجسد النموذجي السماوي (الجسم ب).

أما بالنسبة إلى "العقاب في القبر"،18 فهذا يتعلق بما ذكرناه بشأن "عودة الروح"، لأن مجمل عالم البرزخ (العالم الوسيط)، وكل ما يصل إليه ويتغير فيه، يشير إلى الشيء نفسه (أي إلى المعنى الباطني لـ "القبر"). إن ظهور الأئمة الأطهار في لحظة الموت أو "في القبر"، سواء للمؤمن أو غير المؤمن، هو أيضاً حدث يحدث في عالم هورقليا. وإلى هذا تشير الآيات التالية من القرآن الكريم: "وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ

مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ" (6: 8). يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ (25: 22) ."

تشير هذه الآيات وبعض الآيات الأخرى، إلى جانب بعض تقاليدنا، إلى أن الملائكة لا يمكن إدراكها لأي شخص في عالم الأجسام المادية، إلا إذا اتخذ الملاك مظهر جسم مادي. كما هو الحال عندما يتخذ الملاك جبريل شكل الشاب دحية الكلبي لكي يظهر

إلى النبي، أو مرة أخرى، عندما ينزل إلى إبراهيم برفقة كروبئيل وميخائيل بمناسبة حب الغرباء، أو مرة أخرى، إلى لوط، من أجل تأديب قومه. لأن كل نفس على اتصال مباشر بتلك الكائنات وتلك الحقائق في العالم الوسيط التي تتوافق مع حالتها الروحية الخاصة. . . .

3. سماوات وعناصر هورقليا*

. . . أما بالنسبة لكلمة هورقليا، فإن معناها يتعلق بعالم آخر. ما تشير إليه هذه الكلمة هو عالم البرزخ أو العالم البيني. في الواقع، هناك العالم السفلي أو الأرضي؛ هذا هو عالم الأجسام المادية المكونة من العناصر، العالم المرئي للحواس. ثم هناك عالم النفوس، وهو عالم الملكوت. عالم البرزخ، وهو العالم الوسيط بين العالم المادي المرئي (عالم الملك) وعالم الملكوت، هو كون آخر. إنه عالم مادي مختلف. وبعبارة أخرى، فإن عالم الأجسام المكونة من العناصر يشكل ما نسميه العالم المرئي والمادي. عالم هورقليا هو عالم مادي (عالم المادة في الحالة الدقيقة)، وهو عالم آخر.

أما موقعه، فهو يقع في المنطقة المناخية الثامنة. 20

يحد المستوى السفلي السطح المحدب لـ فلك الأفلاك (كرة الكرات)، وهو السطح الذي يحدد اتجاهات الفضاء. إنها ليست في حد ذاتها في بُعد أو اتجاه من فضائنا، لأنه لا يوجد شيء وراء تحدب الكرة السماوية العليا التي تحدد التوجهات؛ أو بالأحرى، ليس لها ما وراء مكاني. ومع ذلك، فإن المستوى الأدنى لعالم هورقليا يتوافق، من خلال موقعه، مع أعلى درجة من الكرة العليا، والتي تسمى "الكرة البلورية". الشكل أو الصورة التي تنظر إليها في المرآة تنتمي إلى هذا المستوى الأدنى من العالم أو هورقليا.

اللغة التي يأتي منها هذا المصطلح هي اللغة السريانية (اللغة السريانية)، أي اللغة المستخدمة اليوم بين

• مقتطف من الإجابة المقدمة إلى الملا محمد حسين أناري
كرماني في جوامع الكلم، المجلد الأول، الجزء الثالث، الطبعة التاسعة، الرسائل، الصفحات 153-54. [19]

الصابئيين، أولئك الذين نسميهم الآن الصابئة (بشكل أدق، المندائيين)، والذين استقر معظمهم، وهم كثر، في وحول البصرة. 21

الآن، عندما نتحدث عن عالم هورقليا، سماواته وعناصره، يجب أن تعرف ما يلي: عالم البرزخ، الوسيط بين العالم الحالي والعصر الآتي، هو العالم المثالي، العالم المستقل للأشكال والصور؛ إنه العالم الوسيط بين عالم الملكوت والعالم المادي المرئي. يُستخدم مصطلح هورقليا للإشارة إلى سماوات هذا العالم الوسيط، بالإضافة إلى جميع الأجرام السماوية التي تحتويها. عندما نتحدث عن جابلقا وجابلسا، فإننا نعني المناطق السفلى من هذا العالم الوسيط.22 جابلقا مدينة تقع في الشرق، أي في اتجاه البداية. مدينة جابلسا تقع في الغرب، أي في اتجاه العودة والنهاية. إن عناصر هذا العالم الوسيط هي ما يشكل الجسد الثاني الذي لا يفنى (الجسد ب، الجسد الروحي)، أي الجسد الذي يبقى "طينه" بشكل غير مرئي "في القبر"،23 محتفظًا بنفس "شكله" المثالي. في الجزء الشرقي من هذا الكون يوجد "الجحيم الأرضي". وفي الجزء الغربي منها توجد "الجنة الأرضية"، جنة آدم. وهناك تلجأ أرواح المؤمنين، وهاتان هما "وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝ مُدْهَامَّتَانِ" المشار إليهما في القرآن (55: 64). أما بالنسبة للأدلة التي تشهد على وجود هذا الكون، فهناك من جهة تلك المعروفة في علم اللاهوت. هناك العديد من التقاليد التي تشير إلى وجود العالم الوسيط للبرزخ. هناك آيات من القرآن الكريم مثل ما يلي: "وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (23: 100). وأخيراً، هناك العديد من الروايات التقليدية التي تشير إلى وجود مدن العالم الوسيط. في تعليقي على كتاب ثيوصوفيا العرش (كتاب الحكمة العرشية) للملا صدرا شيرازي،24 حول علم الكونيات وعلم الآخرة، كررت بنفسي، كما في أماكن أخرى في كتبي، العديد من الأحاديث التي لا تدع مجالاً للشك. وبالمثل، فإن الفهم الفلسفي يقدم دليلاً إضافياً على وجود هذا الكون. في الواقع، يتكون عالم الملكوت من جوهر وكائنات منفصلة

عن المادة، بينما يتكون عالمنا المرئي والمادي من حقائق مادية. لا بد من وجود وسيط بين العالمين، وهو البرزخ، أي عالم لا تكون حالته هي الحالة الدقيقة المطلقة للمواد المنفصلة، ولا الكثافة المعتمة للأشياء المادية في عالمنا. في غياب مثل هذا الكون، ستكون هناك قفزة، وفجوة في تدرج الوجود. إن الأدلة التي تضمن وجود مثل هذه الحالة بعد الموت وقبل القيامة العظيمة كثيرة لدرجة أنه لا يمكن حصرها. لا أحد من الفلاسفة يرفض هذه البراهين، على الرغم من أن كل واحد منهم يعبر عن نفسه بطريقته الخاصة ويتبع نهجه الخاص. وتشير ملاحظاتي المرسلة إلى أنه من بين العبارات الأخرى التي لا تزال غامضة بالنسبة له في إجابتي (أي في رسالة الخاقانية)25 هناك بعض العبارات التي توضح أن الجسد الأولي للمادة (الجسد أ) يُدمر و"لا يعود". ويبدو له أن هذا يتعارض مع المعنى الحرفي للآية القرآنية والأقوال المتداولة التي تشير إليها.26

سأجيبه على النحو التالي: اعلم أن "الجسد المادي"

(الجسد) الموجود في الإنسان يتكون في الواقع من جسدين.27 أحدهما، الأول (الجسد أ) يفنى ولن "يعود". إن الجسم اللطيف (الجسم) يتكون في الواقع من جسم مزدوج، والجسم الأول (الجسم أ، الجسم النجمي) لا "يعود" بالمثل. من ناحية أخرى، فإن الجسد المادي الثاني (الجسد ب، الجسد الروحي ، المصنوع من عناصر هورقليا)، وكذلك الجسم اللطيف الثاني (الجسم ب، الجسم فوق السماوي، النموذجي) سيعودان. هذا هو المبدأ الذي شرحته في نص إجابتي المقصودة.

ما أقصده هو التالي: لقد انحدر الإنسان من العالم فوق الحسي (عالم الغيب، عالم الغموض) من تلك النماذج الأصلية أو الكنوز التي تشير إليها الآية التالية من الكتاب: "وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ " (15: 21). وهكذا ينزل الإنسان إلى هذا العالم، في رحلة من الجهد والنضال، ويجمع شيئاً خاصاً به في ضوء قيامة المستقبل. لكن بينما ينزل من خطوة إلى أخرى، وينتقل تدريجياً من مستوى وجود إلى آخر في مسار هبوطه، في كل خطوة يكتسب مزيجاً مع العوارض

المقابلة لتلك الخطوة أو المستوى. وهكذا، في زمن النبي، عندما نزل الملاك جبريل إلى هذا العالم، اتخذ شكل ومظهر الشاب الجميل دحية الكلبي. لكن عندما "صعد إلى السماء" لم يرافقه هذا الشكل في عودته. وهكذا كان الحال في كل مرة ينزل فيها إلى أحد الأنبياء السابقين: كان يظهر نفسه للنبي في صورة إنسان جميل جداً، يشبه أحد معاصري ذلك النبي. حسنًا، الأمر سيان عندما "ينزل" الإنسان بجسده اللطيف، وهو جسده النموذجي (الجسم ب، الجسم الأصلي) ودعامة نفسه ((انظر إلى ترابط أوخيما لبرقلس، أعلاه، ص 92) يمر عبر عالم الأشكال والصور المستقل (العالم المثالي)؛ وهناك يصبح الجسم النجمي (الجسم أ) مرتبطًا به. لن "يعود" الأخير عندما تحدث القيامة العظيمة، لأنه ليس جزءًا من الحقيقة الأساسية للإنسان. يمكن تشبيه ذلك بالأوساخ التي تتراكم على ملابسك والتي تختفي "بلا عودة" عندما تقوم بتنظيفها.

عندما يصل الإنسان، في نهاية هبوطه، إلى هذا العالم الأدنى، فإن الجسد المادي الأساسي، جسد اللحم (الجسد أ)، المكون من عناصر عالمنا الأرضي، يصبح مرتبطًا به. بالنسبة لواقع الإنسان، فهو أمر عرضي؛ إنه ليس مكوناً من جوهره. هذا الجسد المنهك ينتمي إلى قذارة عالمنا هذا. في لحظة الخروج من هذا العالم، تبتلع الأرض هذا الجسد بمجرد وضعه في القبر. لكن، على النقيض من ذلك، فإن ذلك الجسد الآخر (الجسد ب، المكون من عناصر هورقليا) يبقى خفياً "في القبر" حتى يوم القيامة، عندما تعود الروح (روح "الأنا") إليه، وتخترقه، وتدخل جنته أو جهنمه معه. هذا الجسد الروحي هو ما "يعود"، بينما الجسد المادي من لحم ودم، المكون من عناصر دنيوية، أي مجمل العوارض والشوائب التي تنتمي إلى هذا العالم السفلي، كل ذلك لم يكن ينتمي إلى الإنسان ولم يكن معه، بل كان مجرد شيء التصق به بسبب وجوده في هذا العالم. وهكذا يعود كل ذلك إلى أصله "بلا رجعة". الأمر نفسه ينطبق عندما يعلق الطين والأوساخ في رداءك القطني:

بمجرد غسله، سيزول الطين والأوساخ "بلا رجعة". هل ستقول أنت، أم سيفكر شخص آخر في قول، أن شيئًا ما مفقود من الرداء بسبب ما فارقه؟ لا، ما انفصل عنه لم يكن جزءاً منه على الإطلاق.

وهكذا عندما تدخل الروح بعد الموت عالم البرزخ، فإنها توجد هناك في جسدها النموذجي (جسم ب)، والذي يلتصق به مؤقتًا جسد ناشئ من هذا البرزخ (جسم أ، الجسد النجمي). في الواقع، هذا الأخير ليس جزءًا منه، بل هو عارض مؤقت. في يوم القيامة يعود الإنسان بكامل كيانه ويترك وراءه ما لم يكن جزءاً منه، ما لم يكن هو نفسه. قارن هذا: اكسر ختمك؛ انظر كيف يتغير شكله. أعد تشكيله، وسترى الآن الختم الأول، وقد عاد إلى شكله الأصلي، مطابقاً لنفسه. ومع ذلك، فإن الشكل الأول لم يعد ولن يعود أبداً.

هذا هو المعنى الباطني للآية: "كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا (4: 59)". على الرغم من أن الجلد البديل قد يكون مطابقًا للجلد الأول، إلا أنه يُطلق عليه اسم "آخر" لأن الشكل الأول قد انفصل عنه وتم استبداله بشكل آخر. هذا ما تم التأكيد عليه في تفسير الإمام جعفر الصادق لهذه الآية. "إنه نفسه ومع ذلك فهو مختلف." 28

قارن هذا أيضًا بالطوب الطيني الذي تقوم بسحقه ثم تعيده إلى قالبه. هو نفسه بالتأكيد، ومع ذلك فهو مختلف. وينطبق الأمر نفسه على الجسد المادي الأولي (الجسد أ) والجسم النجمي (الجسم أ) الذي نقول بشأنه أن لا هذا ولا ذاك "يعود". ونشير بهذا وذاك إلى الصفات العرضية التي تلتصق بالإنسان بسبب حقيقة نزوله عبر خطوات متتالية. ومع ذلك، فإن هذا الجسد الظاهر والمرئي والملموس هو نفسه الذي لا يفنى ولا ينفصل عنه شيء جوهري.29 أو بالأحرى، يبقى خفياً حتى يوم القيامة، أي حتى يعود وتدخل فيه الروح ليصنع له جنته أو جحيمه. بالتأكيد يجب كسره وإعادة تشكيله. وهكذا سيتم طحنه وتنقيته من كل ما ليس جزءًا منه. بعد ذلك سيتم تشكيله، لأنه ما لم يتم تطهيره من جميع العوارض التي ليست فيه،

فلن يكون صالحًا للبقاء. إن مجرد وجوده في هذا العالم يعني اختلاطه بالعوارض، وهنا تكمن العقبة أمام بقائه.

يسألني مراسلي أيضًا عما أقصده عندما أقول إنه بين "نفختي" صور إسرافيل، يتم جذب الروح وإعادة امتصاصها في أي من فتحات الصور التي تمثل منشأها؛ ويسألني عما أقصده بـ "الخزائن الستة" وما الدليل على كل هذا؟

أقول له: لقد تم تقديم الدليل بالفعل على أن الروح هو الإنسان الحقيقي، هو الذي يُخاطب، هو الذي يتخذه. إن الكائن المرئي لجسمه المادي هو بالنسبة له مسكن يجد نفسه مسجوناً فيه، ولكنه أُجبر على النزول إليه، لأنه بالنسبة له أداة يحصل بفضلها على المعرفة الظاهرية والباطنية. لذلك عندما تم اتخاذ قرار بإرساله إلى هذا العالم، استلزمت طبيعة الوجود وجود وسيط من النفس الحساسة والحيوية التي منحتها الكرة السماوية، حتى لا يكون هناك انقطاع في تدرج الوجود وفي الفيض. عندما يحين وقت العودة إلى عالمها الأصلي، فإن الوسيط، أي النفس الحيوية المنبعثة من الأفلاك السماوية، تعود إلى النفوس التي تحرك الأفلاك، كما لو كان ذلك عن طريق العودة إلى مزيج، تمامًا كما تعود قطرة الماء إلى البحر.

لكن الروح "الأنا" تبقى حية، وتبقى مستيقظة، ولا تستسلم للنوم. وكما يقول الإمام جعفر: "عندما يعود، يعود إلى الحالة التي بدأ بها". إنها ليست عودة إلى مزيج، بل عودة إلى حالة من التناقض لأنها تبقى. عندما تهتز رياح النفخة الأولى في الصور، فإن "الصوت الوامض" يتم امتصاصه مرة أخرى، ويعود كل شيء إلى مصدره. إنها تعود، وهذه عودة من التناقض. لأنها أُرسلت من "الخزائن الست"، 30 فإنها تعود إليها، وانقطاعها يؤدي إلى انفصالها؛ وتعود صورتها النموذجية إلى الخزانة التي نزلت منها. وبالمثل، فإن مادتها الأولية 31، وطبيعتها، وروحها، ونفسها، وعقلها، تعود كل منها إلى الخزانة التي انحدرت منها على التوالي. تلك هي الخزائن المشار إليها، كما قلنا، في الآية في القرآن: "وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ " (15 :21). هذه الخزائن التي تشكل في كل

حالة وحدة كاملة، وهي المصفوفة الخاصة بكل روح "الأنا"، والتي يتم تحديدها رمزياً على أنها الفتحة أو "الثقب" الذي يتوافق مع تلك الروح على صور إسرافيل.

أما الأدلة على ما ذكرناه، فهي لا ترد في حديث واحد فقط، ولا في عشرات الأحاديث، بل في عدد كبير من الروايات. ومع ذلك، لا يمكن فهم قيمتها التوضيحية في النقاش إلا من خلال التأمل في العديد منها. أو بالأحرى، إنها مسألة السماح للنفس بأن تسترشد بحكمة أعلى، والبرهان الذي تقدمه هذه الحكمة لا يمكن التعرف عليه إلا كشكر واضح على عونٍ إلهي خاص، منحه الله للقلوب التي بلغت النضج الكامل، لأن "وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا" (2: 272).

4. الخيمياء وجسد القيامة

(أ) *

اعلم أن ما يعود إلى الجنة، في هذه الحالة الجنة الأرضية 33، هو ما يحصده ملك الموت، وأن هذه هي حقيقة الإنسان الأساسية، الإنسان بالمعنى الحقيقي (إنسان الحقيقي). إن مصدر ومبدأ وجوده يتكون في الواقع من خمسة أشياء: العقل، والنفس، والطبيعة الجوهرية، والمادة الأولية، والصورة أو الشكل النموذجي.34 العقل موجود في النفس. إن النفس، بكل ما تحويه، موجودة في الطبيعة غير القابلة للفساد. كل هذه الثلاثة مجتمعة موجودة في المادة الأولية، مرة أخرى مع كل ما هو مضمن فيها. عندما يتم ربط الصورة أو الشكل النموذجي مع الأخير، فإن الجسم الأساسي الأصلي (الجسم الأصلي، الجسم ب) يتحقق، 35 أي الجسم المخفي في الغلاف المادي المرئي، في الجسم العنصري (الجسد أ) المتكون من العناصر الأربعة تحت القمرية: النار والهواء والماء والأرض (التراب).

إن الجسد المادي الأساسي (الجسد أ)، وهو جسد اللحم الفاني، هو الذي يبقى في الأرض؛ أما مظهره المرئي فيتم تدميره هناك. هذا هو الجسد العضوي الذي يخضع

* مقتطف من الرسالة الموجهة إلى فتح علي شاه قاجار، شاه إيران (1707-1814). في جوامع الكلم المجلد 1،الجزء 1الرسالة الخامسة

لظاهرة النمو من خلال استيعاب العناصر الدقيقة للغذاء. لقد قلت للتو أن مظهره المرئي، أو "ظاهره"، قد دُمر في الأرض. لكن الحقيقة هي أن عنصره الخفي غير المرئي، "عداوته"، تبقى؛ وهذا هو الجسد الروحي (الجسد ب، الجسد الروحي)، الذي لا يتكون من العناصر الأرضية، بل من العناصر الأربعة لعالم هورقليا، وهي أنبل وأثمن بسبعين مرة

من عناصر العالم الأرضي.36 ويستقر هذا الجسد الروحي في حالة السكون المشار إليها في آية من القرآن الكريم. في الواقع، عندما يقدم التابع المؤمن حسابًا عن نفسه "في القبر"،37 فإنه يشق لنفسه قناة بين "القبر" والفردوس في الغرب والتي من خلالها يأتي إليه الراحة والرزق. وقيل: "فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ" (56: 87-88). إن ما يخضع لهذا السكون هو على وجه التحديد الجسد الروحي (الجسد ب)، الجسد المتكون من عناصر عالم هورقليا، والمخفي داخل الجسد المادي العنصري (الجسم أ)، الجسد المرئي الظاهر، المتكون من العناصر العادية لهذا العالم.

أما بالنسبة للجسم الذي يبقى مع الروح (الروح "أنا") في وقت الخروج، فهذا هو الجسم الأساسي، الجسم بالمعنى الحقيقي (الجسم الحقيقي، الجسم ب)، 38 والذي يتكون من المادة الأولية والصورة أو الشكل النموذجي (المثالي). إنه دعم الطبيعة غير القابلة للفساد، والنفس، والعقل. إنها الحقيقة الأساسية للإنسان، حقيقة الإنسان بالمعنى الحقيقي. هذا الجسم الأساسي هو من نفس طبيعة الجسم الأساسي للكون: بالنسبة للعالم الصغير فهو مماثل للكرة العليا، الكرة التي تحكم وتحدد التوجهات المكانية. إن قدرتها على الاستمتاع بالطعام والشراب واللمس والملذات العاطفية تفوق قدرة الجسد المادي الأساسي بسبعين ضعفًا.39 ولا تنفصل الروح "الأنا" أبدًا عن هذا الجسد الجوهري، الذي لا ينفصل بدوره عن الروح 40 إلا في وقت التوقف الكوني الذي يمثل الفاصل الزمني بين نفخ صور

إسرافيل.

عندما يتسبب إسرافيل في نفخ الصور بـ "النفخة النارية"، 41 والتي هي "نَفَس الامتصاص الكوني"،

يتم سحب كل روح، وإعادة امتصاصها في "الثقب" المحدد في الصور الذي يمثل مصفوفة لها. تتكون المصفوفة من ستة "خزائن". بمجرد أن يتم سحبها، فإن الروح "الأنا"-تلتقي بصورتها الخاصة، أو شكلها النموذجي، 42 في الخزانة الأولى؛ وفي الثانية من هذه، تجد مادتها الأولية؛ وفي الثالثة، طبيعتها غير القابلة للفساد؛ وفي الرابعة، نفسها؛ وفي الخامسة، روحها؛ وفي السادسة، عقلها. عندما تنفصل هذه الكنوز، يتم إلغاء روح "الأنا" ويتم إلغاء قدرتها على العمل أيضًا. وبهذا المعنى وحده يمكن القول إنه "تم إبادتها" (أي حتى "نفخة" الصور الثانية لإسرافيل). لكن لا يحدث أي مزج يدمج الأجزاء المكونة، لأن هذا المزج ينطبق فقط على نفوس النباتية والحيوانية: على نفس النباتية لأنها تتكون من العناصر تحت القمرية - النار والهواء والماء والأرض (التراب). عندما تنفصل هذه الأجزاء الأساسية، فإنها "تعود" إلى ما أتت منه، لتختلط بها، لا لتوضع معها، كل منها كشيء مستقل. تعود الأجزاء النارية إلى النار الأولية، وتختلط بها وتندمج معها. 43 وبالمثل، يعود كل جزء إلى مكان منشئه - الهواء، الماء، الأرض (التراب) - ليختلط ويمتزج بها. وينطبق الشيء نفسه على نفس الحيوان، التي كان مصدرها حركات الأجرام السماوية. عندما ينفصل، يعود إلى مصدره، ويختلط به، لا يُضاف إليه، لأنه مجرد مزيج من الطاقات الناتجة عن طاقات الأجرام السماوية والمتناسبة مع حركاتها....44

لذلك، تعود هاتان النفسان، النباتية والحيوية، بعد الموت إلى مصدرهما وتختلطان به. لكن هذا ينطبق فقط على الجزء الخارجي منها، أي الجزء "الظاهر" (الظاهر)؛ لأن الجزء الداخلي، "الباطني" (الباطن) من النفس النباتية يبقى "في القبر"؛ هذا الجزء الداخلي هو عناصر هورقليا وهو ذلك الجسد (الجسد ب) الذي يستريح في "السكينة ويقيم في الجنة" 45. أما بالنسبة للجزء الباطني من النفس الحية، فهو يتكون من "طبائع" النفوس التي تحرك سماوات هورقليا وتذهب إلى "الجنة الأرضية"، كما ذكرنا سابقًا.46 وخلاصة القول: إن الروح لا تنفصل أبدًا عن جسدها الجوهري الأصلي (الجسم ب)؛ فهي لا تغادره أبدًا - أي لا "تموت" أبدًا، أي تموت، إلا خلال الفترة الفاصلة بين نفختي الصور؛ الأول

هو "الصوت المشتعل" أو شهيق إعادة الامتصاص الكوني، والثاني هو نفس القيامة.47

أما بالنسبة لهذا السؤال الآخر: "هل ينبغي فهم الروح في حد ذاتها على أنها الروح ذات الصورة أو الشكل النموذجي، أو ذات الجسد اللطيف؟" ينبغي أن يكون الجواب: "إن ما يدخل 'الفردوس الأرضي' هو الروح (الروح 'الأنا') مع جسدها الأصلي الجوهري (الجسم 'الأصلي، الجسم 'ب')، 48 لأن في الروح يوجد العقل، والعقل في النفس، وهذه الأخيرة في الطبيعة غير القابلة للفساد. الجسم الأساسي هو المادة الأولية التي تمثل دعامتهم، والصورة أو الشكل النموذجي الأصلي المرتبط بالأخير. ولهذا السبب فإن القدرة على الشعور والاستمتاع، كما قلنا، أكبر بسبعين مرة في هذا الجسد الجوهري مقارنة بالجسد المادي؛ لأن استمتاعه حسي وروحي على حد سواء. إنها ملكة روحية/حسية. أما ما يبقى بشكل غير مرئي "في القبر" (أي في هورقليا) فهو الجسد الروحي (الجسد ب)، المصنوع من عناصر هورقليا، بينما الجسد المصنوع من العناصر الأربعة العادية (الجسد أ، جسد اللحم المادي) يفنى."

هناك عدد من الرموز التي يجب التفكير فيها هنا. سنذكر واحداً أو اثنين. الزجاج، على سبيل المثال؛ يتم إنتاجه من السيليكا والبوتاس، وكلاهما كثيف ومعتم، متجانس مع الجسد المادي الأساسي (الجسد أ)، وهو جسد اللحم القابل للتلف الذي نعرفه جميعًا. عند تعرضه للانصهار، تزول شوائبه وأوساخه؛ ويبقى لدينا زجاج شفاف؛ يصبح الداخل مرئيًا من خلال الخارج، ويصبح الخارج مرئيًا من خلال الداخل.49 وهذا، إذن، مماثل للجسد الروحي (الجسد. ب)، الجسد الروحي ؛ الجسم الذي يبقى "في القبر"، أي في هورقليا، والذي يُمنح "الراحة والإقامة في الجنة"، في حين أن الكثافة المعتمة للسيليكا والبوتاس كانت مماثلة للجسد المادي العنصري (الجسد أ). تأمل كيف انبثق من السيليكا والبوتاس، الكثيفة والمعتمة، جسم في حالة شفافة دقيقة. إن الأخير هو بلا شك نفس المادة المعدنية، ومع ذلك فهو ليس كذلك. إنه شيء آخر.

الآن، بافتراض أن هذا الزجاج بدوره يتعرض للانصهار:

دع مادة كيميائية مناسبة معينة تُلقى عليه وتخترق الكتلة بأكملها تمامًا؛ يصبح الزجاج زجاجًا دقيقًا ولامعًا للغاية. إذا تم إسقاط إكسير البياض، "المادة الخيميائية للفلاسفة"، على هذا الزجاج الرقيق، فإنه يصبح بلورة تتوهج في ضوء الشمس (زجاج العدسة)، لأنه يتسبب في تقارب أشعة الشمس عند اصطدامها بسطحه. إنها بالتأكيد لا تزال زجاجًا، ومع ذلك فهي شيء آخر غير الزجاج؛ فبينما تبقى زجاجًا، إلا أنها زجاج حدث له شيء ما، شيء قام بتنقيته تمامًا لدرجة أنه الآن يحتل مرتبة أعلى بكثير من الزجاج الأول. هذا الزجاج المتوهج مماثل للجسم النجمي (الجسم أ) الذي رافق الروح في وقت الخروج، عندما ينفصل الأخير عن جسده المادي الأساسي. إنه الجسد الذي تدخل به الروح إلى الفردوس الغربي، جنة آدم. حسناً إذاً! إذا تم إذابة هذه البلورة المتلألئة مرة أخرى وتم إسقاط الإكسير الأبيض عليها مرة أخرى، فها هو ذا! يتحول إلى ماس (ماسة). لا يزال زجاجًا، ومع ذلك لا - إنه شيء آخر - لكن ليس كذلك، إنه بالتأكيد نفسه، لكنه نفسه بعد خوض كل هذه التجارب.

كانت مادة معدنية كثيفة ومعتمة؛ تم صهرها وأصبحت زجاجًا شفافًا ثم أصبحت زجاجًا أدق بكثير. وعندما تعرض هذا الأخير لأول مرة لعملية اندماج وإسقاط الإكسير الأبيض، أصبح بلورة متوهجة. تم دمجها مرة ثانية وتم إسقاط الإكسير عليها؛ فتحولت إلى ماسة. ضعها على السندان، واضربها بالمطرقة، ستحدث انبعاجاً في السندان والمطرقة لكنها لن تنكسر. اضربها بقطعة من الرصاص وسوف ينكسر إلى أجزاء مكعبة الشكل، وإذا تم ضرب كل مكعب بدوره بالرصاص فسوف ينكسر بدوره إلى أجزاء مكعبة الشكل. هذه هي العلامة الحقيقية على أنها ماسة بالفعل، ولكن إذا أصبحت ماسةً فهي أيضًا علامة على أن الماس كان مخفيًا في الأعماق الأساسية للمادة المعدنية، لأن تركيب الأخيرة في الواقع هو نتيجة لمبدأين معروفين جيدًا، الزئبق والكبريت، وفقًا لما هو مثبت في الفيزياء. وهذا الماس، منفصلاً عن البلورة، وهذه البلورة، منفصلة عن الزجاج، وهذا الزجاج منفصلاً عن عتامة معدنه، هو نظير لـ "جسد القيامة"

للمؤمن الأمين في جنة الأبدية (أي، الجسم ب، الجسم النموذجي الأساسي، الجسم فوق السماوي، "الجسد الماسي") 50.

رمز آخر: القصدير. في البداية، يكون متماثلاً مع الجسد الأساسي للحم (الجسد أ) الذي نعرفه في عالمنا الأرضي. عندما يتم إسقاط الإكسير الأبيض عليه، يصبح فضة خالصة؛ ثم يصبح مماثلاً للجسد الروحي الدقيق (الجسد ب، الجسد الروحي)، الذي يبقى بشكل غير مرئي في هورقليا. لكن عندما يُسقط الإكسير الأحمر عليه، يصبح ذهباً خالصاً، ويصبح حينها مماثلاً للجسم النجمي (جسم أ) الذي ينشأ في سماوات هورقليا، والذي يترك الجسد المادي (الجسد أ) ويرافق الروح في خروجها، أي الجسم اللطيف الذي يعود إلى جنة آدم بعد الموت ويتذوق بهجته. إذا تم إسقاط الإكسير الأحمر مرة ثانية، فإن هذا الذهب نفسه يصبح إكسيرًا؛ إنه متماثل مع الجسم الأصلي الجوهري (الجسم ب، الجسم فوق السماوي)، الذي يدخل جنة العصر المستقبلي. إن حقيقة تحول هذا الذهب إلى إكسير هي العلامة والدليل على أنه كان مخبأً في أعماق القصدير، لأن تركيبه في الواقع هو نتيجة لمبدأين معروفين جيداً. ثم إن هذا الإكسير، المتحرر من الذهب، والذهب المتحرر من الفضة، والفضة المتحررة من القصدير، هو مماثل لعصر المستقبل. لا تزال العديد من رموز هذا الأمر موجودة، وهي معروفة جيداً لأولئك الذين يمتلكون البصيرة الداخلية...

في الجدول التالي يمكننا تلخيص أوجه التشابه التي حللها الشيخ أحمد الأحسائي بين فسيولوجيا "جسد القيامة" ومراحل العمل الخيميائي:

جسم الإنسان	المتماثلات الكيميائية
الجسد أ: الجسم المادي الأساسي، جسد اللحم الفاني، المكون من العناصر الأرضية القمرية	زجاج السيليكا والبوتاس (الزئبق والكبريت) (
الجسد ب: الجسد الروحي غير القابل للفساد، الجسد الروحي، يتكون من عناصر	امتزاج

T

قصدير
مزيج من القصدير
الأبيض

t

فضي

•

هورقليا. إنها تبقى

I

بشكل غير مرئي بعد الموت "في القبر"، أي في هورقليا. ستتحد مع الروح في وقت القيامة العظيمة

الجسم أ: الجسم الأثيري، المكون من المادة السماوية لسماء هورقليا؛ ترتديه الروح عند نزولها إلى هذا العالم؛ ويرافقها عند الخروج، ويدخل معها الجنة الأرضية (أو الجحيم)؛ ويختفي عند القيامة العظمى والاتحاد النهائي بين الجسد ب والجسم ب في جسد القيامة.

الكريستال المشتعل
مزيج ثانٍ
من الإكسير الأبيض

الجسم ب: الجسد الأساسي والأصلي، الجسد النموذجي، الخالد وغير المنفصل عن الروح (*okhema* *symphyes*)، الجسد السماوي الفائق المكون من ستة "كنوز"؛ متحدًا مع الجسد ب، يشكل كمال جسد القيامة ("جسد الماس") في العصر القادم.

٢

ماس

* (b)

زجاج فاخر
أول مزيج من الإكسير
الأبيض

من الإكسير
الأحمر

أول مزيج من
الإكسير الأحمر

إكسير =
حجر الفلاسفة

ذهب
مزيج ثانٍ

هذا التعليق أصيل بقدر ما هو مهم. يوضح الشيخ أحمد الأحسائي هنا موقفه فيما يتعلق بفلسفة المولا

- مقتطف من تعليق الشيخ الملا الشيرازي على كتاب "الحكمة العرشية" للملا صدرا (صدر الدين الشيرازي، التبريزي، 1278/1861، ص 165-166.[51]

الصدرا (انظر أعلاه، المادة VI). فهو لا يلتزم بها ولا يدحضها بشكل منهجي. إنه نقد محايد، يساعد على وضع مدرسة الشيخية بشكل أفضل في المنظور العام للفكر الشيعي. في كتابه، يطرح مولا صدرا جميع المشاكل المتعلقة ككل بصيرورة الإنسان بعد الموت، في الجانب المزدوج المتمثل في "عودة" أو "ارتداد" الأرواح إلى عالمها الأصلي (معاد) وإحياء الأجساد. ويشير إلى أن الجانب الثاني لا يقع على نفس المستوى -الواضح بشكل مفهوم- مثل الجانب الأول. إن فكره،
كونه فكراً ثيوصوفياً، يستخدم الحجة العقلانية بالإضافة إلى النصوص من التراث الديني. إن الجمع بين هذه الأمور أصبح ممكناً من خلال ممارسة التأويل (تفسير المعنى الروحي)، والذي تبين أن عمله الخيميائي
هو تطبيق (لإخفاء الظاهر، وإظهار الخفي). هذه هي العملية التي يؤكد عليها الشيخ أحمد الأحسائي، كما في المقطع أعلاه، مما يدل على وجود تطابق بين عملية سر الفن وفسولوجيا جسد القيامة. بل إن هذه المراسلات تفترض وجود علم أنثروبولوجيا يكون فيه موضوع "الرجوع"، الذي يحدد التحولات المستقبلية، مناقضاً لفكرة إمكانية الرجوع، والتي تسود بشكل عام في وجهات نظرنا التاريخية.

إن الفهم الفلسفي، الذي يسترشد بالشيء نفسه الذي يثبت أن الأرواح خالدة وتعود إلى عالمها الأصلي، يجد فيه الدليل على قيامة الأجساد؛ لأن قيامة الأجساد وعودة الأرواح معًا لهما سبب واحد ونفس السبب. من تأمل أمام "مرآة الفلاسفة" استطاع أن يراها بعينيه. عندما أتحدث عن "مرآة الفلاسفة"، فأنا أعني عمل فني سري ، 52 أي عمل الإكسير، لأن الفلاسفة استخدموه كمرآة ينعكس فيها كل شيء موجود بنفس طريقة عودة وبعث الأرواح.

بحسب فهم الفلاسفة، يمكن التعبير عن البرهان على النحو التالي: إن الوجود المادي لكل ما هو موجود في العالم ينبثق من العمل الإلهي، كما ينبثق الضوء من المصباح. الجميع يعلم أن هذه العملية هي الحياة، والوعي، والتمييز، وقوة الاختيار. كلما اقترب شيء ما من المبدأ، زادت قوة هذه الأشياء الأربعة فيه؛ وكلما ابتعد شيء ما عن المبدأ، ضعفت هذه الأشياء الأربعة فيه. وبالمثل، فإن ضوء

المصباح ثابت فيما يتعلق بالإشعاع والجفاف والحرارة؛ فكلما اقترب شيء ما من المصباح، زادت قوة هذه الأشياء الثلاثة فيه؛ وكلما ابتعد، ضعفت، حتى يختفي الضوء في النهاية وتختفي هذه الأشياء الثلاثة في الوقت نفسه.

يمكن النظر إلى فعل الوجود بطريقة مماثلة في كل شيء: فكلما ابتعد شيء ما عن المبدأ، كلما ضعفت الحقائق الأربعة التي تشكل وجوده، وهو العملية الإلهية، حتى يؤدي انقراض الأخيرة في النهاية إلى انقراض تلك الحقائق. أما الحياة التي في الروح - الوعي، والتمييز، وقوة الاختيار - فكل هذا موجود بالفعل في الجسد وحتى في المادة المعدنية، ولكن بدرجة أقل بكثير مما هو موجود في الروح. إن القول بأن الأجساد "تتعب" يعني القول بأنها حية وواعية ولديها تمييز وقوة اختيار، بما يتناسب مع درجة مشاركتها في الوجود. ومن هنا جاءت هذه الآية القرآنية: " فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ." أو مرة أخرى: "تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ". 53 وقد وردت تعليقات وافية حول هذا الموضوع في هذا الكتاب.

ففي التحليل الأخير، الأرواح هي كائنات نورانية في الحالة السائلة

(نور وجدي ذائب). الأجسام هي أيضاً كائنات نورانية، ولكنها في الحالة الصلبة. الفرق بينهما هو نفس الفرق بين الماء والثلج. ولهذا السبب فإن الأدلة التي تميل إلى تأكيد "عودة" الأرواح هي في حد ذاتها الأدلة التي تميل إلى تأكيد قيامة الأجساد...

يشهد العمل الخيميائي على صحة هذا التأكيد. والحقيقة هي أن الأجسام التي وصلت إلى مرحلة النضج والاكتمال من خلال هذه العملية تكون في حالة سائلة صلبة. هذا ما أعلنه الإمام الأول، علي ابن أبي طالب ، وفقًا لرواية مؤرخه شهرآشوب، وأبو العباس في كتابه الذي يكشف سر علم الإكسير. 54 لذلك سأل أحدهم الإمام عن الخيمياء، عندما كان يلقي خطبة: "إنها أخت النبوة"، قال؛ "لأن هناك حصانة تمنع النبوة من التدنيس، وهي أن

الناس العاديين لا يفعلون أكثر من مناقشة معناها الظاهري الحرفي. أشهد الله أن الأمر لا يعدو كونه ماءً في الحالة الصلبة، وهواءً ساكناً، وناراً مضغوطة، وأرضاً سائلة. 55 فالأرض في الحالة السائلة هي الماء في الحالة الصلبة. وبالمثل، فإن الأجساد هي أيضاً أرواح...

"الأجساد، كما ذكرنا سابقًا، هي أشياء نزلت من 'الخزائن النموذجية' إلى هذا العالم الأرضي، كما جاء في الآية: 'وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ' (15: 21). وبما أن كل شيء يعود إلى أصله ومبدأه، فإذا كانت الأجساد استثناءً، سواء بمعنى البقاء في هذا العالم أو بمعنى الفناء، فلن "يعودوا" إلى أصلهم ومبدأهم. لكن هذا من شأنه أن يتعارض مع ما هو مضمن في قانون العودة الشاملة إلى مبدأ القيامة الشاملة، وهي أطروحة راسخة يتفق عليها الفلاسفة والتقاليد الدينية. ومن ثم، يكشف الفهم الفلسفي عن براهين قيامة الأجساد بالطريقة الموصوفة أعلاه....

(ج) *

مولا صدرا الشيرازي: 56 الروح هي "مادة" روحية (مادة روحية)، وهي كائن دقيق لا يمكنه استقبال الأشكال إلا إذا كانت في حالة دقيقة وفوق حسية، بحيث لا يمكن إدراكها بالحواس الجسدية، ولكن فقط لأعضاء الإدراك النفسي الروحي (الحواس فوق الحسية). وعلى النقيض من ذلك، فإن "المادة المادية" (hayala) هي مادة كثيفة ومعتمة قادرة على استقبال أشكال تكون حالتها كثيفة ومعتمة بنفس القدر، ويتم تحديدها من خلال الأبعاد والمواقع المكانية، ممزوجة بالافتراضات والسلبيات.

الشيخ أحمد الأحسائي: من الصحيح القول إن النفس كائن دقيق غير قادر على استقبال أي شيء سوى الصور في حالة دقيقة فوق الحسية. ومن الصحيح أيضاً القول بأنه لا يمكن إدراكها عن طريق حواسنا الجسدية، لأن هذه الحواس ملوثة ومشلولة بسبب العيوب الكامنة في الطبيعة الأولية التي يتكون منها الجسم المادي. وعلى النقيض من ذلك، فإن القول بأن الجنة، بقلاعها وحورياتها وملذاتها،

* مقتطف من نفس العمل، الصفحات 331-32."

ليست سوى "نوايا"، أي أنها تتكون فقط من أشكال نفسية خالصة، وأشكال خيالية من عالم الملكوت (عالم الأرواح السماوية)، هو أمر لا يمكنني قبوله. لأنه من تلك النقطة سيضطر المرء إلى نفي القيامة، كما بدا أن المؤلف (ملا صدرا) يفعل في بعض المقاطع المشار إليها سابقًا في هذا الكتاب، على الأقل بناءً على ما يبدو أن المعنى الحرفي لكلماته ينقله. لقد لاحظنا أنه بالمقارنة مع عقيدة الأئمة الأجلاء، فإن ما يقوله لا يبدو كأنه كلام شخص يدّعي الإيمان بالبعث الجسدي.57

الحقيقة هي: القول بأن المادة، أو hyle، في حد ذاتها كثيفة ومظلمة ليس صحيحاً. لا يمكن اعتبار أي مادة بالضرورة كثيفة ومظلمة. للمادة حالات أخرى. إن الأجرام السماوية، على سبيل المثال، لا يمكن إدراكها بحواسنا الجسدية؛ ولا حتى الأرض، أي الأرض التي لم تطأها أقدام أبناء آدم (أي الأرض السماوية، الجنة التي نُفي منها آدم والتي تعود إليها الروح في جسدها اللطيف)، لأن الأرض في حالة لطيفة، ولا يمكن إدراكها بعيون هذا العالم، عيون الجسد.

علاوة على ذلك، فإن جميع الذين يعيشون في الجنة هم أجساد محددة بالأبعاد والمواقع: لكن حقيقة كونهم مثل هذا الجسد لا تستبعد بأي حال من الأحوال البقاء أو الخلود في حد ذاته. بالتأكيد لا تتضمن هذه الأجسام الروحية أي سلبية، ولا كثافة، ولا عتامة، لأن هذه الأمور هي من تبعات التغيير والاستبدال، حيث يتم استبدال ما يختفي بشيء أضعف. لكن هذه هي تحديداً الأشياء المستبعدة من هذه الهيئات في العالم الذي يتجاوز عالمنا. وحتى الأجسام في ذلك الوقت تكون في حركة صعودية دائمة؛ وإذا حدث فيها بعض التغيير والاستبدال، فلا يمكن أن يكون ذلك إلا بفضل قوة وتجديد قادمين من الأعلى.

أما بالنسبة للأبعاد والمواقع، فهي متأصلة في الأماكن وفي الأجسام. إنها ليست متعارضة في حد ذاتها مع حالة أولئك الذين يعيشون في الجنة. أما هؤلاء فهم يشبهون أولئك الذين يسكنون الأرض، باستثناء أنهم لا يملكون كثافة، ولا عتامة، ولا ميلاً إلى الضعف، ولا ميلاً إلى التحلل والفناء. حالتهم هي حالة عدم وجود أي بديل في أجسادهم لا يمثل تقوية، ولا تغيير لا يمثل

زيادة في القوة، أو تجديداً، أو تحسيناً. لكن لماذا ننكر الواقع المادي لمثل هذه التجربة (شريطة ألا تنحدر مادتها إلى كونها المادة الكثيفة المظلمة لهذا العالم السفلي)؟ أولئك الذين يعيشون في الجنة بجسدهم الروحي (الجسد ب)، في جسدهم الأصلي الجوهري (جسم ب)، في روحهم "أنا"، هم بالتأكيد نفس الأشخاص الذين كانوا في هذا العالم السفلي. لقد طرأ تغيير واحد فقط عليهم: اختفت العوارض الغريبة عنهم، والتي جعلتهم عرضة للدمار، وتبدد الظلام الذي كان يخيم عليهم واختفى. نعم، عندما يتم تطهير هذه الأجسام، كما ترونها في عالمنا، تماماً من العوارض الغريبة عنها، فإن طريقة وجود أولئك الذين كانوا في الأسفل تعود إلى طريقة وجود أولئك الذين هم في الأعلى. ثم تدرك الأجسام الروحية من تلقاء نفسها الحقائق الروحية للجبروت وكذلك الأشكال فوق الحسية النقية للملكوت.58 وبالمقابل، عندما تتطهر الأرواح التي يرتبط وجودها بهذه الأجسام من أجل حكمها تمامًا من الاضطراب الذي مزجه التمرد بكيانها، ومن اللاوعي الذي حكم عليها بالنسيان، فإنها تدرك من تلقاء نفسها أجسامها الروحية وجميع الحقائق المتعلقة بها. في الواقع، لكي تتحول أجسادهم إلى أرواح، ما عليهم سوى أن يرغبوا في ذلك؛ ومن ناحية أخرى، لكي تتجسد أرواحهم، تصبح أجساداً، ما عليهم أيضاً سوى
أن يتمنوا ذلك.

هناك رمز لهذا الوضع في هذا العالم بالذات، وأولئك الذين يعرفون سيفهمون ما نشير إليه. لطالما وصف الفلاسفة الطبيعيون، أولئك الذين يمارسون العلم السري (أي الخيميائيون)، عملهم على النحو التالي: أولاً يقومون بإذابة الحجر، ثم يقومون بتخثيره بجزء من روحه.60 بعد ذلك يقومون بإذابة الناتج، ومرة أخرى يقومون بتخثيره بجزء من روحه. ثم تذوب مرة أخرى، ثم تتخثر مرة أخرى، وهكذا دواليك. عندما يعالجون الحجر، وفقًا لقاعدتهم الراسخة، ثلاث مرات بالإكسير الأبيض، ثم تسع مرات بالإكسير الأحمر، يصبح الحجر مادة روحية حية معدنية (lapis vivus). 61

وهذا يعني أنه في حد ذاته يبقى جسداً، ولكن فيما يتعلق بعمله فقد أصبح روحاً - روحاً قادرة على "إحياء" المعادن

الميتة، لأن روح البقاء النهائي قد تم نفخها فيها. بعد الجزء الأول من العملية، يصبح قادراً بالفعل على إحياء كتلة تعادل ألف ضعف وزنه، عن طريق دمجها مع مادته الخاصة. وبعد أن ارتوى عطشه للمرة الثانية (أي بعد إضافة الإكسير للمرة الثانية)، أصبح قادراً على إحياء كتلة تعادل ألفي ضعف وزنه. إذا تم تشبعه ألف مرة، فسيكون وزنه قادراً على إحياء وزن أكبر منه بمليون مرة، وهكذا إلى ما لا نهاية. يقال إن فيلسوفاً معيناً قام بإسقاط الإكسير ثلاثمائة مرة على الحجر، وبذلك أحيا ما يعادل ثلاثمائة ألف ضعف وزنه الأصلي.

الزيادة الكمية تتناسب مع الزيادة النوعية. على سبيل المثال، إذا تم تعريض كتلة الحجر مرة واحدة للإكسير الأحمر، ثم تم إجراء ست عمليات إذابة متبوعة بست عمليات تخثر عليها، فإن وحدة وزنها الأصلي تتضاعف تسعًا وأربعين مرة، وكل وحدة منها قادرة على إحياء وزن يعادل ألفي ضعف وزنها الأصلي. وهكذا، قبل هذه العملية، كان لدينا وحدة وزن قادرة على إحياء ألف ضعف ما يعادلها؛ هذه الوحدة الآن مضروبة في تسعة وأربعين، وكل وحدة من هذه الوحدات بدورها تضاعف قوة صنع الذهب للوحدة الأصلية، والتي تمثل بالنسبة لها زيادة تقارب مائة ألف وحدة وزن، لأقرب ألفي وحدة (أي تسعين ألفًا بالضبط).

إن مثل هذه العملية ستكون غير قابلة للتصور إذا كان لا بد من تنفيذها على أجسام مادية خاملة؛ من ناحية أخرى، فهي مفهومة تمامًا بمجرد أن تكون الأرواح موضع تساؤل. ولهذا يؤكد الفلاسفة: إنه بالتأكيد جسد، لكن فضيلته وعمله روحانيان. لذا تأكد من فهمك للعلامة، وللعجائب الموصوفة هنا. إن هذا النوع من التجسد هو بالضبط العجب الذي يميز الجسد الروحي لأولئك الذين يعيشون في الجنة. بالتأكيد هي أجسام بكل الصفات والشروط والعمليات التي تنتمي إلى الأجسام؛ ومع ذلك فهي تقوم بجميع الأفعال الخاصة بالعقول والأرواح الخالصة، ولا تستطيع أن تدرك مباشرة ما هي الأرواح والعقول (أي من الملائكة السماوية والملائكة العقولية)

القادرة على الإدراك. وبالمثل، وبشكل متبادل، تدرك العقول بنفسها مباشرة الأشياء التي تدركها النفوس وهذه الأجساد. وبالمثل، فهم يدركون النفوس أيضاً. وهذا هو معنى ما ذكرناه أعلاه: إن طريقة وجود أولئك الذين كانوا في الأسفل مرتبطة بطريقة وجود أولئك الذين هم في الأعلى.

5. الخيال الفعال وجسد القيامة*

الملا صدرا الشيرازي: كما أن الأشكال ثلاثية الأبعاد والأشكال البلاستيكية والأشكال يتم إنتاجها بواسطة موضوع نشط بما يتناسب مع ملاءمة المادة المعينة ومشاركة وعاءها، فإنه قد يكون أيضًا أنها تنتج عن أساس محض، وهو طريقة الموضوع النشط في تصويرها؛ فنشاط الأخير هو السبب الكافي، دون الحاجة إلى مساعدة وعاء، ولا إلى موقعه، ولا حتى ملاءمة مادة معينة مسبقًا.

إن وجود الأجرام السماوية والأبراج يندرج بالضبط في هذه الفئة، لأن وجودها قائم على أعمال التأمل وتمثيلات المبادئ الملائكية؛ 62 وهو ناتج عن "أبعادها" النشطة، كما هو الحال من المعرفة الإلهية للنظام الأكثر كمالاً، دون افتراض أي وعاء أو استعداد للمادة الموجودة مسبقًا. أما إنتاج الأشكال الخيالية المستقلة فيقع الآن في نفس الفئة، حيث يوجد دون أي أساس مادي وبإرادة واحدة تنبثق من الوعي الخيالي. أما الأخير، كما تعلمون، فهو مستقل عن هذا العالم وعن الأشكال المادية التي تدركها الحواس. لا يمكن للمرء أن يقول إنها موجودة من خلال عضو الدماغ، ولا في الكتلة النجمية للأفلاك، كما اعتقد بعض الناس، أو حتى في كون من الصور النموذجية التي يمكن تصورها على أنها موجودة بطريقة أخرى غير النفس نفسها.

الشيخ أحمد الأحسائي: في حديثه عن الصور الخيالية، يقصد الملا صدرا الإشارة إلى أنه في جميع الصور التي تدين بوجودها للنشاط الخالص لفاعلها،

* مقتطفات إضافية من العمل المذكور أعلاه (تعليق على الحكمة العرشية) , ص. 175-76، 179-80، 186-87.

دون أي حاجة إلى افتراض وعاء أو أي مادة مناسبة، يجب أن ندرج الصور الخيالية التي تنتج فقط عن إرادة وقصد وميل الوعي الخيالي. لا تحتاج إلى طبقة مادية أساسية لكي توجد. إنها لا تخضع لشروط مادية ولا لأي نوع من أنواع التقبل. في الواقع، تستمر الأشكال الخيالية بفضل قوة الخيال، لأنه بما أن الخيال النشط هو نفسه قوة نفسية روحية تنتمي إلى عالم الملكوت، فإن جميع الأشكال الناشئة عنه هي من نفس طبيعتها؛ وهذه الأشكال مستقلة عن الحقائق الحسية الخارجية.

إن قوة الخيال تشبه المرآة؛ يكفي أن يكون الشيء أمامها حتى تظهر المرآة شكل هذا الشيء. إذا كان الشيء ينتمي إلى عالم الملكوت، فإنه يتجلى هناك مباشرة؛ وإذا كان ينتمي إلى العالم المادي المرئي، فإن ملكات الإدراك الحسي يجب أن تستخرج الشكل أولاً وتسقطه على البذور الشائعة ،63 الذي ينقله إلى الخيال. كل شخص يترجم ما يُنقل إليه إلى لغته الخاصة، أي أنه يحوله إلى شيء من نفس طبيعة شخصه. وهكذا، إذا كان شيئًا يفلت من الإدراك الحسي، فإن الخيال يأخذ منه شكله "السماوي" الدقيق (ملكوتيات)؛ وقد يقوده إلى كلمة مسموعة أو بعض المعرفة المكتسبة مسبقًا أو بوسائل أخرى.

ولهذا السبب أقول شخصياً أن الأشكال الخيالية ليست مجرد إبداعات للخيال، بل هي إبداعات خالق الخيال، 64 الذي يضعها في الركيزة التي تتوافق معها عند خلق شيء ما. إذا كان ضوءًا، فإنه يضعه في شيء له درجة معينة من العتامة، لأن الضوء لا يمكن أن يوجد في شيء مثل الهواء النقي تمامًا والشفاف. إذا كان شكلاً، فإنه يضعه في وعاء أملس ومصقول، مثل المرآة أو الماء الراكد. إذا كان الضوء والشكل ينتميان إلى عالم آخر غير العالم المادي المرئي، فإنه يضعهما في عالمهما الخاص، الخاص بهما. إن الأشكال الخيالية ليست جزءًا من عالم الأشياء المرئية؛ فهو يجعلها واضحة في مرآة هي من نفس طبيعة العالم. يقول الله تعالى

في كتابه: "وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ". أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ." (67: 13-14).

إن الأشكال الخيالية تنتمي تحديداً إلى ما هو موجود سراً في القلب، والذي أخبرنا الله عنه أنه إذا كان يعلمه، فذلك لأنه هو الذي خلقه. وهنا أيضاً: "وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ" (15 :21). والصور المتخيَّلة كذلك من الأشياء التي يُنزِلها الحقّ من خزائنه بقدرٍ محدّد، إلى محلٍّ مهيّأ للصور ومناسبٍ لها. صحيح، يؤكد الملا صدرا أنهم ليسوا "في طبقة تحتية"، أي في طبقة تحتية جسدية. وذلك لأنه يعتبر أن جميع المفكرين الذين يؤكدون أن للمُثُل طبقة أساسية يقصدون أن الخيال موجود فقط في الدماغ ومن خلاله. ومع ذلك، فإنهم لا يعنون جميعاً أن القدرات النفسية والروحية كامنة في الجسد؛ بل يعني أنها مرتبطة به، ولكن من أجل السيطرة عليه.

وبعد أن تم توضيح هذا الأمر بشكل واضح، يتضح أن الأشكال الخيالية تنتمي إلى عالم الملكوت، وكذلك القوة الخيالية نفسها. إنهم يعيشون من خلال المرآة التي هي الوعي الخيالي. إن "مادتهم" هي الإشراق (الإشراق) الذي يُسقط شكل الشيء المتخيل نفسه. إن "شكلهم" هو التجسيد الحقيقي للمرآة التي شكلها الخيال. المرآة تشمل العظمة والنقاء والبياض، أو أضدادها. لقد سبق لنا أن تذكرنا أنه في السماء الثانية، سماء عطارد، ثلاثة ملائكة، ميمون وشامون وزيتون، لديهم وظيفة التسبب في ظهور الأشكال الخيالية؛ كل من هؤلاء الملائكة لديه عدد كبير من الملائكة في خدمته، والذين، وفقًا لممارسي فن السحر، لا يعرف عددهم إلا الله وحده. يمكن للمرء أن يفترض أن خالق ومنتج الصور الخيالية هو الله نفسه؛ ومع ذلك، وفقًا لقانون عمله الإبداعي، ومن خلال أسباب وسيطة، فقد خلق القدرة الخيالية على شكل مرآة تجعل الصور تظهر عند تلقيها نوعًا من بصمة منها....

الملا صدرا الشيرازي (ص 179-80): القوة التخيلية

في الإنسان - أعني درجة أو مستوى الخيال لروحه "الأنا" - هي مادة موجودة بشكل مستقل، من حيث جوهرها وعملها، عن الجسم المادي الذي هو موضوع الإدراك الحسي والمسكن الملموس. كما قلنا بالفعل، في اللحظة التي يتم فيها إفناء القالب الجسدي، فإنه يبقى - لا يؤثر عليه التدمير والتحلل؛ في لحظة الموت، يمكن أن يتأثر بالحيرة ومرارة الموت بسبب انغماسه في الجسد المادي، ولكن بعد الموت يستمر في رؤية نفسه كإنسان بأبعاد وشكل يتوافق مع تلك التي كانت له في هذا العالم، تمامًا كما يمكنه أن يتخيل جسده خامدًا ومدفونًا.

الشيخ أحمد الأحسائي: إن قوة الخيال بلا شك متجانسة مع النفس، وهي عضو قابل للمقارنة في هذا الصدد بما تمثله اليد للجسم. إن النفس تدرك الأشياء الحسية من خلال أعضائها فقط، لأن النفس تنتمي إلى عالم الملكوت. في الواقع، فيما يتعلق بالنفس، فإن الخيال يشبه نفس سماء الزهرة بالنسبة لنفس سماء الأبراج (سماء النجوم الثابتة، دائرة البروج). "إنه مستقل عن الجسم المادي"، كما يقول الملا صدرا. والآن نود أن نلخص بإيجاز جميع استنتاجات هذا البيان، وفقًا لعقيدتنا. لقد قلنا أن لزيد جسدين وجسمين.65 ونود أن نكمل ما قلناه بالفعل في هذا الشأن، ونضيف في الختام التوضيحات التالية.

الجسد الأول (الجسد أ): ليكن مفهوماً أن هذا هو الجسد المرئي، الجسد المادي اللحمي، المكون من العناصر الأربعة لعالمنا؛ النباتات أيضاً لها جسد في شكلها. بعد الموت، يتم إفناء هذا الجسد تدريجياً في القبر؛ كل مكون من مكوناته الأساسية، عند ذوبانه، يعود إلى أصله، حيث يمتزج به ويضيع فيه؛ الأجزاء الأرضية تعود إلى الأرض، حيث تختلط؛ الأجزاء السائلة والهوائية والنارية تمتزج كل منها مع عنصرها الخاص.

الجسد الثاني (الجسد ب) مخفي في الأول؛ وهو أيضاً يتكون من عناصر، ليس عناصر عالمنا، بل عناصر عالم هورقليا الذي نزل منه. جميع أجزائه المنفصلة والمتصلة تبقى "في القبر"،

لأنها تحافظ على "شكله" بشكل جيد لدرجة أن جميع أجزائه تظل متصلة بشكل مثالي. هذا الجسد الذي يحافظ على شكله المثالي "في القبر" هو ذلك "الطين" الذي لا يفنى والذي كان الإمام جعفر الصادق يفكر فيه عندما أعلن: "الطين الذي تكوّن منه لا يزال موجودًا بشكله المثالي في القبر". ما يجب أن نفهمه من الكمال الدائم لهذا "الشكل" هو أن الأجزاء التي تشكل الرأس، والتي تتوافق مع "شاهد القبر" في المقبرة، تظل متصلة بعناصر الرقبة، والتي تظل مرتبطة بعناصر التمثال النصفي، والتي تظل متصلة بأجزاء البطن، والأخيرة بالساقين، حتى لو التهم وحش بحري أو وحش بري جسد اللحم المادي (الجسد أ) أو إذا تم تشويهه، وتناثرت أجزاؤه في أماكن مختلفة، أو حتى أعيد تجميعها بشكل خاطئ.

عندما تنفصل عناصر هذا الجسد غير المرئي (الجسد ب) وتتحرر من الجسد المادي المكون من العناصر الأدنى، فإن هيكله بالكامل يظل دون تغيير "في القبر". 66 والأكثر من ذلك، حتى لو لم يتم دفن الجسد المادي في القبر، فإنه يحتفظ بهذا الهيكل. فعندما نتحدث عن هذا الجسد الآخر، فإن ما يجب أن نفهمه من كلمة "القبر" (إنها ليست المقبرة) هو المكان الأصلي، الرحم 67 الذي تم استخراج "الطين" منه وخلطه الملاك بالسائل المزدوج الصادر من الأب والأم. وبما أن هذا "الطين" غير قابل للفساد، فإنه سيعمل على تجميد المياه المتدفقة من محيط السعد (الواقع أسفل العرش) عندما يحين الوقت لكي يهتز نفس الصحوة العظيمة في النفخة الثانية للصور. هذا هو الجسد، هذا الجسد الروحي، الذي ستتخذه الروح في يوم القيامة العظيمة.

ربما ستقول، كما قال غيرك من قبل، إن المعنى الظاهر لشرحي هو استبعاد إمكانية "عودة" الجسد الأول (الجسد أ، الجسد العنصري من اللحم الفاني)، وأنه يجب الموافقة على أطروحة إنكار ورفض القيامة الجسدية.68 في هذه الحالة، أود أن أشير إلى أنه عند الحديث عن الجسد الثاني (الجسد ب، جسد القيامة)، فإن هذا هو نفسه الجسد المرئي والملموس اليوم. لكن، على وجه التحديد، لكي يكون "جسد القيامة"،

يجب أن يكون قد تم تحطيمه وسحقه وإعادة تشكيله في شكل يستبعد كل الفساد والشيخوخة، في حين أن الشكل الأرضي الحالي قد تلاشى إلى الأبد. هذا الشكل الخارجي، الذي زال إلى الأبد، والموصوف بأنه مركب من العناصر الأرضية، هو الذي أشار إليه إمام المؤمنين (الإمام الأول) في الحديث المتعلق بالنفوس، المذكور أعلاه، حيث صرح بشأن النفس النباتية في الإنسان: "عندما تنفصل، تعود إلى أصلها، لتختلط هناك وتضيع، لا لتستمر هناك بشكل مستقل." باختصار، نعني بالعنصر الأول الجسد (الجسد أ) العوارض الأرضية. فعندما نزل الجسد الثاني (الجسد ب، الجسد الروحي المصنوع من عناصر هورقليا، جسد القيامة) إلى هذا العالم، التصقت به العوارض الناجمة عن العناصر، تمامًا كما هو الحال عندما ترتدي ثوبًا لبعض الوقت، تلتصق به الأوساخ ولكنه ليس جزءًا منه. كل ما عليك فعله هو غسله وستختفي هذه العوارض، ولن يفقد الثوب شيئاً مما جعله على ما هو عليه. لذلك، تأملوا وافهموا تعاليم أئمتكم ومرشديكم الروحيين.

أما بالنسبة للجسم الأول (الجسم أ، الجسم النجمي المصنوع من التدفق من سماوات هورقليا)، فقد قلنا إنه بهذا الجسم تغادر روح "الأنا" الجسم المادي العنصري (الجسد أ) عندما يأخذه ملك الموت. يستمر الجسم النموذجي (الجسم ب) في الوجود مع هذا الجسم الفعلي، حيث يكون الأخير هو جامع طاقاته في العالم الوسيط أو البرزخ (حتى النفخة الأولى للصور، أي حتى التوقف الكوني العظيم). عندما يتسبب نفخ إسرافيل في اهتزاز الصور لأول مرة، تتخلص الروح من الجسم أ ويختفي. في الواقع، هذا الجسم هو أيضاً عرضي، مثل الجسد الأول (الجسد أ، الجسد المادي الأولي)، ولكنه في حالته عرضي للعالم الوسيط أو البرزخ؛ وهو أيضاً شكل يشبهه الإمام جعفر، كما ذكرنا سابقاً، بالطوبة المكسورة؛ فعندما تتحول إلى غبار، يختفي شكلها الأول إلى الأبد؛ ولكن عند إعادة وضعها في القالب، تظهر مطابقة لنفسها من ناحية، ولكنها مختلفة من ناحية أخرى. كما قال الله تعالى في كتابه: "كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ." بكل إنصاف، لا يمكن منحهم جلدًا

آخر غير جلدهم: فهذا سيكون بمثابة عقاب على خطأ غير موجود، أو إجبارهم على تحمل العقاب بسبب خطأ شخص آخر. لا، إنه بالفعل الجلد الأول. ومع ذلك، بما أنه قد تم استهلاكه، فإن شكله الأول، الذي كان عرضيا، قد اختفى إلى الأبد. لذلك، عندما يعود، يصح القول إنه مختلف إذا أخذنا في الاعتبار التغيير والاستبدال والتجديد في الشكل؛ بينما إذا أخذنا في الاعتبار مادته، فإنه يبقى هو نفسه.69

ولهذا السبب يمكننا تلخيص الأمر على النحو التالي: إن الجسد الأول (الجسد أ) هو الشكل الذي ينتمي إلى العناصر الأدنى. الجسم الأول (الجسم أ) هو الشكل الذي ينتمي إلى العالم الوسيط أو البرزخ؛ والأخير هو النموذج الأصلي للأول. عندما تكسر ختمك وتعيد تشكيل ختم آخر، مشابه للأول، من نفس المادة، فإن النفس لم تفقد شيئًا جوهريًا، لأنها بالتأكيد هي نفسها؛ لكنها تخلت عن عرض واحد واكتسبت عرضًا آخر. إن العرض الأول سيتوافق هنا مع الجسد أ (الجسم المادي) في هذه الحياة الحالية، في حين أن العرض الثاني سيكون مماثلاً لـ الجسم أ، الجسم النجمي في العالم الوسيط، أو البرزخ. إن "أنا" النفس تختلف عن الجسد أ العنصري، الذي يفنى بعد الموت؛ كما أنها تختلف عن الجسد ب الخالد (الجسم العنصري لهورقليا، جسم الجسد الروحي)، وتختلف أخيرًا عن الجسم أ (الجسم النجمي، الذي لن يظهر مرة أخرى من لحظة عودة الجسد ب في القيامة العظيمة). أما بالنسبة للجسم ب (الجسم الأصلي الأساسي أو النموذجي)، فهو يبقى مطابقاً لنفسه إلى الأبد. إن الخوض في هذا بالتفصيل سيستغرق وقتاً طويلاً؛ يكفي أن نتذكر شيئاً أساسياً واحداً سيقودك إلى معرفة أشياء أخرى كثيرة.

لذلك سنضيف ما يلي: عندما تتخلى الروح "الأنا"، التي يجمعها ملاك الموت ويحملها بعيدًا، عن جسدها النجمي (جسم أ)، 70 فإنها ستختفي أيضًا، ولكن فقط خلال الفترة الفاصلة (الفاصلة الكونية) بين "نفختي الصور". عندما نتحدث عن اختفائها، فإن ما نعنيه في الواقع هو أنه عندما يجمع ملك الموت الروح "الأنا" من جسدها المادي (الجسد أ)، فإن هذه الروح "تذهب بعيدًا" مع الحفاظ على بنيتها الأصلية قبل الأرضية

(الجسم ب) سليمة، وأنها تبقى في البرزخ في حالة اليقظة وبكامل الوعي.

وكما قال الإمام جعفر، عند تعليقه على هذه الآية الوصفية

(79: 13): "فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ".

إن أول نفخة لصور إسرافيل هي التي يشار إليها باسم "النفخة النارية"؛ إنها بمثابة شهيق يسحب الأرواح من أجل إعادة امتصاصها في صور إسرافيل. تعود كل روح "الأنا" إلى مصفوفة خاصة به، ممثلة رمزياً كواحدة من "الثقوب" المثقوبة في طول الصور؛ هذا هو المكان الذي تم استخراجها منه في الأصل، المكان الذي خرجت منه من أجل النزول نحو الأجساد في وقت وجودها السابق. تتألف المصفوفة نفسها من ستة مساكن أو أماكن إقامة: في الأول منها يتم نفخ صورة أو شكل النموذج الأصلي للروح "الأنا"؛ ومادتها الدقيقة المتجانسة في الثاني؛ وفي الثالث، طبيعتها المضيئة المقابلة للعنصر الناري؛ وفي الرابع، نفسها المقابلة للعنصر السائل؛ وفي الخامس، روحها الخاصة، المقابلة للعنصر الهوائي؛ وفي السادس، عقلها المتجانس. عندما نتحدث عن اختفائها، فإننا نشير إلى هذا الانفصال والتفكك للمبادئ الستة المكونة (لجسمها الأساسي، الجسم ب). عندها، لم تعد روح "الأنا " تحمل وعي أو شعور. خلال هذه الفترة الانتقالية، لا تذوب المبادئ التأسيسية الستة في الخليط، لأن كل منها يحتفظ بواقعه الخاص؛ فهي تبقى كما لو كانت جنباً إلى جنب في استقلاليتها الخاصة.

عندما تنوي الإرادة الإلهية تجديد الخلق وجعل بذور الوجود السابق تنبت، يُؤمر إسرافيل بنفخ أنفاس الصحوة العظيمة في الصور. وعلى عكس "الصوت المشتعل"، فإن هذا عبارة عن نفس دافع. بدخولها المسكن السادس، يدفع العقل نحو الروح في المسكن الخامس؛ ثم يدفع العقل والروح معًا نحو النفس في المسكن الرابع؛ ثم يدفع الثلاثة معًا، العقل والروح والنفس، نحو الطبيعة النورانية في المسكن الثالث؛ ثم يدفع الأربعة معًا نحو المادة الدقيقة المتجانسة .

في المسكن الثاني؛ وأخيرًا تدفع الخمسة معًا نحو الصورة أو الشكل النموذجي في المسكن الأول. ثم تجد الروح "الأنا" مرة أخرى تركيبها وبنيتها، ووعيها وقدرتها على الشعور.

من ناحية أخرى، قبل اهتزاز نَفَس الصحوة العظيمة، ينزل ماء بحر السعد، الواقع أسفل العرش، ويهطل مطراً على سطح الأرض. ثم يعمل الجسد ب، الجسد الروحي المصنوع من عناصر هورقليا، كـ "مركبة" للشكل الجديد، "العرض الثاني" المشار إليه أعلاه. بعد اكتمال هيكله، تدخله روحه "الأنا" هذا هو المقصود عندما يتم ذكر "شاهد قبر الانفجار" بشكل رمزي. فحينها ينهض الفرد في هيئته الخالدة، وينفض غبار الأرض عن رأسه. "كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (7:28)"، كما قيل. إذن، لدينا هنا بإيجاز شديد جميع النقاط التي نرغب في تغطيتها عند الحديث عن الكائن الجسدي الرباعي للإنسان: جسد عنصري مزدوج، أحدهما عرضي (الجسد أ العنصري، الجسد المادي الفاني)، والآخر جوهري (الجسد ب، الجسد المصنوع من عناصر هورقليا، الجسد الروحي الخالد)؛ وجسم مزدوج، أحدهما عرضي (الجسم أ، الجسد الأثيري) والآخر جوهري (الجسم ب، الجسد النموذجي الذي لا ينفصل عن روح "الأنا").

في هذه الصفحات، التي كُتبت رداً على المقطع الذي يؤكد فيه الملا صدرا أن القوة الخيالية باقية، لخص page الشيخ أحمد الأحسائي كامل فسيولوجيا جسد القيامة، والتي بدونها لن يكون لتأكيد الملا صدرا أ Shaikh هما لا شك فيه أن إحدى النقاط المهمة للغاية هي تلك التي يتم فيها وصف الشكل بأنه عارض يزول دون عودة، في حين أن المادة، عنصرها الدائم في حالاتها المختلفة، هي "التي تعود"؛ وهذا على وجه التحديد لأن الشكل الجديد يعني التحول، أي تحول المادة "العودة" إلى حالة المادة الروحية غير القابلة للفساد. من الواضح أنه يجب أخذ المصطلحات الخاصة بالشيخ أحمد في الاعتبار. خلفاءالملا صدرا -على سبيل المثال، هادي سبزواري في القرن الماضي (توفي عام 1878) - أخطأوا في بعض الأحيان في فهم وجهة نظره، كما يتضح من بعض الانتقادات التي لا ترقى إلى المستوى المطلوب. على أي حال، فإن الترجمة أدناه هي أفضل توضيح لما يعنيه أحمد الأحسائي؛ وهي أيضًا أفضل

الشيخ أحمد الأحسائي، 5§

اقتباس من أحد الأعمال العظيمة التي كتبها أحد خلفائه البارزين على رأس مدرسة الشيخية. .

أما بالنسبة للشكل، فإذا كنتُ أخالف رأي مولا صدرا، فأقول إنه عرضي وليس "ما يعود"، وذلك لأن الشكل هو تأكيد للمادة. إن ما "يعود" في الواقع هو المادة في شكل معين، ولكن هذا الشكل هو تحديداً عمل الفرد. حتى لو خضعت المادة للتحول، وتبادلت نوعًا بآخر من حيث الأشكال المقابلة لأفعال الشخص، فإن ما يعود، والذي "يعود إلى الحياة مرة أخرى"، هو بالضبط ما يتخذ شكلاً، وليس، كما يعتقد مولا صدرا، الشكل نفسه. فعلى سبيل المثال، تم خلق المظهر الخارجي لزيد في البداية على شكل إنسان، وذلك فقط بسبب الإجابة الإيجابية التي قدمها في الأزل على السؤال "ألست أنا ربكم؟" (7: 171) . *"71* إذا أوفى بالعهد الذي دخل فيه وعمل وفقًا لذلك، فإن *"*طبيعته الباطنية*"*، أي الإنسان الداخلي، تُخلق أيضًا في صورة بشرية، بفضل عمله. إنه يموت حقًا ويعود إلى الحياة كإنسان، لأنه حينها تصبح مادته المتجانسة، من خلال عمله، متجانسة بالمعنى الحقيقي لمادة الواقع الإنساني.

من ناحية أخرى، إذا خان عهده واتبع أهواءه الشريرة برضا، فإن جوهره سيتخذ شكلاً يتناسب معه، شكل وحش، على الرغم من أنه سيستمر ظاهرياً في اتخاذ شكل إنسان، وهو ما سيكون بمثابة حجاب أمام الله، واختباراً لأولئك الذين يظلون أوفياء للعهد. وهكذا تقول هذه الآية: "إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (20: 15-16)". عندما يموت ويختفي شكله البشري الخارجي "في القبر" ويذهب إلى العرش (أي ينسحب إلى هورقليا)، فإن شكل الحيوان يظهر فيه على الفور، لأنه شكل عمله نفسه، حيث أصبحت مادته المتجانسة متاحة الآن لهذا الشكل الذي يطابقه. سيعود إلى الحياة كحيوان، لأن عمله الشخصي سيجعل هذه المادة التي تخصه شيئًا متجانسًا مع مادة الحيوان. إن المادة، في الواقع،

- * مقتطف من الصفحتين 186-187 تابع.

هي الجوهر الذي يتم توفيره من أجل ما قام به وبواسطته، ويتم تشكيلها من خلال شكل عمله نفسه.

في عالم الأسباب الجوهرية، أجاب زيد ظاهرياً بـ "نعم" على السؤال المطروح في يوم العهد الأبدي، بينما كان اختياره سراً يقع على عاطفته الخاصة. 72 ويبدو أنه اختار بشكل صحيح عندما أجاب بالإيجاب على السؤال الذي طُرح عليه. لكن على الرغم من أن اختياره كان كافياً لحثه على بذل الجهد، إلا أن حالته الذهنية السرية طغت على الإجابة المطروحة. فقد كانت هذه الإجابة بالتأكيد على شفتيه، لكن ميله الخفي كان يناقضها. بعد أن نزل إلى هذا العالم، وبعد أن أُظهر له الجهد الذي كان عليه بذله مرة ثانية، تبدد كل شيء في الشك والارتباك. وقد تم تأكيد قضيته بالآية التالية: "المأَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ" (7: 99).

وهكذا، فإن الفكرة السرية التي تتناقض مع الإجابة التي تم صياغتها آنذاك، كانت بمثابة أساس العمل الذي قامت به العاطفة الشريرة لاحقاً. ولهذا السبب فإن هذه الفكرة السرية هي بالتأكيد "الطين" الذي خُلق منه زيد بأعماله الخاصة، ولا يمكنه إلا أن ينهض من جديد به. لأنه في اللحظة التي تناقض فيها فكره السري مع إجابته، فإن "طينه"، أي المادة الجوهرية لوجوده، قد تم تشكيله بواسطة هذا الفكر على هيئة حيوان، ليصبح من الآن فصاعدًا المادة الوحيدة المتاحة لإنبات عقله الأساسي. لذلك عندما نزل إلى هذا العالم، وعندما استقر هناك وفقًا لاختياره، وعندما أتمّ اختياره بالتكرار وببذل جهده فيما كان قد بدأه بالفعل في عالم الأسباب الجوهرية، انكشف ما كان موجودًا في أفكاره السرية في ضوء النهار، وأظهر أعمال طبيعته الحيوانية.

ولهذا السبب أيضًا تم إحياؤه في حالة حيوانية، حيث أن كل مادته المتجانسة قد تشكلت من خلال أعماله، والتي كانت متجانسة مع الطبيعة الجوهرية للحيوان. ففي الحقيقة، الشكل هو تكوين المادة؛ لذلك فهو تكوين الشيء "الذي يعود"، وليس الشيء نفسه. ولهذا السبب يقارن الإمام جعفر ذلك بالطوبة

المصنوعة من طين الخزاف والتي يتم كسرها، ثم يتم وضعها مرة أخرى في القالب. إنها بالفعل نفس الطوبة، ومع ذلك فهي طوبة أخرى: المادة هي نفسها، لكن الشكل مختلف. كل فرد، عند إحيائه، يتخذ الشكل الذي استقر، بفضل أعماله، في أكثر أجزائه سرية (ص 227).

10

الشيخ الحاج محمد كريم خان الكرماني، الخليفة الثاني للشيخ أحمد الأحسائي

(توفي عام 1288/ 1870)

1. بأي معنى يكون جسد المؤمن أرض جنته؟

وبما أن هناك في هذا العالم عوارض معينة ليست متأصلة في جسم الإنسان وليست جزءًا لا يتجزأ منه، فيجب أن تفهم أن مثل هذه العوارض لا يجب أن تتكرر مع الإنسان. إن الجسد الوحيد الذي يُبعث من الموت هو الجسد البشري في حالته الفردية والنموذجية؛ وهذا هو الجسد الذي يحدث له كل ما يُعرف باسم "الثواب" أو "العقاب". يستمر هذا الجسد خلال جميع المراحل المتعاقبة من الطفولة المبكرة وحتى لحظة الموت. أو بالأحرى، إنه موجود بالفعل في بذرة الإنسان وفي جميع المراحل المتعاقبة: الجنينية، ولحظة الولادة، والتنفس الأول، وما إلى ذلك. إنه جسم له طول وعرض وعمق ولون وشكل وبنية، تمامًا مثل الأجسام الأخرى، إلا أنه يتمتع بميزة، كنموذج أصلي، في الاحتفاظ بهويته، في حين أن جميع عوارض هذا العالم الأرضي عابرة، تظهر وتختفي. هذا الجسد هو جسد القيامة، وهو الجسد المشار إليه عندما يقال إنه يدخل الجنة أو الجحيم.
•2

لكن هنا يظهر موضوع دقيق يتطلب شرحاً. يعتمد هيكل الجسد النموذجي للإنسان على أعماله وعلى الشعور الذي يعلنه تجاه العالم وتجاه الله. عندما يكون الإيمان الأعمق الذي يعلنه حقيقياً، وعندما يكون سلوكه فاضلاً ونقياً، ومتناغماً

. مقتطف من كتاب "إرشاد العوام (التعليمات الروحية للمؤمنين، كرمان، 1354/1935، المجلد الأول، الجزء الثاني، الصفحات 48-49، 66-68، 271، 277، 282-286. هذا العمل مكتوب بالكامل باللغة الفارسية.[1]

مع الدين النقي لرسول آخر الزمان، فإن شكل جسده الروحي البدائي يكون حقاً شكلاً بشرياً. 3 ففي الواقع، يتوافق الشكل البشري مع الإرادة الإلهية كما يتوافق الضوء مع مصدره. ترى، على سبيل المثال، كيف يتوافق ضوء الشمس مع شكل الشمس، وضوء القمر مع شكل القمر، وضوء المصباح مع شكل المصباح. لذلك فإن نور الإرادة الإلهية يتوافق بالضرورة مع شكل تلك الإرادة. ولهذا السبب يتخذ الإنسان، الذي هو نور الإرادة الإلهية، هذا الشكل بالذات.

إن الإرادة الإلهية هي محبوبة الله - موضوع حبه؛ وبالتالي فإن طبيعتها وطريقة وجودها تتوافق مع الحب والرغبة الإلهية. أو بالأحرى، هذه الإرادة هي ما يمثله الحب الإلهي نفسه. يتم دمج الظلين المعانيين اللذين تعبر عنهما المصطلحات العربية للإرادة (مشيئة) والرغبة (إردة) في اللغة الفارسية في كلمة واحدة تعبر عن فكرة الأمنية كإرادة ورغبة في آن واحد (خواهش). إن الإرادة الإلهية هي مشيئة الله، ومشيئة الله ليست سوى محبته، لأن الله لا يستطيع أن يريد شيئاً آخر، أو أن يتمنى شيئاً آخر غير محبته. وبالتالي، فإن الإرادة الإلهية والرغبة الإلهية مجتمعتين تتخذان شكل الحب الإلهي. أما الشكل البشري، من ناحية أخرى، كونه نور الإرادة الإلهية، فإنه يتخذ شكل الإرادة نفسها. ولهذا السبب فإن الشكل البشري هو محبوب الله، وموضع الحب الإلهي.

وهكذا نفهم أن الله لا يقدّر للإنسان إلا ما هو موضع حبه، ولا ينهيه إلا ما يكرهه. ولهذا السبب فإن جميع وصفات النبي تتوافق مع الحب الإلهي. الحب الإلهي هو الشكل الحقيقي للإرادة الإلهية التي هي رغبة الله، وأعز رغباته. ويترتب على ذلك أن الدين النبوي متناغم مع شكل الإرادة الإلهية. وهكذا فإن تشكيل الكيان الداخلي لمن يتصرف وفقًا لهذا الدين يتخذ شكل الإرادة الإلهية، التي هي موضوع الحب الإلهي، أو بالأحرى هو ذلك الحب نفسه. لذا، سيكون مثل هذا الرجل محبوبًا عند الله، وهذا تحديدًا ما أمر الله نبيه بتعليمه للناس: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ".

(31:3) ." وهكذا، فإن اتباع النبي هو ما يجعل الله محباً للإنسان. واتباع النبي يعني أن تتخذ من النبي الكريم مثالاً في طريقة

وجودك وتصرفاتك؛ أي أن تتخذ من النبي مثالاً في شكل وجودك. فمن يشكل ظاهره وباطنه على مثال النبي، فهو بالتأكيد ولي الله وحبيبه، لأن من يجعل نفسه شبيهاً تماماً بولي أحد، يصبح هو أيضاً ولي ذلك الشخص. والنبي هو حبيب الله، لأنه يتخذ صورة مشيئة الله، صورة إرادته ورغبته...

(ص 66-68) جنة المؤمن هي جسده.4 أعماله الصالحة، على النحو الموصوف سابقًا، هي أشجارها ومياهها الجارية العذبة وقلاعها وحورها. 5 إن جهنم الكافر ليست سوى جسده؛ وأعماله الكريهة هي أفرانها الملتهبة، والوحوش، والأفاعي، والكلاب، والتنانين، وما إلى ذلك. ربما تعتقد أنني، تحت ستار التفسير الروحي، أقوم بتحويل كل شيء إلى مجرد رمزية؟ ربما تتساءل كيف يمكن لجسم الإنسان المؤمن، وهو جسم بشري صغير، أن يكون جنة، في حين أن المؤمن المخلص موعود بجنة أكبر من هذا العالم بألف مرة؟ وكيف يمكن أن يكون جسد الرجل الفاسق هو جهنمه، في حين أن الجحيم هائل ويوصف بأنه يحتوي على هاوية وجبال نارية؟ حاشا لله أن يتحدث فيلسوف بلا قافية ولا منطق! لذا انتبهوا جيداً، لكي تفهموا حقيقة ومعنى الموضوع الذي نناقشه هنا.

لقد سبق أن فهمتم أن المؤمن المخلص يمتلك جسداً معيناً، يتضمن شيئاً عرضياً. كل ما يمكن رؤيته في هذا العالم الأرضي بواسطة أعضاء الإدراك الجسدي هو عرضي، مجرد تلوين ومظهر يمر عبر حالات متتالية تظهر وتختفي دون أن يكون بأي حال من الأحوال جزءًا لا يتجزأ من الجسم الأساسي أو النموذجي. هذا الجسد الذي تراه الآن، بأبعاده المادية الدقيقة، هو الجسد العرضي؛ وليس بأي حال من الأحوال جزءًا لا يتجزأ من الجسد الجوهري. أما بالنسبة للجسم الأساسي أو النموذجي، على سبيل المثال جسد زيد، فإنه يتشكل وفقًا لمدى معرفته، وقدرته

على الفهم، ووعيه الروحي، وسلوكه الأخلاقي؛ فكلما تطور وعيه الروحي، ونبل سلوكه الأخلاقي، كلما كان جسده الأساسي أكثر دقة. الآن، كلما أصبح هذا الجسم أكثر دقة، كلما ازداد حجمه أيضاً. وبهذا المعنى، يُقاس حجم جنة المؤمنين المتمرسين بمعرفتهم ووعيهم الروحي وسلوكهم الأخلاقي. كلما كانوا أكثر "معرفية" وإيماناً وكمالاً، كلما بدت جنتهم أوسع، وكلما نما جسدهم. قد يكون حجم جنة أحد المؤمنين المخلصين سبعة أضعاف حجم هذا العالم الأرضي؛ وفي حالة آخر قد يكون أكبر بعشر مرات، وبالنسبة لآخر مليون مرة. يُنشئ كل منهم لنفسه مسكناً يتناسب مع قدرة طاقته الروحية.6

ولهذا السبب فإن الجسد الأساسي أو النموذجي للمؤمنين المتفانين هو أرض جنتهم، تمامًا كما أن الجسد الأساسي للرجل الفاسق هو أرض جهنمه. إن ضيق المكان، وقذارته البشعة، وظلامه الكثيف، والمعاناة التي يتحملها هناك، تتناسب مع كفره وانفصاله عن الواحد الأحد. 7 حاول أن تفهم ما أقصده. هذا موضوع دقيق للغاية: لا أحد يستطيع الهروب من نفسه، أو الخروج من ذاته؛ لا أحد يصبح شخصًا آخر غير نفسه؛ لا شيء يصبح شيئًا آخر غير ذاته.

لا تقل لنفسك إن الحالة التي وصفتها للتو ليست هي بالضبط تلك التي كشفها لنا الوحي الإلهي. أشهد الله! الجنة تزخر بالحور العين، والقصور، والنباتات الخضراء، والمياه العذبة الجارية، بلا حدود - كما هو موصوف في الكتاب السماوي - ولكن ليس كما تصورها خيالاتكم.8 لسنا أمة خيالكم؛ بل نحن أمة النبي، نتبع كتاب السنة. ألا تدرك أنه عندما تسمع كلمة شجرة في القرآن، فإنك تتخيل في نفسك أشجارًا تشبه تمامًا أشجار هذا العالم؟ والآن، هناك آية تقول: "قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ" (69: 23)، مما يعني أن قمة أشجار الفردوس في الأسفل. يقول قداسة أمير المؤمنين، إمامنا الأول، في معرض تعليقه: "أشجار الجنة هي عكس أشجار هذا العالم. أشجار

الجنة جذورها في الأعلى وفروعها في الأسفل. 9 عندما تسمع عبارة "الماء الجاري العذب" تتخيل مجرى مثل مجاري هذا العالم، بينما يقال إن تَسْنِيمٍ (انظر 83: 27) يدخلون مساكن سكان الجنة من الأعلى. لذلك، من واجبي أن أتعامل مع هذه الأسئلة بما يتوافق مع الكتاب المقدس وتقاليدنا، وليس وفقًا لخيالك.

لذلك أعلن أن الجسد الأساسي أو النموذجي للمؤمن المتمرس هو نفسه جنته. هو نفسه داخل جنته الخاصة، في هذا العالم كما في الأبدية الآتية. إن الجسد النموذجي للرجل الفاسق هو نفسه جهنمه؛ فهو يسكن في جحيمه الخاص، في هذا العالم وكذلك في العالم الآخر. ألم تسمعوا أن "الطين" الذي يُصنع منه المؤمن الصالح ينتمي إلى أرض الجنة، بينما "طين" الرجل الفاسق ينتمي إلى أرض جهنم؟ بحيث تكون أرض الجنة هي الجنة، وأرض جهنم هي جهنم. أما فيما يتعلق بالجنة أو النار، فلا يمكن إعطاء كل فرد إلا ما هو قادر على تلقيه، وهو من نفس طبيعة "الطين" الذي صنع منه. لا أحد مؤهل لتذوق ثواب أو عقاب يتجاوز حدود قدراته. منذ اليوم الأول، مُنح كل واحد منهم اليوم الأخير. إذا كان، في العالم ما قبل الأرضي، عالم الأسباب الجوهرية، من أتباعه المخلصين، فإنه كان حينها وهناك جديراً بالمكافأة، وقد مُنح حصة متناسبة من أرض الجنة. أما إذا كان يستحق العقاب، فقد مُنح حصة متناسبة من أرض جهنم. لا يصبح أي مؤمن مخلص أكثر إيماناً في هذا العالم مما قرره بنفسه في العالم الآخر. لا يصبح أي شخص فاسق أكثر فجوراً مما قرر في العالم ما قبل الأرض. يُعطى كل واحد حسب إيمانه أو كفره. تأملوا فيما أقوله حتى لا يقع أي منكم في سوء فهم، لأن هذا سؤال دقيق. 10

مع ذلك، يجب أن نذكر أن الجنة تتكون من ثماني درجات، وأن جهنم تتكون من سبع درجات. كثير من المؤمنين المخلصين في الدرجة الأولى من الجنة؛ وكثير منهم في الدرجة الثانية، وهكذا حتى الدرجة الثامنة. وعلى العكس من ذلك، فإن العديد من الفاسقين موجودون في الدائرة الأولى من الجحيم؛ وكذلك

في الثانية والسابعة. والسبب في ذلك هو أن رب العوالم قد دمج ثماني "حفنات من السماء" في الجسد النموذجي للمؤمن، ثماني "حفنات" من المادة البدائية التي تنتمي إلى سماوات كونِه، كما أوضحنا سابقًا. يحتوي جسده على حفنة من المادة الدقيقة للسماء الأولى (سماء القمر)، وروحه (الروح الحيوية) مصنوعة من هذه "الحفنة من السماء"؛ حفنة من المادة الدقيقة للسماء الثانية (سماء عطارد) وقوته التأملية مصنوعة من هذه "الحفنة من السماء"؛ وقوته الخيالية مصنوعة من حفنة من السماء الثالثة (سماء الزهرة)؛ حفنة من السماء الرابعة (سماء الشمس) تشكل "مادته الجوهرية": حفنة من السماء الخامسة (سماء المريخ) تشكل ملكته التمثيلية؛ حفنة من السماء السادسة (سماء المشتري) تشكل قوته المعرفية؛ حفنة من السماء السابعة (سماء زحل) تشكل عقله الفردي؛ حفنة من السماء الثامنة (سماء النجوم الثابتة، الكرسي، الفلك) تشكل نفسه. وأخيرًا، يحتوي جسده على حفنة من المادة الدقيقة للعرش (العرش، السماء)؛ ومن هذا تتشكل حقيقته الجوهرية والأساسية. 11

وبالتالي، عندما يطيع المؤمن روحه الحيوية، ولا يظهر فيه شيء أعلى من ذلك، فإن هذا المؤمن يكون في المستوى الأول من الجنة. عندما يطيع قوته التأملية، يكون في المستوى الثاني من الجنة وهكذا: أي مستوى يطيعه في نفسه، والذي يتجلى فيه ويحدد رتبته الروحية، هو أيضاً رتبته في الجنة، على المستوى المقابل له. إنه ينتمي إلى العائلة الروحية الموجودة على هذا المستوى. كل مستوى أعلى، مقارنة بالمستوى الأدنى، واسع للغاية لدرجة أنه إذا قارن المرء المستوى الأدنى بالمستوى الأعلى، فسيبدو الأخير وكأنه دائرة الأفق الناشئة عند حدود الصحراء الشاسعة. هذا صحيح إلى درجة أن أدنى مستوى على الإطلاق

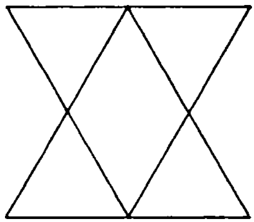
لا يزال أعلى بسبعين 12 مرة من عالمنا الأرضي.

وبالمثل، يتألف جسد الرجل الفاسق من سبع "حفنات من التراب"، سبع حفنات من مادة دوائر سِجِّين.13 الأولى تنتمي إلى أرض الموت،

والثانية إلى أرض الميول الفطرية، والثالثة إلى أرض الطبيعة، والرابعة إلى أرض الشهوة، والخامسة إلى أرض الغضب، والسادسة إلى أرض الانحراف، والسابعة إلى أرض الرجس. لذلك، في حال كان مصدر الموقف السلبي للرجل الفاسق هو "حفنة التراب" الأولى من كيانه، ولم تتجلى الثانية فيها، فإنه يسكن في الدائرة الأولى من جهنم. إذا كان المصدر هو المجموعة الثانية، ولم يظهر الثالث فيها، فإنه يسكن في الدائرة الثانية من الجحيم. وهكذا دواليك: فمع استمرار الهبوط، تصبح كل دائرة أضيق فأضيق، وأكثر بؤساً، مقارنة بالدائرة السابقة. وهكذا، يستمر كل واحد وفقاً لطبيعته الأساسية، حتى يعود إلى أصله...

(ص 27 1) اعلم أن للمخلوق وجهين أو بعدين؛ أحدهما وجهه أو بعده الإلهي، والآخر هو وجه أو بعد ذاته. إن المقصود بالوجه أو البعد الإلهي ليس أن المخلوقات هي الله، بل أن لها وجهاً أو بعداً تجاه الله وهو النور والخير والكمال، لأن كل مخلوق هو أثر ولد من الإرادة الإلهية، وبما أن الإرادة الإلهية هي النور والخير والكمال، فإن الأثر يشبه بطبيعة الحال ما طبعه. أما الوجه الآخر أو البعد الآخر للمخلوق فهو وجهه نحو نفسه، وهذا البعد هو الظلام والشر والنقص. جميع المخلوقات مصنوعة بهذين الوجهين أو البعدين. ومع ذلك، كلما اقتربت المخلوقات من الإرادة البدائية، كلما كان نورها أكثر وفرة وظلامها أكثر ندرة. من ناحية أخرى، كلما ابتعدوا عن تلك الإرادة البدائية، كلما ازداد ظلامهم كثافة وضعفت نورهم. من ناحية أخرى، كل شيء يكون نورًا على المستوى الذي يتزامن مع أقرب نقطة إلى الإرادة البدئية؛ هناك، نسبة الظلام ليست سوى نسبة ذرة غبار، وتأثيرها مستنفد؛ إنها مجرد قطرة ماء ضائعة في المحيط. من ناحية أخرى، كل شيء مظلم في المستوى الأبعد عن الإرادة البدائية؛ هناك، لا تبقى سوى ذرة واحدة من الضوء [الشكل 3].

يمكن تمثيل النور والظلام في شكل مثلثين متقاطعين، كما اقترح الرسم المبين أدناه.



الشكل 3.

المثلث العلوي هو مثلث النور؛ قاعدة هذا المثلث (في أعلى الرسم التخطيطي) هي النور القريب جدًا من الإرادة البدائية؛ في نقطة واحدة يلامسها أحد رؤوس مثلث الظلام. قاعدة المثلث السفلي

- وهو مثلث الظلام هذا - تقع في أقصى مسافة من الإرادة البدائية؛ وتلامسها نقطة واحدة قمة مثلث النور. لذلك، كل شيء نور قريب جداً من الإرادة البدئية؛ لا يوجد سوى أثر ضئيل من ذرة الظلام. لكن مع الحركة الهابطة، يتضاءل الضوء تدريجياً بينما يزداد الظلام، حتى يسود الظلام في النهاية؛ ولا يبقى سوى أثر ضئيل من ذرة ضوء. من ناحية أخرى، مع الحركة الصاعدة يتضاءل الظلام، بينما يزداد النور، حتى يصل إلى النقطة الأقرب إلى الإرادة البدئية ... في منتصف الطريق بين الحدين، يتساوى النور والظلام. ومن هذا يمكن فهم أنه في حالة أخذ "حفنة من المادة" من المركز، وإذا تشكل مخلوق من هذه المادة، فإن النور سيسود في هذا المخلوق على الظلام. لكن إذا أُخذت "حفنة المادة" من المركز إلى الأسفل، وصُنع منها مخلوق، فعلى العكس من ذلك، سيسود الظلام في هذا المخلوق وسيُطغى على النور. 14

(ص 277) إن إنجاز العمل هو بحد ذاته المكافأة، والمكافأة تكمن في إتمام المهمة. ومع ذلك، يجب أن نضيف أن

الأعمال والأفعال في هذا العالم مرئية لعيون جسدك كمظاهر خارجية، بينما في العالم الآخر تُرى هذه الأفعال نفسها بأشكال أخرى (مظاهرها الحقيقية). يُرى بعضها على شكل قلاع، والبعض الآخر على شكل حوريات، أو نباتات، أو أشجار، أو جداول مياه حية، والبعض الآخر على شكل طيور، أو جمال، أو خيول، بالطريقة والمعنى اللذين تناولناهما سابقاً. في الواقع، جميعها سمات وخصائص للرجل نفسه؛ إنها المظاهر الخارجية لكيانه الداخلي. لأنهم جميعاً موجودون في العالم الآخر، حيث يحيطون به ويصبحون مكافأته. وصفنا سابقًا

العملية التي تتشكل بها الأعمال والتصرفات، وتتخذ شكل المعادن، ثم النباتات، ثم الحيوانات، ثم الحوريات والجواري في الجنة، أو على العكس من ذلك، تصبح رفقاءه في جهنم.15

(ص 282-86) عندما يقال إن الجنة في السماء وجهنم في الأرض، فذلك لأن الإنسان له بعدان: بعد النور وبعد الظلام. بُعده النوراني هو سماء وجوده؛ وبُعده المظلم هو أرض وجوده. كل عمل إيماني يقوم به الإنسان يتم من خلال بُعده النوراني. عندها يصبح نورانياً تماماً، سماوياً، دقيقاً. وعلى النقيض من ذلك، فإن خياناته وإنكاره ينبعان من بُعده المظلم؛ فهو حينها مظلم تماماً، أرضي، كثيف، ومعتم. إذا قيل إذن أن الجنة في السماء، فذلك لأنها بُعد النور والخير، بُعد الاقتراب من الإلهي: وعلى العكس من ذلك، فإن الجحيم في الأرض، لأنها بُعد الظلام والشر، بُعد البعد الأقصى عن الإلهي.

الآن، تضم الجنة ثماني درجات؛ بينما تضم الجحيم سبع درجات. تحتوي كل مرحلة من هذه المراحل على عدة حضاير؛ ومع ذلك، هناك درجة واحدة من الجنة لا تتضمن تعدد الحضاير. يبلغ عدد جميع مساكن العالم الآخر تسعة وعشرين مسكناً: خمسة عشر منها مساكن أساسية، وأربعة عشر مشتقة منها.

في تحليل هذا الموضوع، سنقول أن هناك خمس عشرة درجة أو مستوى للإنسان؛ ثمانية منها تنتمي إلى بُعد النور، والذي يسمى عِلِّيُّونَ؛ وسبعة أخرى في بُعد الظلام الذي يسمى سجين. إحدى الدرجات أو المستويات الثمانية

التي تقع في بُعد الضوء هي موطن تلك الحفنة من السماء في الإنسان التي تنتمي إلى السماء الثامنة (كرسي، الفلك)، والتي خُلق منها قلب الإنسان. أما الثاني فهو مسكن تلك الحفنة من السماء التي تنتمي في الإنسان إلى سماء زحل، والتي منها اكتسب الإنسان قدرته العقلية. أما الثالث فهو مقر تلك الحفنة من السماء في الإنسان التي تنتمي إلى سماء كوكب المشتري، والتي منها اكتسب قوته الإدراكية. أما الرابع فهو مقر حفنة السماء التي تنتمي إلى سماء المريخ، والتي منها تم صنع ملكته التمثيلية. والخامس هو مسكن حفنة السماء في الإنسان التي تنتمي إلى سماء الشمس، والتي منها تم صنع مادته الدقيقة المتجانسة. أما السادس فهو الحفنة من السماء الذي ينتمي إلى سماء الزهرة، والذي تشكلت منه القدرة التخيلية للإنسان. أما السابع فهو حفنة السماء التي تنتمي إلى سماء عطارد، ومنها تشكلت قوته التأملية. وأخيراً، الثامن هو حفنة السماء التي تنتمي إلى سماء القمر، ومنها خُلقت روحه *(الروح، النفس)*. هذه هي الدرجات الثمانية التي تمثل مساكن النور للإنسان؛ هذه المساكن هي بُعده النوراني والإلهي؛ إنها تشكل السماء الداخلية، إنها السماء في الإنسان.

باستثناء "حفنة السماء" الأولى (التي تنبثق من السماء الثامنة أو الكرسي)، فإن ما سبق يقابله "حفنة الأرض" السبع التي تنشأ في الإنسان على التوالي من واحدة من الأراضي السبع. حفنة منها نشأت في الأرض الأولى: منها تشكل المظهر الخارجي للجسم المادي للإنسان. وهناك أصل آخر في الأرض الثانية، ومنها نشأت ميول الإنسان الفطرية. وهكذا دواليك: الأرض الثالثة، التي خُلقت منها الطبيعة الجسدية للإنسان؛ والأرض الرابعة، التي خُلقت منها الشهوة؛ والأرض الخامسة، التي خُلقت منها الجنون؛ والأرض السادسة، التي خُلقت منها الضلال، والذي يتمثل في الهروب من الكائن الإلهي؛ والأرض السابعة، التي خُلقت منها الشر في الإنسان. هذه هي الفئات السبع للأرض، والتي تتطابق مع الفئات السبع

للسماء. أما السماء الثامنة، فليس لها مثيل بين الأرضين، لأن هناك سبع أرضين، لا أكثر، كما أن هناك سبع سماوات؛ في الواقع، السماء التي تسمى كرسي (الفلك) ليست جزءًا لا يتجزأ من السماوات؛ إنها واحدة من عتبات السر، من الخفي. وكما أن العرش (عرش، السماء) هو أيضًا أحد عتبات السر، وليس جزءًا لا يتجزأ من الأفلاك السماوية.

وهكذا، فإن كون السماوات السبع وكون الأرض السبع لهما أوجه تشابه متبادلة في الإنسان. بالطبع، عندما نتحدث عن هذه "الحفنات من الجنة"، فإننا لا نعني أنه قد تم إزالة جزء مادي من كل جنة. ما نرغب في نقله هو درجة مشاركة الإنسان في نفس كل من السماوات التي فيه (الحصة المخصصة له من هذا الجهاز النفسي الروحي لكل سماء). إن الحقيقة الباطنية والنفسية والروحية لكامل السماوات تكمن في نفس العالم المفكرة. الآن، إن الرؤية البشرية هي إشعاع تلك النفس؛ فوجوده كله يجسد نموذجها الأصلي. ولهذا السبب يمتلك كيانه أيضاً "قليلاً" من تلك الحقيقة الباطنية لكل سماء.16 يختلف الناس اختلافاً عميقاً فيما يتعلق بمكان إقامتهم الروحي. إنهم ليسوا جميعاً على نفس المستوى المنخفض أو المرتفع بأي حال من الأحوال. عندما نقول أن هناك في الإنسان حفنة من الجوهر النفسي والروحي لكل سماء، فإن هذا يشير فقط إلى الإنسان الكامل. وبالمثل، إذا احتوى كيان الرجل على حفنة من كل أرض من الأرضي، فإن ذلك يشير إلى رجل وصل إلى درجة الشر المطلق والكامل. أما بالنسبة للرجل العادي، فقد يمتلك أحدهم حفنة من سماء واحدة فقط؛ وآخر حفنة من سماوتين أو ثلاث، أو أربع أو خمس، أو حتى ست أو سبع، إذا كان ينتمي إلى أهل النور والخير. من ناحية أخرى، إذا كان ينتمي إلى شعب الظلام والشر، فقد يكون كيانه يحتوي على حفنة من أرض واحدة فقط، أو قد يحتوي

على حفنات من عدة عوالم أرضية.

وهكذا، عندما يكون في الإنسان "قليل من السماء"، وعندما يكون سلوكه الأخلاقي ممتازاً بفضل ذلك، بينما تُجسد حياته في جوانبها المختلفة خدمةً أمينةً للإله، فإن جميع أعماله وجهوده ستُجمع معاً

يوم القيامة، بأشكال مختلفة، ولكن جميعها على المستوى والدرجة التي يتوافق معها "قليل السماء" هذا. إذا كان هذا العدد القليل، على سبيل المثال، ينتمي إلى السماء الأولى، فإن جميع أعماله ستكون من طبيعة السماء الأولى. إذا صدرت من السماء الثانية، فسيكونون من نفس طبيعة السماء الثانية. وهكذا دواليك. أما من يمسك حفنة واحدة من سماء واحدة، فستكون أعماله كلها على ذلك المستوى الواحد. إن عمل من يملك حفنتين من سماتين سيكون على مستويين. وهكذا دواليك، بحيث يكون عمل الرجل الذي يتكون كيانه من "سبع حفنات" من سبع درجات. من البديهي أن الأعمال التي تنبع من "حفنة" من السماء الثانية تكون أكثر دقة من تلك التي تنبع من "حفنة" من السماء الأولى. وهكذا دواليك، والنتيجة هي أن تلك التي تنبثق من حفنة من السماء السابعة هي الأكثر دقة على الإطلاق. ألا ترى أن العقل (النوس) أدق في حالته من النفس، وكم هو أدق ما تنتجه من خلال عقلك مما تنتجه من خلال نفسك،17 تمامًا كما أن ما تنتجه من خلال نفسك أدق بكثير في حالته من طبيعتك الجسدية. وينطبق هذا الأمر بالتناسب على كل "حفنة من السماء" فيما يتعلق بالأعمال التي تنبع منها.

وهكذا، فإن "سماوات وجودك" هي تلك التي وصفتها للتو (المساكن الثمانية "للنور" في وجودك). إن جنة كل واحد منا هي ملك له وحده. وهي تتكون من أعمال الإنسان وأفعاله، والتي ستظهر له في العالم الآخر على شكل حوريات وقلاع وأشجار خضراء. ولهذا السبب فإن جنة كل واحد منا تكمن في سماء وجوده؛ إنها ملكه الخاص تمامًا، لأنه لا أحد آخر له نصيب فيها. كما يقول الله في كتابه: "وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ".

(43 : 71) ." هناك درجة من الجنة تتناسب مع قدرة كل إنسان وسلوكه. يُعطى أحدهم مكاناً في السماء الأولى، ويُعطى الآخر مكاناً في السماء الثانية. وهكذا دواليك: في النهاية، يُمنح البعض مكاناً في السماء السابعة. تشكل العتبات الثمانية للجنة بدورها ثماني درجات. يدخل كل شخص من عتبة معينة، من حيث مكانته الروحية والعمل الذي أنجزه. على حد تعبير حضرة

الأمير الإمام الأول: "للجنة ثمانية عتبات". يدخل الأنبياء وأئمتهم من إحدى هذه العتبات. يدخل أئمة عائلة 18 محمد من عتبة أخرى. جميع أتباعنا (المتصوفين) وأصدقائنا يدخلون

من خمس عتبات أخرى. المسلمون العاديون، أولئك الذين شهدوا على مبدأ "لا إله إلا الله" ولم يضمروا في قلوبهم ذرة كراهية واحدة ضدنا نحن أعضاء الأسرة المقدسة،19 يدخلون من العتبة الأخيرة.

باختصار، من أي سماء أُخذ "طين" كل واحد منا، إلى أي سماء تنتمي إليها روحه، فهذه هي السماء التي سيعود إليها. تتجمع أفعاله وأعماله في هذه السماء، وهناك تتجلى له في صورتها في العالم الآخر، في صورة قيامته. تتجمع كل أنشطته حوله، فتصبح جنته. لذلك تستمر أعمال الصالحين في الصعود حتى تصل إلى السماء، لأنها تنبع من هذه السماء نفسها؛ ذلك هو أصلها وحقيقتها؛ وعلى العكس، تنزل أعمال الشر إلى الأرض حتى تصل إلى أرضها، دائرة الجحيم التي هي منشئها ومرجعها. كما ذكرنا، فإن درجات الجنة ثمانية. أما الثامنة فهي

التي تخص النبي والأئمة الاثني عشر. إنها "عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ" (53: 15) أو "جنة عدن" (18: 30، وآخرى) التي تقع في تلك السماء الثامنة المسماة سدرة المنتهى (53: 14). بما أن السماء الثامنة هي رتبة أقدس روح في العالم، 20 والتي نسلها الأخضر، كما شرحت سابقًا، هو نفس الإنسان، وبما أن نفس العالم هي "مكان" المعرفة، فإن لهذه النفس فروعًا عديدة. إنها الشجرة، والسدرة، التي تسمى سدرة المنتهى. في ذلك المكان بالذات توجد "جنة المأوى الدائمة"، وهي الجنة التي تخص الأنبياء. إن "سقف" هذه الجنة هو العرش، كما يقول الحديث: "سقف الجنة هو عرش الرحمن".

الآن، ليس لتلك الدرجة نقيض، لأنه من الناحية الوجودية، ليس للنبي والأئمة نقيض. من الناحية الوجودية، لا تظهر الأضداد إلا على مستوى وجودنا، أي

وجود الشيعى والمؤمنين الحقيقيين. ولهذا السبب فإن الخصم، بالمعنى الحقيقي والوجودي، هو عدو الشيعى، أو أتباع الأئمة الأطهار. لكن الأنبياء والأئمة، أي ليس لهم نقيض ولا خصم بالمعنى الحقيقي والأساسي للكلمة، لأن الخصوم أنفسهم أدنى منهم مرتبة. من الناحية الوجودية، فإنها تصنف على المستوى الكوني، حيث يصبح كل شيء كاملاً، وما يشكل الكل لا يمكن أن يشمل نقيضه. إن تضمين النقيض هو سمة من سمات كل ما هو جزئي. ولهذا السبب لا يوجد ما يوازن هذه الدرجة من الجنة في جانب جهنم. وعلى العكس من ذلك، فإن الدرجات السبع الأخرى - تلك المتعلقة بالمؤمنين الحقيقيين والمسلمين بشكل عام - لها أضداد على جانب جهنم لموازنتها، كما أشرنا قبل بضع صفحات.

يضع بعض المؤلفين درجات الجنة الثمانية هذه بالترتيب التالي: جنات الجنة (18: 107)، التي تقع في السماء الثامنة؛ والحدائق العالية (69: 22)؛ وحدائق النعيم (10: 9 وما بعدها)؛ وحدائق عدن (18: 25 وما بعدها)، التي لا يوجد لها مقابل في جانب جهنم؛ وحدائق المكان الآمن (44: 51)؛ وحدائق الخلود (50: 55)؛ وحدائق الملجأ (2: 19)؛ وحدائق دار السلام (6: 127). أما فيما يتعلق بدرجات أو دوائر الجحيم، فقد رتبها المؤلفون أنفسهم على النحو التالي: جهنم (ص: 196 وما بعدها)؛ النار المشتعلة (ص: 15)؛ النار الآكلة (ص: 4-5)؛ الموقد

(67: 5 وما بعدها)؛ النار المدمرة (74: 26-27)؛ الفرن (79: 39 إلخ.)؛ الهاوية (101: 6). على النقيض من ذلك، يزعم مؤلفون آخرون أن الفرن هو أعلى درجة، بينما جهنم هي الأدنى، لكنني لا أعرف أي حديث يدعم هذا التصنيف، على الرغم من أن كل هذه الأسماء تظهر في الكتاب وفي التقاليد. 21

باختصار، كما هو الحال في الإنسان الكامل حيث توجد سبع "حفنات من السماء"، تنبثق على التوالي من كل سماء، كذلك في "الإنسان الشرير تمامًا" توجد سبع "حفنات من الأرض"، تنشأ من كل أرض من الأراضي السبع، بينما بالنسبة لعامة البشر، تختلف النسبة وفقًا للاختلافات في الدرجة.

إن درجات الجنة السبع لها سبع درجات من الإشعاع،

أي أن لكل درجة إشعاع خاص بها، بنفس الطريقة التي يتوافق بها الإشعاع الشمسي مع طبيعة الشمس. تشكل هذه الإشعاعات السبعة سبعة حضاير للسبع جنات. لكن الجنة الثامنة ليس لها حضيرة، لأنها شاملة، وهي التي تجعل كل شيء كاملاً. إن طبيعة ما يجعل الشيء كاملاً ليست هي نفسها طبيعة ما له وظيفة جزئية وإشعاع جزئي. كل ما ينبعث من إشعاع المؤمنين بالمعنى الحقيقي، والذي "يصلح للجنة"، يستقر في هذه الأماكن، وليس في الجنة الأصلية نفسها، لأن الإشعاع ليس بنفس درجة مصدر النور. 22

2. عالمٌ في صعود، لا في تطور*

نقوم أدناه بترجمة صفحتين إضافيتين من العمل العظيم لمحمد كريم خان الكرماني، أولاً لأنهما أدتا إلى تعليق قيّم من جانب الرئيس الحالي لمدرسة الشيخية، والذي يرد في نهاية هذه المقاطع المختارة؛ وثانياً لأن هاتين الصفحتين، باختصار، تستحضران بعض المواضيع الأساسية.

قبل كل شيء، فكرة عالم يكون "تاريخه" ذا محور رأسي ولا يُنظر إليه من منظور أفقي لتطور غير محدد. إن تاريخ هذا العالم، "على الطراز القوطي"، ليس تاريخ تطور لا رجعة فيه، بل تاريخ ارتداد تدريجي. لم يعد مفهومنا عن "السببية التاريخية" سارياً. يتم تحديد هذا التوجه العمودي نحو القطب السماوي الذي يمثله كوكبة هورقليا من خلال فكرة النزول، متبوعًا
بالصعود: الأول هو سقوط الذكاء (إينويا: (يوناني، "نية عقلية")
إلى العالم الأرضي، وهذه هي دورة تكوين الكون. أما الثاني فهو الصعود من عالمنا، والذي بدأ بدورة النبوءة التي دشنها آدم. تقدم الأطروحة الغنوصية التقليدية فكرة أخرى (رددها فرانز فون بادر، كما ذكرنا أعلاه) مفادها أن حتى التاريخ التوراتي لآدم لا يبدأ إلا في اليوم التالي لكارثة ربما لم نعد قادرين على تصور حجمها.

إن الوعي الشيعي يفرض منظور الإمامية على منظور النبوة: ظهور الإمام الخفي، باعتباره التجلي الإلهي النهائي، ومجيء الدين الروحي الخالص. بالنسبة البارع الشيعي، فإن بلوغ الوعي الشخصي بهذا المجيء الثاني هو الدخول في هورقليا، وهذا يعني الدخول إلى العالم الذي يصبح فيه الإمام مرئياً للإدراك الداخلي، حيث تخترق علم الآخرة الحاضر. وبالتالي،

* مقتطف من نفس العمل، المجلد الثاني: الجزء 3، صفحات 274-75.

الشيخ محمد كريم خان الكرماني، 2§

موضوع الفقرة الأخيرة المترجم أدناه: هورقليا والعقيدة الشيعية.

اعلم أن الله عندما خلق الذكاء (العقل) في أول الأيام، قال له: "انزل الآن". وتراجع الذكاء حتى وصل إلى عالمنا. تزامنت المرحلة الأخيرة من انحدارها مع زمن آدم. ثم دوى النداء في العالم من خلال فم آدم ومن خلال أفواه جميع الذين يدعون الناس إلى الله: "الآن استدر واصعد مرة أخرى". في زمن النزول، كان أولئك الذين تحدثوا باسم الله تعبيرات كونية بلغة التكوين الكوني. في زمن الصعود، كانت تلك تعابير ملهمة بلغة النبوة. يشرع العالم في صعوده، وعودته التدريجية، بفضل اللغة النبوية للرسل. إذا حدث أن تم الكشف لك عن الأزمنة الماضية، فستراها تحت قدميك، عمودياً، وليس بجانبك، أفقياً.

إن مغامرة عالمنا هي مغامرة شخص يجب انتشاله من قاع البئر. لحظة بلحظة يصل إلى مستوى معين في البئر؛ من مستوى إلى مستوى يصل إلى المستوى الأعلى. 23 في كل لحظة يكون المستوى الذي اجتازه تحت قدميه. من يعرف كيف ينظر ببصيرته الداخلية سيرى بذلك الأزمنة الماضية تحت قدميه أكثر عتامة وكثافة وظلاماً؛ بينما يستمر يوماً بعد يوم في الصعود عبر الزمن، مقترباً من الإرادة البدئية ويصبح أكثر إشراقاً ودقة.

لنتخيل كائناً ينزل من السماء ويدخل مجال الهواء العنصري؛ وينزل أكثر، فيدخل مجال البخار الجوي؛ وينزل أكثر فأكثر، فيدخل تباعاً مجال السحب، ثم مياه المحيط، ثم جوف الأرض. إذا قال له أحدهم: "الآن، اصعد مرة أخرى"، فإنه يصعد، ويخرج من ظلام الأرض، ويدخل مجال الماء، ويمر عبر كثافته، ثم يجتاز مجالات السحب والبخار واحداً تلو الآخر. يخرج من آخر هذه الكرات، ويدخل الهواء في حالته النقية. تتأمل عيناه كل ما يحيط به؛ يتنفس بعمق؛ يتحرر

من القيود التي كانت تخنقه؛ يستسلم للاسترخاء في هدوء هائل؛ وأخيراً يتنفس بحرية.

وهكذا، هذا هو التاريخ الروحي لعالمنا بالضبط. لأن هذا العالم قد نزل إلى وسط الأرض، عندما قيل له في زمن آدم: "الآن، اصعد مرة أخرى". هذا هو الصعود الذي ينخرط فيه؛ لم يتحرر بعد من الثقل والخشونة، والظلام والضباب. لم يخرج بعد إلى الهواء النقي. لأن هذه الأماكن التي نحن فيها هي مسكن الظلام. وفي الظلام يجب على المرء أن يبحث عن دين، وأن يتصرف بطريقة معينة، وأن يعلن عن بعض المعتقدات. لكن ما إن يخرج الرجال من هذه الضبابات ويدخلوا في الهواء النقي، حتى يحدقوا في الشمس، وجه الصديق، الإمام؛ ثم يتأملون أنوارها مكشوفة وشفافة، دون الحاجة إلى التظاهر. فالقوانين لم تعد قوانين، والدين لم يعد ديناً، والمؤسسات لم تعد مؤسسات. 24

إذن، ما نحتاجه هو أن نصل نحن أنفسنا إلى المستوى الروحي الذي يصبح فيه الصديق، الإمام، مرئياً. لا يمكن للإمام أن يذهب إلى هناك قبلنا. إذا وصل الإمام قبل أن نتمكن من التعرف عليه، فلن يكون ذلك ذا فائدة لنا. وتعبر العبارة التالية عن ذلك: "الصديق أقرب إلي من نفسي. لكن الأمر الأكثر غرابة هو أنني بعيد عنه." وهكذا، إذا جاء الإمام قبل أن نكون نحن أنفسنا هناك، أي قبل أن يحدث تغيير في طريقة وجودنا، فلن نراه حتى؛ ولن نجني أي فائدة من ذلك؛ بل سيكون ذلك مناقضاً للحكمة. من ناحية أخرى، عندما تتغير قدرتنا الروحية ونتحول، فهذا يعني أننا ارتقينا إلى مستوى أعلى. فكما قلنا، يجب أن نخرج من البئر؛ يجب أن نرتفع لنصل إلى ذلك المكان الذي يمكن فيه رؤية الإمام. واسم ذلك المكان، بلغة الثيوصوفيين (أهل الحكمة)، هو هورقليا.

عندما يرتقي عالمنا، العالم الذي نحن عليه، حتى يصل إلى مستوى هورقليا، فإنه يرى في ذلك المكان بالذات روعة إمامه. لقد انكشفت الحقيقة. يتبدد الظلام. تغيرت الظروف. لا تظن أن هذه الحقيقة الروحية بعيدة المنال. إنها تقترب، فقد أصبحت علامات الإنجاز والأزمة واضحة بالفعل. من عالم

تهب نسمة من هورقليا، وقد وصل عبير ذلك العالم إلى حواس روح المؤمنين الصادقين. إذا كنت قادراً على الشعور، فسوف تدرك بنفسك، في صفحات هذا الكتاب ومحتوياته، عطراً ينبعث من أزهار عالم هورقليا. ولكن كن حذرًا!.. هناك عدد كبير من الناس ذوي الطبيعة الضعيفة والمشوهة، والذين تلتهبهم هذه العطور ثم يصابون بالدوار. من ناحية أخرى، فإن عدداً كبيراً من أولئك الذين يستحقون بطبيعتهم اسم الإنسان يستمتعون بهذه الروائح العطرة التي تصبح غذاءً لأرواحهم. إذن، الدليل موجود، بإذن الله! هورقليا قريبة.

11

الشيخ عبد القاسم خان الإبراهيمي
(سركار آغا)، الخليفة الخامس للشيخ أحمد الأحسائي
(مواليد 1314/1896)

الأرض السماوية في هورقليا والعقيدة الشيعية

ينبغي لنا في هذه المرحلة أن نقدم ملخصًا موجزًا لمسألة هورقليا، ووصف ذلك الكون وموقعه بين مستويات الوجود. نود أن نضع حداً لجميع الصعوبات التي واجهها إخواننا الذين انجذبوا إلى المعرفة الثيوصوفية، وربما لم يولوا هذه النقطة الاهتمام الكافي...

ولتلخيص طبيعة هذا الكون، إليكم ما مكّنني من فهمه من خلال التأكيدات الصريحة لتقاليدنا، إلى جانب التفسيرات التي قدمها شيوخنا العظام، ولشرحه بإيجاز شديد. بشكل عام، تشير كلمة هورقليا إلى العالم المثالي (عالم الصور)، عالم الأشكال والصور المستقلة (عالم المثال). على الرغم من أن سماوات هذا الكون، بالمعنى الدقيق للكلمة، هي ما نسميه هورقليا، في حين أن أرضه يشار إليها باسمي جابلقا وجابلسا، فإن الفلاسفة يشيرون أحياناً إلى هذا الكون ككل، بمستوياته ودرجاته المختلفة، باسم هورقليا.

ويطلق عليه أيضاً اسم "المناخ الثامن"، في إشارة إلى حقيقة أن الفلاسفة والعلماء في العصور السابقة قسموا الأرض إلى سبعة مناخات. إن مصطلح "المناخ الثامن" واضح بذاته، لأن عالم هورقليا يقع فوق كل هذه المناخات، ولا يقع ضمن حدودها المرئية. بالطبع، يمكن تتبع تقسيم الأرض إلى سبعة مناخات كما علمها

., * مقتطف من كتاب تنزيه الأولياء، كرمان، 1367/ 1947، السؤال 58، الصفحات 702-726. العمل مكتوب بالكامل باللغة الفارسية.[1]

الحكماء القدماء إلى عدد من المصادر الأخرى. كان هذا التقسيم معروفاً لدى الأنبياء القدماء، ومصدره موثوق، حيث نجد المصطلحات مستخدمة بشكل متكرر في تقاليد أئمتنا الأجلاء. يتكرر ذكر المناخات السبعة بشكل متكرر في أقوال الإمام الأول، حضرة الأمير. وبالمثل، فإن الإمام السادس، جعفر الصادق، يذكر صراحة في حديث أن العالم مقسم إلى سبعة مناخات. شخصياً، أود أن أقول إنه من الصحيح تماماً تسمية هورقليا بالمناخ الثامن، لأنها تقع خارج عالمنا؛ ولكن يجب ألا ننسى أنها موجودة أيضاً بشكل غير مرئي في عالمنا نفسه. باختصار، يتضح، ليس فقط من كتاب الله، ولكن أيضاً من الأقوال المأثورة للأئمة الأطهار، أن الخلق الإلهي لا يقتصر بأي حال من الأحوال على العالم الذي نسافر فيه والذي ندرك مظهره المرئي. هناك عوالم كثيرة. تقول الآية الأولى من الكتاب الله الحمد

لله رب العالمين" (1:1). وفي موضع آخر: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" (25: 1). لذلك ليس هناك شك حقيقي في وجود عدد كبير من الأكوان.

وتقول آية أخرى: "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" (7: 54). لذلك يجب علينا التمييز بين أمرين: عالم الخلق وهو الكون المخلوق، وعالم الأمر وهو الكون الخالق. إذا تأمل المرء في هذين الكونين بالتفصيل، فإن كل منهما يكشف عن عدد كبير من الأكوان الأخرى، ولكن هدفنا هنا لا يمكن أن يكون أكثر من تقديم مخطط عام بشأنهما. الكون الخلاق، كون الأمر الإلهي، هو الإرادة الإلهية البدئية. إن معنى هذه الأطروحة واضح في التقاليد التي تركها لنا الأئمة الأجلاء، ولكن مرة أخرى لا يمكننا الخوض في مزيد من التفاصيل هنا. من خلال "إرادته وأمره (KN= Estol)"، قام "رب العوالم" بإضفاء الطابع الوجودي على مجمل الأكوان ومجمل الكائنات. وبالتالي فإن الحقيقة الحقيقية، وجوهر كل الأشياء، متضمنة في الإرادة الإلهية، ولكنها لا تزال في حالة من العمومية والإمكانية، وليست في حالة من التحديد والتخصيص الملموس. يبقى جوهر الأشياء على المستويات الدنيا من "عالم" الأمر، الذي يشكل

أرضه؛ ومع ذلك، يمكن الإشارة إلى هذا المستوى بشكل صحيح باسم "عالم الأمر". يُشار إلى المصطلح النهائي للأمر باسم المادة الأولية، وهي السلبية المطلقة. يُطلق عليها أحيانًا اسم "الأرض البكر" وأحيانًا "العالم الأبدي". يُطلق عليه أحيانًا اسم "بحر الحزن"، وأحيانًا "مسكن نون"، أو مرة أخرى "عالم القلب". هناك أسماء أخرى لها، يشير كل منها إلى جانب مقابل، ولكن ليس هناك وقت لذكرها جميعًا هنا؛ سيجد المهتمون شرح كل منها في مكانه.

إذن هذا العالم الأبدي، عالم الجواهر والأصل الأساسي للكائنات، موجود على هذا المستوى؛ إنه استمرارية مع "عالم الأمر" بأكمله، وهو في حد ذاته جزء من عوالم الغموض، الأكوان غير المكشوفة. بعد هذا العالم يأتي عالم المخلوقات، الذي يُؤخذ ككل. يشمل العالم المخلوق أيضاً عدة مستويات ودرجات. كل درجة، ضمن حدودها الخاصة، تشكل كوناً مستقلاً، وإلى كل هذه المستويات والدرجات، مأخوذة ككل، نطلق عليها اسم "الكون المخلوق"، "عالم الخلق".

أول هذه العوالم هو عالم الذكاء (إينويا: (يوناني، "نية عقلية")). وقد ورد ذكره مراراً وتكراراً في التقاليد، على سبيل المثال، في ما يلي: "أول شيء خلقه الله هو الذكاء (العقل)". توجد العديد من الصيغ المختلفة لهذا التقليد، والتي نمتنع عن ذكرها هنا حرصاً على الإيجاز. 2 عالم الذكاء هو عالم "الأمور الجوهرية"، مما يعني أن المادة الجوهرية غير القابلة للتصرف لكل كائن تنبثق من عالم الذكاء هذا. 3 وهذا، علاوة على ذلك، هو التعريف الذي نجده في تقاليد علماءنا. هناك يُقال إن الذكاء يحيط بكل شيء، ويفهمه، وهو سبب كل الموجودات. إن هذا الفهم الشامل وهذه السببية تحدد كل شيء يتعلق بـ "المادة الجوهرية" لكل كائن. في الواقع، جميع المخلوقات الموجودة هي أشكال وسمات عديدة للذكاء. يمتلك الأخير فهمًا كاملاً لجميع أشكاله الخاصة؛ يمكن للمرء أن يقول إنه مادتها المتجانسة، لأنه يحتضنها ويحيط بها. وبالمثل، يحتوي الطين على جميع أنواع الأواني، والأوعية، وغيرها

من الأشياء المصنوعة من الطين، ويشملها. هذا ما تنص عليه الأحاديث عندما تقول إن الله خلق الذكاء وحرص على أن يشمل رؤوساً بقدر ما تشمله مجمل المخلوقات. "أي مخلوق تنظر إليه، فهو رأس بين الرؤوس، أي شكل بين الأشكال." وهكذا نفهم أن الذكاء يشمل أشكالاً متعددة، وأن المخلوقات هي أشكال عديدة من الذكاء. من هذا المنظور، فإن جميع مخلوقات الله تمتلك الذكاء والمعرفة والوعي. جميعها تؤدي وظيفة تمجيدية وليتورجية. "يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" (62: 1) و 64 : 1). إن مبدأ هذه الترانيم وهذه الخدمة الإلهية يكمن في الذكاء،4 كما قيل: "الذكاء هو الذي من خلاله تتم الخدمة الإلهية"، أو مرة أخرى: "الذكاء هو أكثر الكائنات إخلاصًا فيما يتعلق بالله". ولهذا السبب، إذا قام كائن ما بهذا الفعل من التمجيد، فذلك لأن هذا الذكاء الموجود فيه يؤدي خدمته الإلهية.

باختصار، جميع المخلوقات هي أشكال من الذكاء؛ إنها رؤوس كثيرة خلقها الله لهذا الذكاء. ولهذا السبب فإن كل هذه الأشكال تدين باستقرارها واتساقها للذكاء، وهي لا تنفصل عنه. في الواقع، لا توجد "المادة" بدون "الشكل"، ولا يوجد الشكل بدون المادة؛ فهما ينشأان في وقت واحد؛ ولا يمكن لأحدهما أن يسبق الآخر أو يتبعه؛ فوجودهما متزامن. ومع ذلك، لكل منهم رتبته ومكانته الخاصة، وهو أمر من المهم تذكره. إذا قلنا أن "المادة" تأتي قبل أو "فوق"، بينما "الشكل" يأتي بعد أو "تحت"، فذلك لأن الشكل في هذه الحالة يؤخذ على أنه يعني "الحدود" و"الخطوط الفاصلة" للمادة. من هذا المنظور، يمكننا القول إن المادة تأتي أولاً، بينما يأتي الشكل ثانياً، لأن المادة يجب أن تكون موجودة حتى تحدث هذه الحدود فيها. لذلك يُنصح بتوخي الحذر فيما يتعلق بمصطلحي "أعلى" و"أسفل".

في الواقع، يمكن القول إن "مكان سكن" الأشكال هو "أسفل"، أي على المستوى الأدنى من مكان سكن الذكاء. وهذا المكان هو ما نسميه، في المصطلحات الفلسفية، عالم النفس، أو عالم المواد غير المادية.

5 ويسمى أيضًا عالم الصور والأشكال، وعالم الدهر، وهو مجاور لعالم العقل. يُطلق المصطلح التقليدي للأئمة الأطهار اسم "ملكوت" على هذا المسكن، وهو عالم النفس، بينما يُطلق على عالم الذكاء اسم "جبروت"، ويُطلق على عالم الأمر الإبداعي اسم "لاهوت" (الإله). يُطلق على هذا العالم أيضًا اسم عالم النفس المقدسة،

لأنه العالم الذي استُخرجت منه نفوس البشر. إن النفس "مقدسة" لأنها تظل مصونة ومحصنة من شوائب وتقلبات العالم الذي نعيش فيه الآن. ويُطلق عليه أيضاً عالم الأسباب الجوهرية وعالم الظلال. لقد تم بالفعل تقديم أحد تفسيرات هذا العالم للأسباب الجوهرية التي خُلقت فيها نفوس البشر في هذا الكتاب. هذا هو المكان الذي أُرسل إليه النبي لكي يسمع دعوته إلى النفوس. في ذلك المكان بالذات تم تبادل السؤال والجواب مع كل نفس، ومن كل واحد منهم تم تلقي الالتزام بالإيمان والوفاء بالعهد التأسيسي. في ذلك المسكن يصبح كل من شاء مؤمناً، وكل من شاء يصبح كافراً. وأخيراً، هذا هو العالم الذي نسميه عالم القيامة والتجمع، لأنه المكان الذي يعود إليه البشر عند عودتهم، كل واحد منهم يعود إلى المكان الذي خُلق منه، لا أعلى من ذلك. وهكذا فإن هذا "المكان السكني" له أسماء عديدة. يستخدم كل فيلسوف اسماً يتوافق مع وجهة نظره. تكثر الشهادات المتعلقة بهذه المستويات أو الدرجات المختلفة في تقاليدنا أيضاً، ولكن ليس هذا هو المكان المناسب لمناقشتها. في النهاية، يعرف ممارسو الثيوصوفيا ما نعنيه؛ أما الآخرون، فلن يفهموا لا السرد العام ولا الشرح المفصل؛ بل إن الشرح المفصل في هذه المرحلة هو الأنسب.

لن يؤدي ذلك إلا إلى زيادة صعوبة المشكلة.

إذن، هذا العالم الذي هو عالم الأشكال يُطلق عليه عالم النفس المقدسة. لا بد أنك قد صادفت كثيراً تعبير "النفس الكونية"، "نفس العالم"، في أعمال الفلاسفة. يتوافق معناها مع ما نفهمه نحن أنفسنا على أنه عالم العقل وعالم

النفس مجتمعين، لأنهما ينظران إلى "المادة" و"الشكل" في آن واحد. عندما يقولون النفس فإنهم يشيرون إلى رتبة الشكل؛ وعندما يقولون الكوني فإنهم يشيرون إلى الواقع المفاهيمي وإلى عالمية الذكاء. هذا الأمر يستحق اهتمامنا الشديد، لأن هذه التطورات لن تُشرح بهذه البساطة في أي مكان آخر. على الرغم من أنني لست "فيلسوفًا" بحكم مهنتي، إلا أنني على الأقل ابن فيلسوف، وربما يفهم أبناء الفلاسفة مصطلحات آبائهم بشكل أفضل من غيرهم.

على أي حال، كل ما قيل للتو كان بمثابة جملة استطرادية، لأن رتبة أو مسكن أنبياء الله أعلى من رتبة أو مسكن النفوس البشرية. هذا لا يعني أنهم ينتمون إلى عالم الذكاء الخالص، لأن عدد المواليد في ذلك العالم يقتصر على أربعة عشر نفسا مقدسة.8 كلا، إن مسكن الأنبياء هو المسكن المسمى عالم الروح وروح الملكوت. إن عالم الروح هذا هو وسيط (برزخ) بين عالم العقل وعالم النفس، لأنه لا يمتلك جوهرية العقل ولا مرونة النفس وفرديتها. البرزخ هو وسيط بين عالمين. سيكون من الصعب، بل ومن غير الضروري، الخوض بعمق في هذه الفكرة في هذه المرحلة. يقتصر هدفنا على شرح وجود وسيط، برزخ، بين عالم العقل وعالم النفس، لأن هذا هو الهيكل الإلهي ولأنه ثابت فلسفي أن كون الله لا يحتوي على فجوة. العوالم متصلة ببعضها البعض؛ إنها تشكل وحدة متصلة. عندما يفكر المرء في كونين، فلا بد من وجود برزخ بينهما. تقول آية في القرآن الكريم: "مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَان. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ " (55: 19-20).

ما يمكن قوله بشكل عام عن عالم النفس هو أنه عالم تلك الأشكال التي هي الأشكال الأساسية لعالم الذكاء. هذه أشكال مقدسة، أي محمية من شوائب وعيوب عالمنا، وهي موجودة في حالة مستقلة. من وجهة النظر هذه،

من المناسب الحديث عن عالم النفوس المقدسة، لأنها معفاة تمامًا من حوادث وغموض عالمنا، وليس لها أي صلة بالأمور والأشكال الغامضة والعرضية لعالمنا. وهذا، بالنسبة لعالمنا هذا، يُسمى "العالم الأعلى". يقول الإمام الأول، في وصفه لعالم النفس هذا، إنه "أشكال مجردة من كل مادة، خالية من كل شيء عدا ما هو كامن، ومجردة من كل شيء". ويقتبس صيغة مختلفة من نفس العبارة: "أشكال تتجاوز كل المادة". وهذان الدرسان يحملان معنى أصيلاً بنفس القدر.

تشير هذه التصريحات إلى أن الأشكال المعنية هي في الواقع أشكال مجردة من كل مادة أرضية وعرضية وقابلة للفساد، أو أنها أشكال تتجاوز هذه المادة. وفقًا لهذا الكلام، كما هو الحال مع المعنى الصريح للأحاديث الأخرى الواردة من الأئمة الأطهار، فمن الواضح تمامًا أنه يجب على المرء أن يأخذ كلمة "مادة" بمعنى المادة القابلة للفساد والعرضية، في الحالة التي نجدها عليها في عالمنا الأرضي. هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن هذه النفوس هي "أشكال بلا مادة"، لأنه من المستحيل وجود شكل بدون مادة. المادة والشكل هما العاملان اللذان يشكلان جوهر كل كائن وكل شيء؛ ولا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض. إذا كان أحدها مفقوداً، فإن الشيء نفسه سيتوقف عن الوجود، وسيصبح عدماً محضاً. يشير مصطلح "المادة" كما هو مستخدم في الحديث أعلاه إلى الأمور العرضية، الخاضعة لشروط الوقت والصيرورة. والغرض من هذا الحديث نفسه هو التأكيد على أن النفوس المقدسة لا تدين بأي حال من الأحوال بأصلها لهذه الأمور العرضية والأرضية والقابلة للفساد، وأن لها وجوداً مستقلاً.

لذا فإن الفيلسوف اللاهوتي مولا صدرا (صدر الدين الشيرازي) مخطئ تمامًا في اعتقاده أن النفوس البشرية يمكن أن ترتبط منذ البداية بهذه الأمور الجسدية، وتخضع لشروط الزمن والصيرورة. يفترض نظامه سلسلة من التحولات: يصبح المعدن نفسه نباتياً، والذي بدوره يتحول إلى الحالة الحيوانية؛ ويصبح الحيوان في النهاية إنساناً. هذا النظام يتعارض مع تعاليم كتاب الله وتقاليد أئمتنا.

وينطبق الشيء نفسه على أولئك اللاهوتيين الحرفيين والسطحيين الذين لا يستطيعون أن يروا في كلمة الإنسان أي شيء آخر غير تعبير يشير إلى الأجسام المادية المكونة من عناصر فيزيائية. ويزعمون أن هذه الأجسام نفسها، العرضية والقابلة للفساد، والكثيفة والمعتمة، هي التي "تعود" إلى العالم الآخر، بحجة أن العودة يجب أن تُفهم على أنها "قيامة جسدية".

إنهم يرتكبون خطأً جسيماً، بمجرد نسيانهم أن حقيقة ما يشكل الجسم، أي جوهره، لا تقتصر على الأجسام العرضية والقابلة للفساد في عالمنا الأرضي. ما يشير إليه كتاب الله والأنبياء هو وجود أجسام بشرية بدائية أو نموذجية. إنها تنشأ في عالمها الخاص، عالم النفس؛ أما مادتها، فتأتي من عالم العقل (الذكاء). وقد صرّح الإمام الأول، في الحديث الذي يروي لقاءه مع كميل حول حال النفوس البشرية، بأن "مادة هذه النفوس تتكون من الطاقات التي تتلقاها من العقل والتي تتجسد فيها". ويصرح كذلك في نفس الحديث أن النفس البشرية لا تدين بأي حال من الأحوال بأصلها للأجسام المادية المرئية. إنها ليست "العصارة" ولا العنصر الدقيق لجسم اللحم. لا يمكن مقارنتها لا بالعطر الذي تفوحه الزهرة، ولا بالجوهر المستخلص من الوردة. على العكس تماماً! هذه النفوس هي أشكال موجودة بشكل مستقل عن كل المادة المادية القابلة للفساد، وتوجد في عالمها الخاص في حالة مستقلة.

أما الطريقة التي تدخل بها النفوس إلى هذا العالم، فينبغي مقارنتها بالطريقة التي تدخل بها صورة الإنسان، أو ظهورها، في المرآة التي تعكسها، أو بضوء الشمس الذي يسقط من الأعلى على هذه المرآة أو على سطح الماء الهادئ. لا تنشأ المادة ولا شكل الصورة التي تراها في المرآة من المادة المعدنية للمرآة. لا، هذه الصورة تمتلك، بشكل منفصل وفي حد ذاتها، مادتها الخاصة وشكلها الخاص، والتي لا تشكل بأي حال من الأحوال جزءًا من المرآة ولا تستمد بأي حال من الأحوال من مادتها المعدنية، لأنها لا تمتزج بها ولا تغيرها. هذه الصورة لها وجود مستقل؛ لقد تم إنشاؤها بشكل منفصل. إذا كانت المرآة موجودة، فإن الصورة

تُسقط عليها وتنعكس فيها، وتنظر إلى نفسها فيها. إذا لم تكن المرآة موجودة، فإن الصورة مع ذلك تبقى قائمة في ذاتها ولنفسها؛ إنها موجودة في عالمها الخاص، بمادتها الخاصة وشكلها الخاص. لا شك أنه سيقال إنها "جزء من هذا العالم". لكن القول بأنها ميتة "بالنسبة" و"من أجل" هذا العالم لا يعني بأي حال من الأحوال أنها ميتة "بالنسبة" و"من أجل" عالمها الخاص. بل على العكس تماماً؛ إنها موجودة بالفعل، حية وقريبة من الإلهي، مما يضمن بقاءها. لقد حدثت ظاهرة الموت في هذا العالم، وليس في العالم الآخر.

صحيح أن الفردية بعد الموت لم تعد لها أي شكل (مظهر) لتتجلى به في عالمنا إلا إذا أراد الله أن يكون لها شكلاً ظاهرياً مرة ثانية في هذا العالم، لتعيش وتكون مرئية هنا مرة ثانية. مثل هذه الحالة ممكنة، وقد وقع مثل هذا الحدث. فعلى سبيل المثال، هناك روايات عن أولئك الذين أقامهم عيسى من الموت، أو قيامة النبي عزرا المذكور في القرآن (9: 30)، والروايات المتعلقة بقيامة سام بن نوح، وغيرها من الروايات المنسوبة إلى شفاعة الأئمة الأطهار. باختصار، هذه هي المواضيع التي ينبغي توسيعها لإجراء مناقشة شاملة للمسألة التي طرحناها للتو. ومع ذلك، يجب أن تقتصر مساهمتنا على التأكيد على جوانب معينة من علم الكونيات الذي يشمل مجمل هذه الأكوان، وذلك من خلال مقدمة تمكننا من فهم مكان وجود عالم هورقليا.

باختصار: 1) أول الأكوان هو عالم الأمر الإبداعي، وهو العالم الأبدي وعالم الجواهر الخالصة. 2) ثم هناك عالم الذكاء (العقل)، وهو مسكن "الأمور الجوهرية" الممنوحة على التوالي لوجود كل كائن. 3) ثم عالم النفوس، وهو الوسيط، البرزخ، بين عالم الذكاء وعالم النفس. 4) عالم النفس هذا، هو عالم أشكال الكائنات. 5) وأخيراً، بعد عالم النفس، عالمنا، وهو العالم الزمني والحسي والمرئي. أما الأخير فهو العالم الذي نحن فيه الآن، أنت وأنا، وهو المستوى الذي تتقارب فيه جميع الأكوان في النهاية. لقد وصلت الأشكال العليا الأبدية،

تلك التي تنتمي إلى عالم النفس، إلى نهايتها في هذا المستوى؛ لقد اختبأت هناك في غبار هذا العالم الأرضي، على الرغم من أنها قد رحلت عنه فعلياً. فهذا العالم هو قبر الأكوان العليا. جميع الكائنات التي تسكن هذه الأكوان الأخرى دُفنت هنا في الأرض. وفقًا لأمر رب العالمين، يجب عليهم أن ينفضوا هذا الغبار عن رؤوسهم ويخرجوا متحررين من قبورهم؛ من واجب كل واحد منهم أن يحقق خروجه، وأن يستعيد مسكنه، وأن يعود إلى دياره. هدفنا في هذا الكتاب هو فقط التعليق على حالة هذا العالم الآخر بالقدر اللازم لتوصيف العالم الخاضع للزمن. إن عالمنا هذا هو المكان الذي تصبح فيه النفوس والأشكال العليا الأبدية معتمدة على الأمور المادية والعرضية والفانية، ومن ثم ترتبط بها وتتصل بها. ومع ذلك، فإن هذه الأمور الزمنية لعالمنا، في مجملها، هي مع ذلك مجرد حادث عرضي فيما يتعلق بهذه الأشكال الأبدية. إن علاقتهم وارتباطهم بهذه الأشكال ليسا دائمين بل مؤقتين. قد ينفصلان في أي لحظة وينفصلان عن بعضهما البعض. تعود الأشكال إلى عالمها الأبدي الخاص، بينما تبقى المواد الجسدية في عالمها. ولهذا السبب، على الرغم من أن النفس هي أول شيء خلقه الله، فإن كل نفس تأتي إلى هذا العالم يجب أن تموت في النهاية. أي أن تفك الارتباط وتنفصل عن الأمور العرضية الغريبة عنها. يقول رب العالمين: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" (3: 182)، "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ" (29: 31). كل شكلٍ، خلال فترة زمنية محددة، يبقى "على سطح" هذه المادة العرضية. هذه المدة هي ما يسمى بالوقت، وهي الحد الأقصى لهذا الشكل. إن الليالي والأيام والساعات والدقائق هي مجرد وسائل لتحديد مقياس الوقت؛ لكن هذه القياسات ليست هي الوقت نفسه. في حد ذاته، يمثل الزمن حد استمرار الشكل الأبدي "على سطح" المادة العرضية في هذا العالم.9

إذا تم فهم هذا السؤال بشكل كامل، يمكنني الآن محاولة شرح الطريقة التي تظهر بها هذه الأشكال الأبدية التي تنتمي إلى عالم النفس "على سطح" المواد العرضية لعالم ما حولها. إنهم "يأتون" إلى هناك

بنفس الطريقة التي "يأتي" بها ضوء الشمس إلى هذه الأرض أو "يدخل" في المرايا، أو بنفس الطريقة التي "يدخل" بها انعكاس الرجل وظله وصورته، "يدخلون" في المرايا. في الواقع، هذه الأشكال الأبدية في حد ذاتها لا "تنزل" أبداً من عالمها الخاص، تماماً كما لا يدخل الإنسان نفسه المرآة التي تظهر فيها صورته، تماماً كما لا تنزل الكتلة النجمية للشمس على الأرض من السماء. ولهذا السبب فإن النفس البشرية الأبدية نفسها، التي خُلقت في عالم الأسباب الأولية، والتي تبادل معها رب العوالم السؤال والجواب في عالمها الخاص - عندما أُعطي الإنسان القدرة على الكلام، وأعلن إيمانه لرب العوالم، وارتقت النفس بذلك إلى أن تصبح "نفسا ناطقة" - هذه النفس، أقول، لا تأتي "شخصيًا" وماديًا إلى هذا العالم من الأمور العرضية والزمنية. إن شكلها، وصورتها، وظلها المسقط هو ما "يأتي إلى هذا العالم"، كما أوحت لك المقارنات التي سبق ذكرها. في كل الأحوال، يبقى الترتيب الإلهي ثابتاً. إن المرئي، الخارجي، الظاهر، هو واجهة غير المرئي، الداخلي، الباطني، وفي كل الخلق الإلهي لا يوجد انحراف عن هذه القاعدة. 10

كلما ازداد انتباهك إلى دلالات الموضوع، كلما فهمت قصدنا بشكل أفضل. سواء تحدثنا من حيث الانعكاس أو الصورة الظلية أو الصورة أو الظل - ونأخذ كل هذه المصطلحات التقنية إما من كتاب الله أو من تقاليد أئمتنا - أو سواء تحدثنا عن الضوء، فإننا دائماً نأخذ هذه المصطلحات لأنها تشير إلى عمل النفس البشرية. لكل جوهر، ولكل مادة، طريقة عمل خاصة بها؛ ومن البديهي أيضاً أن هذا الجوهر والمادة يتطلبان قدراً معيناً من الكمال والتأهيل. لأن كل شيء في الواقع مخلوق بإرادة إلهية؛ إنها تلك الإرادة. إن الإرادة الإلهية تدعو إلى الكمال؛ لذا فإن كل هذه الإرادات التي خلقت الأشياء تدعو في جوهرها إلى الكمال.

إن كمال كل شيء يكمن في تجاوز ذاته، وفي تجاوز حدوده، أو "تجاوز" ذاته، من أجل الانتشار، والتغلغل في أماكن أخرى، تماما مثل التوهج الناري

للمصباح هو وفرة وجوده وكماله. كمالها هو نورها؛ ونورها هو الفعل الناتج عن احتراقها، لأن الاحتراق هو مولد النور. لذلك لكل شيء طريقته الخاصة في أن يكون مثالياً وعاملاً. وأخيراً، فإن ضعف وشدة الصفة المثالية لكل شيء يعتمد على مدى قربه أو بعده عن الكائن الإلهي، الذي هو مبدأ ومركز كل الكمالات. كلما اقترب، زادت كماله وزادت قدرته على الاختراق والتوسع والاندماج مع كل شيء آخر. كلما ابتعد عن هذا المركز وعن النماذج الأصلية العليا، كلما قل كماله، وكلما ضعف عمله، وبالتالي ضعفت قدرته على الاختراق والانتشار والاختلاط وإنتاج أي فعل على الإطلاق.

لن يجد الفلاسفة صعوبة في فهم أفكارنا. لكن ربما، من أجل المبتدئين، سيكون من المفيد أن نوضح ذلك من خلال مقارنة أخرى. على سبيل المثال، دعونا نأخذ النار غير المرئية؛ إنها مادة أبدية، وواحدة من الأشكال العليا. في اللحظة التي تصل فيها إلى سطح المادة الزمنية، وعندما تصبح شريكتها، تبدأ هذه الكتلة المدخنة في التوهج، في تلك اللحظة تتجلى الطريقة المميزة لوجود النار. لأنه على الفور "يتجاوز" حدود هذه الكتلة العرضية المدخنة؛ ويبدأ في الانتشار والامتداد بقدر ما لديه من قوة للتأثير والانتشار. وأياً كان نوع النار، وأياً كانت المادة التي تتغذى عليها - زيت نباتي، نفطا، حطب - أياً كانت المادة التي يظهر من خلالها بريقها، سواء كانت مادة معدنية أو مادة أثيرية مثل القمر والنجوم، أو مادة شمسية متوهجة، فإنها في كل حالة تعطي ضوءاً يتناسب مع رتبة ودرجة هذه "المواد". لكنها لا تبقى في مكانها الذي "اشتعلت فيه" دون حركة؛ بل تمتد إلى ما وراءه، و"تنفجر" منه، وتنقل للآخرين كمالها ونشاطها. هكذا هي طبيعة الأشياء الخاصة بالنار، التي هي إحدى الصور الأبدية.

ومع ذلك، فإن بعض هذه الأشكال الأبدية لا تمتلك الكمال والقدرة التشغيلية إلى هذا الحد. على سبيل المثال، كتلة اللون، أو الأبيض، أو الأحمر، أو لون آخر. لأن كل هذه

الألوان هي أشكال أبدية؛ إنها "تنحدر" من "الكنوز" السرية للأكوان العليا؛ هذه الألوان ليست مادة زمنية؛ إنها أشكال تتجلى، وتتجلى، على سطح المادة الزمنية. ومع ذلك، بعد أن تتجلى على سطح المادة، فإنها تظل ثابتة وغير متحركة في نفس النقطة؛ فهي لا تنتشر، ولا تخترق، ولا يكون لها أي تأثير آخر، لأنها في حد ذاتها ضعيفة وناقصة. لا يمكن للون معين خاص بمادة معينة أن يفلت من حدود تلك المادة، ولا أن "يخرج" منها، إلا إذا تدخل عامل مُكمِّل لإكمال هذا الشكل، فحينها يبدو أنه مُزوَّد بقوة توسعية. على سبيل المثال، قد يحدث أن يسقط الضوء على لون معين - على سبيل المثال، على زجاج أحمر اللون - ويزيد من حمرة هذا الزجاج؛ إذا تم تحريك الزجاج، فإنه يأخذ اللون معه. هذا ممكن بالطبع، لكنه لا يعني أن اللون الأحمر قد انتشر وانتقل من نقطة إلى أخرى. يبقى ثابتاً على سطح تلك المادة الحمراء نفسها.

قد توضح الأمثلة التي تم ذكرها للتو إلى حد ما الموضوع الذي نهتم به حاليًا. في خضم الأشكال الأبدية التي تنتمي إلى الملكوت، تحتل النفس البشرية مرتبة بين أروع وأسمى وأكمل هذه الأشكال؛ إنها شهادة على الوجود الإلهي تشهد لنفسها على الأشكال الأخرى، التي هي ناقصة وأدنى مرتبة. كما قال حضرة الأمير، الإمام الأول، فإن الشكل البشري هو أروع ضمانة من الله لمخلوقاته. إنها تشهد على الوجود الإلهي لأنها كمال كل شيء ينبثق منه، وهي مكمل الأشكال الأخرى؛ فهي تمتلك أقصى قدر من النشاط التشغيلي والنشاط العامل، فضلاً عن الكمال؛ وهي مقر طاقات متعددة.

باختصار، موضوعنا الحالي هو أن النفوس والأشكال الأبدية - كلٌ ضمن حدودها الخاصة - مُنحت كمالاً وقوة تشغيلية محددة. وهكذا، فإن النفس الإلهية الكاملة والأبدية تتمتع بقوة تشغيلية مطلقة وعالمية، لأن جميع العمليات التي تقوم بها النفوس الأبدية الفردية هي نتيجة لعمل النفس الإلهية. وهذه

العملية المطلقة هي ما يُطلق عليه في علم اللاهوت الثيوصوفي، عالمٌ، عالمٌ يقع في آنٍ واحد، فوق عالمنا من الأمور الزمنية والعرضية، وتحت عالم النفس المقدسة. أو بتعبير أدق، هو برزخ، أي فاصل زمني، أو فترة بينية، بين هذين الكونين، بين اثنين، واقع وسيط بين واقعين: عالم وسيط. إنه ليس عالماً مستقلاً - لأنه ليس جوهرياً، ولكنه قائم بفضل النفس المقدسة - تماماً كما أن نشاط شخص زيد لا يقوم كشيء في حد ذاته، بل يوجد بفضل شخص زيد، أو كما أن نور المصباح لا يقوم بشكل مستقل، بل بفضل المصباح نفسه.

لذلك فهو عالم لا يمكن اعتباره جزءًا من كوننا المادي، كونه مستقلاً بشكل واضح عن الأمور العرضية في كوننا وله حق في الأصل ونمط وجود خاص به، لا يستمد من هذا الكون المادي. أقصى ما يمكن قوله هو أنه فيما يتعلق بذلك، فإن شؤون عالمنا تؤدي وظيفة مركبة، وشكل شبحي، وأماكن للظهور فيها. لها وجودها الخاص الذي يعلو على كل هذه الحقائق المادية. كما هو الحال في حالة الانعكاس الذي يظهر في المرآة: الصورة مختلفة عن المرآة، ومختلفة عن مادة وشكل المرآة. إذا كانت المرآة موجودة، فإن الصورة تظهر فيها، وإذا لم تكن المرآة موجودة، فإن ظلك وصورتك يستمران مع ذلك في الوجود من خلال شخصك، دون أن يكون لهما أي علاقة بالمرآة. وينطبق الأمر نفسه تماماً على عالم البرزخ، العالم البيني. هذا العالم له وجوده المستقل؛ فإذا كانت الأمور الزمنية والعرضية لعالمنا موجودة، فإن انعكاس صورته يظهر فيها؛ وإذا لم تكن موجودة، فإنه يستمر في الوجود في "مكانه" الخاص ويستمر، بفضل النفس. هذا يعني ببساطة أنه لم يعد لديه شكل يمكنه من خلاله الظهور في العالم المادي الأرضي. باختصار، هناك عالم البرزخ، وهو عالم موجود ومتجذر؛ إنه غير مرئي، وفوق الحسي داخل عالمنا، ويتوافق معه بقدر ما ترمز جميع الأكوان مجتمعة مع بعضها البعض.

في البرزخ، في هذا العالم البيني، توجد في حالة ملموسة تمامًا السماوات والأرض، والعناصر، والقارات، والبحار،

والممالك الطبيعية - البشر، والحيوانات، والنباتات، والمعادن - وكلها تتوافق مع تلك التي نراها في عالمنا الأرضي. علينا أن نسترشد بحقيقة أنه إذا رأينا كائنات وأشياء في عالمنا، فذلك تحديداً لأن كل ما نراه هنا في الأسفل "نزل" من هذا الكون الآخر. يقول الله تعالى في كتابه: "وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ" (15: 21). إن الكنوز الإلهية هي بالضبط تلك الأكوان العليا التي نتحدث عنها.

أول هذه الكنوز هو عالم الأمر الإلهي، العالم الذي يكون فيه الوجود أبديًا في الأمر: "كُنْ فَيَكُونُ" (2: 111) "كل كائن ينبثق من هذا الأمر المانح للوجود. الخزانة الثانية هي عالم الذكاء، وهو عالم المادة الجوهرية، لأن المادة الأولية للكائنات والأشياء خُلقت أولاً، ثم خُلقت صورتها.11 الخزانة الثالثة هي عالم النفس، وهو المكان الذي "تستقر" فيه صور الكائنات والأشياء. لقد تم شرح كيف يرتفع تنوير النفس المطلقة، النفس الكاملة، فوق العالم وكيف ينشأ العالم الزمني بفضل بزوغ هذا النور. إن هذا الشفق (إشراق) والقوة العاملة للنفس، التي تعتبر منفصلة عن النفس، هي بالضبط ما يشكل عالم البرزخ، العالم البيني. أحيانًا نشير إلى هذا أيضًا باسم عالم النفس، نظرًا لتشابهه التام مع عالم الأبدية. وأخيراً، نتحدث عنها على أنها "النفس في الإسقاط"، بمعنى أنها الصورة المسقطة لعالم النفس ونشاط ذلك العالم. في الواقع، إنها تعيد إنتاجها بشكل مثالي لدرجة أن اسم ذلك العالم قد أُطلق عليها، ويُطلق على هذا العالم نفسه اسم "النفس في الإسقاط". إن الظل والصورة والظهور لكل ما خلقه الكائن الإلهي في النفس الأبدية موجود في عالم البرزخ، والفرق الوحيد هو ذلك الناجم عن حقيقة أن البرزخ يفتقر إلى الاستقلال والاكتفاء الذاتي. إن البرزخ، أي العالم البيني، لا وجود له إلا بفضل نفس العالم، النفس الأبدية السماوية.

وهكذا نفهم كيف أن العالم البيني

موجود بلا شك: كل الأشياء موجودة فيه بشكل متزامن؛ وراء وفوق عالمنا الأرضي في الجزء غير المرئي وغير المحسوس من عالمنا، فهو يشكل "عالماً وراء". عندما تتجلى الأشكال من هذا العالم الآخر (صُوَرِ برزخی) - الأشكال الأبدية في الواقع التكويني لجوهرها - على سطح المادة العرضية لعالمنا، فإنك وأنا قادران على رؤيتها. لكن تلك الأشكال الأبدية التي لا تظهر على سطح هذه المادة تظل غير مرئية ومخفية عن عينيك وعن عيني. من الممكن بالطبع، بصرف النظر عنك وعني، أن يرى شخص ما، ذو عيون مفتوحة وبصر أفضل منا، أشكال هذا العالم الآخر. في الواقع، ليس من الضروري أن تتجلى جميع أشكال العالم الآخر باستمرار وتظهر في كل لحظة على سطح الأمور المادية العرضية. علاوة على ذلك، يمكن أن يحدث أيضًا أن تنكسر مرآتهم العرضية؛ ومع ذلك، فإن حقيقة الأشخاص والصور تستمر في الوجود في مادتها الخاصة وفي شكلها الآخر، ولا ترتبط حقيقتها بحقيقة المرايا الزمنية والمؤقتة. وبالمثل، إذا تمزقت صورتك إلى أشلاء، فإن الصورة الموجودة على الورق تختفي، ولكن طالما أنت على قيد الحياة، فإن صورتك موجودة في كل مكان تتواجد فيه، ولا تعتمد على هذه الورقة على وجه الخصوص. لا يتم محو أي من أشكال هذا العالم الآخر من سجل الوجود، طالما أن المدة الأبدية، أي *Aevum*، لعالم البرزخ مستمرة. ربما لا نمتلك أنا وأنت "عين العالم الآخر" (چشمِ برزخی) التي من شأنها أن تجعل من الممكن رؤيتهم؛ لكن هذا ليس بأي حال من الأحوال علامة أو دليل على عدم وجودهم.

فعلى سبيل المثال، توقف حضرة الأمير ، الإمامة الأول، عند وادي السلام، وتحدث لفترة مع بعض الأشخاص. "مع من كنت تتحدث؟" سُئل. أجاب قائلاً: "مع مجموعة من الأرواح من بين الأتباع المخلصين". علاوة على ذلك، نرى كم مرة يُطرح السؤال التالي في رواياتنا التقليدية (أخبار): "أين أرواح المؤمنين بعد الموت؟" والإجابة دائماً هي نفسها: "إنهم في أجساد تشبه أجسادهم المادية". إنها موجودة بالفعل؛ لم تتلاشى؛

نحن ببساطة لا نراها. هكذا يوجد الجن والملائكة؛ فبينما تنتمي إلى الكون الآخر، فإنها تمر عبر عالمنا. لا نراهم أنا وأنت؛ ولكن ما هو مكتوب في القرآن يشهد على وجودهم. بحكم الأصل، هم سكان ذلك العالم من البرزخ، العالم الآخر الذي نسميه العالم المثالي، عالم الصور النموذجية. إنهم يمرون عبر عالمنا، ولا نراهم بأعيننا، ولكن النبي والإمام، اللذين رأياهم، هما مصدران موثوقان للخبر، ويخبراننا بوجودهم. نزل الملاك جبريل وظهر لجميع الأنبياء واحداً تلو الآخر. يروي نبي الإسلام أنه ظهر له في وقت من الأوقات في صورة الفتى الجميل دحية الكلبي، وفي وقت آخر في صورة مختلفة. وينطبق الشيء نفسه فيما يتعلق بوجود الجن، الذين ورد أنهم أظهروا أنفسهم في مناسبات عديدة لبعض الأشخاص أو أنهم جعلوا صوتهم مسموعاً لهم. نحيل المهتمين بهذا الموضوع إلى كتاب مدينة المعاجز.

وبالمثل، وبفضل التصريحات الإلهية وتصريحات النبي والمخبرين الصادقين، نؤكد أنه في هذا الكون الآخر، في عالم الصور النموذجية، توجد حيوانات ونباتات وعناصر ومحيطات وقارات ومدن، بل وحتى الجنة والنار. إن "الجنتين المغطاة بالخضرة"، التي يشير إليها النص القرآني (55: 64)، تقع تحديداً في هذا العالم المثالي، وليس بعد في عالم القيامة المستقبلية. في ذلك العالم نفسه للصور النموذجية توجد الجنة التي خُلق فيها آدم، والتي أرسله الله منها ليؤدي مهمة في هذا العالم السفلي. إنها ليست الفردوس البدائي للقيامة المستقبلية؛ فمن ذلك الفردوس لا يمكن "طرد" أحد، وسيكون المؤمنون المخلصون هناك إلى الأبد.

سيتطلب الأمر صفحات عديدة للخوض في التفاصيل، وهذا ليس المكان المناسب لذلك. سنقتصر على مناقشة بعض درجات أو مستويات عالم البرزخ أو عالم الصور النموذجية. يتحدث الشيخ أحمد الأحسائي ومؤلف الدليل الروحي 12 أحيانًا عن عالم هورقليا، لتذكير الناس بضرورة الارتقاء بالروح.

في الواقع؛ يخبرونهم بحقهم في الارتقاء إلى هذا العالم، حيث يمكنهم فقط أن يتأملوا نور إمامهم، وحيث يفهمون فقط كيف يتصرف إمامهم بأعلى درجة ويتجلى؛ باختصار، هناك يكتشفون المعرفة العليا. عندما يتحدثون بهذه الطريقة عن عالم هورقليا، فإن ما يقصده شيوخنا هو في الواقع نفس الكون الذي نتحدث عنه هنا، والذي تعلمنا عنه العديد من رواياتنا التقليدية، على سبيل المثال حديث مفضل وغيره، مظاهره وطرائقه، من خلال إظهار كيف سيتم جمع البشر هناك مع الجن والملائكة، ورؤيتهم والتحدث معهم.

أما كلمة "هورقليا"، بغض النظر عن أصلها اللغوي، فهي تشير إلى ذلك العالم الآخر، الذي وصفنا بعض خصائصه في سياق هذا الكتاب. دعونا نضيف، لمزيد من الوضوح، أن أرض هورقليا تقع على المستوى الأدنى من النموذج العالم المثالي، 13 على الحدود بين عالمنا الأرضي وعالم الحقائق المادية.

لا يزال يتعين علينا ذكر بعض الآيات القرآنية والروايات التقليدية حول الأساليب الخاصة بهذا الكون، لأنه كما نعلم، فإن شيوخنا لا يصدرون أي أحكام من تلقاء أنفسهم.

وجاء في سورة الكهف: "وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ...". حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا - حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا. قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ. "

هنا لا بد لنا من الرجوع إلى العديد من الروايات التقليدية التي تُعلق على هذه الآيات وغيرها؛ وهي روايات تصف، بالتلميح، هذه العوالم، والشعوب التي تسكنها، والأديان الحية الموجودة فيها، وكيف تعيش هذه الشعوب، وما هي الشعائر

الدينية التي تمارسها، وما هي معارفها، وما هي معتقداتها، وما مدى إيمانها وولائها للأئمة المطهرين، الذين هم ضامنون من الله لهم ولجميع العوالم ككل؛14 وأخيرًا، تصف هذه الروايات كيف أن معظم هؤلاء الناس هم رفقاء ومعاونون للإمام الغائب الذي سيعمل بمساعدتهم على تحقيق التمام النهائي للعالم الأرضي.15 ويحتاج المرء أيضًا إلى الحديث عن طعامهم وشرابهم، ووصف العادات والتقاليد التي يتبعونها فيما بينهم، والتبجيل الذي يُظهرونه لحكمائهم؛ ويمكننا أيضًا أن نقتبس بعض الأوصاف لواجباتهم، ومبانيهم ومنازلهم وقلاعهم.16

علاوة على ذلك، لدينا تقاليد تُعلمنا بتضاريس ذلك الكون، وقاراته، ومحيطاته، وجباله، والمباني الدائمة، والخيام التي تُنصب هناك، والشعوب التي تسكنه. إننا مدينون بتقاليد من هذا القبيل إلى سلمان الفارسي، وأبو ذر، وجابر، والعديد من أصحاب الإمام الأول؛ وقد ألهموا بالفعل شروحاً مطولة. ونتعلم منهم أيضاً أنه فيما يتعلق بهم أنفسهم، فإن هؤلاء الناس لا يعترفون بأي شهادة إلهية أخرى غير شهادة الأئمة الأطهار، ويرفضون بكراهية هذا أو ذاك من المدعي المخادع. في الواقع، إذا رغبنا في استخراج كل هذه المعلومات من تفسير القرآن والأحاديث المجمعة وجمعها في مجموعة واحدة، فسيتعين علينا كتابة مجلد ضخم. لكن الحمد لله! هذا موضوع لا ينكره علماء المسلمين؛ فنحن لا نرفض الأحاديث ولا آيات الكتاب. نحن نحاول فهم معناها. صحيح أن هذه المعلومات التقليدية تحتوي على غموض وصعوبات، وأن مفتاحها محفوظ بعناية فائقة من قبل أولئك الذين تعلموا هذه المعرفة. ليس من الضروري أن نعرف كل التفاصيل، ولكن من المهم أن نعطي موافقتنا، الداخلية والخارجية، على ما قالوه بشأن ذلك. سنقتبس اثنين أو ثلاثة من هذه الأحاديث.

نقرأ في الكتاب المبين، بحسب كتاب بهار لأنوار 17، هذا الحديث الذي جاءنا عن الإمام الأول، علي بن أبي طالب، عن طريق حضرة أبو

عبد الله (جعفر الصادق، الإمام السادس)، عن والد الأخير الجليل (محمد الباقر، الإمام الخامس)، وعن علي بن الحسين (الإمام الرابع): "لله مدينة وراء الغرب تسمى جابلقا. يسكن في مدينة جابلقا سبعون ألف نسمة. لا أحد منهم يرمز إلى بعض المجتمعات هنا في الأسفل. لم يضعفوا لحظة واحدة في عهدهم مع الله. مهما فعلوا أو قالوا، فإنهم لا يتوانون عن شتم المغتصبين الأوائل، والتبرؤ منهم، وتأكيد ولائهم وحبهم الشديد لأفراد آل بيت رسول الله.

ورد عن الإمام الثاني، الحسن بن علي، القول التالي: "إن لله مدينتين، واحدة في الغرب والأخرى في الشرق، وعلى قمتهما حصن من حديد. يحيط بهاتين المدينتين سور يحتوي على مليون بوابة ذهبية. تُتحدث هناك سبعة ملايين لغة، كل منها تختلف عن الأخرى. أعرف كل هذه اللغات، تماماً كما أعرف كل شيء داخل هاتين المدينتين و كل ما يحتويه الفراغ بينهما. لا يعرفون ضامناً آخر لله غير أخي الحسين وأنا."18 وأخيراً، أود أن أذكر الحديث الذي ذكره أستاذي 19 في عمله القصير الذي يجيب فيه على ميرزا صادق‌خان پيرنيا، والذي تم فيه وصف العديد من خصائص هذا الكون ومدنه. هذا النص طويل نوعًا ما، لكنني أرغب في اقتباسه هنا تحديدًا بسبب الأوصاف التفصيلية لهذه الأكوان، والتي قد تحتوي على بعض المعلومات المفيدة لإخواننا.

ورد ما يلي عن محمد بن مسلم.20 قال: "كنت أسأل أبا عبد الله (أي الإمام السادس جعفر الصادق) عن ميراث العلم الأعلى. إلى ماذا يعني ذلك؟ هل المقصود هو الفهم الشامل لكل ما ينتمي إلى هذه المعرفة، أم هو التفسير الذي يشرح بالتفصيل كل ما كنا نتحدث عنه؟" قال لي: "في الحقيقة، يمتلك الله مدينتين، واحدة في الشرق والأخرى في الغرب. يسكنها أناس لا يعرفون إبليس (الشيطان)؛ إنهم لا يعرفون حتى أنه قد خُلق. في كل لحظة نلتقي 21 بهم،

ثم يطلبون منا ما يحتاجون إليه. فعلى سبيل المثال، يسألوننا عن كيفية الصلاة؛ ثم نقوم بتعليمهم. يسألوننا عن الشخص الذي سيقيمنا من بيننا الموتى (القائم، الأمام الخفي) ويسألون متى سيحدث ظهوره. إخلاصهم شديد واجتهادهم شغوف. يخترق السور المحيط بمدنهم بوابات؛ وبين كل بوابة مسافة مائة (فرسخ). يحتفلون بالطقوس والعبادات الرائعة.

إن دعائهم وجهودهم الروحية شديدة للغاية، لدرجة أنه لو رأيتهم، لما كان لديك سوى رأي سيء في سلوكك. بعضهم يصلي لمدة شهر كامل دون أن يرفعوا رؤوسهم من وضعية السجود. غذائهم هو الترانيم؛ ولباسهم هو الشباب الأخضر؛ ووجوههم تتمتع ببريق ضوء الصباح. عندما يرون أحدنا، يحيّونه بقبلة؛ ويتجمعون حوله ويقطعون الأرض التي تحتفظ بأثر قدمه ليحتفظوا بها كنوع من الآثار. عندما يرددون الصلاة، يُسمع همهمة ترانيمهم فوق هدير الرياح العاتية. ومن بينهم جماعة كاملة لم تضع أسلحتها منذ أن بدأت تنتظر ظهور القائم من بيننا، ويدعون الله أن يكشفه لهم؛ أحدهم عمره ألف سنة.

"عندما تراهم، لن تجد فيهم إلا اللطف والتواضع والبحث عما يقربهم من الله. كلما ابتعدنا عنهم، خافوا أن نسيء إليهم. إنهم يبذلون كل عنايتهم واهتمامهم في اللحظات التي نقترب فيها منهم؛ ولا يظهرون أدنى قدر من التعب أو الفتور. إنهم يقرؤون كتاب الله كما علمناهم قراءته، بل إن بعض تعاليمنا، لو أُنزلت على الناس هنا (أي غير الحكماء، الظاهريون، الحرفيون)، سيتم رفضهم وإدانتهم مثل العديد من البلاسيميهات. 22 يسألوننا عن جميع الصعوبات التي يحملها القرن لهم، عندما لا يفهمون. ثم، ما إن نوضح لهم ذلك، حتى تتسع قلوبهم بسبب ما تعلموه منا. يسألون الله أن يمنحنا الحياة الأبدية، وألا يأتي وقت لا يجدوننا فيه. إنهم يعلمون أن الله قد أنعم عليهم بنعمة

عظيمة من خلال التعليم الذي أدخلناهم فيه.

"إنهم الذين قُدِّر لهم أن ينهضوا في صحبة الإمام، يوم المجيء الثاني، وأن يسيروا في مقدمة الفرسان المدرعين. ويسألون الله أن يجعلهم من بين الذين يقاتلون من أجل دينه الحق. ومن بينهم رجال ناضجون وفتيان صغار. عندما يلتقي أحد هؤلاء بكبيره، يجلس بتواضع أمامه وينتظر إشارة قبل أن ينهض. لديهم طريق، يعرفونه أفضل من أي شخص آخر، يؤدي إلى المكان الذي يتوافق مع نية الإمام. عندما يصدر الإمام أمراً، فإنهم يعملون عليه دون انقطاع، حتى يأمرهم الإمام نفسه بفعل شيء آخر. إذا قاموا بغزو المنطقة الواقعة بين الشرق والغرب، فسيتم تدمير المخلوقات الموجودة فيها في غضون ساعة. إنهم منيعون؛ فالنار لا تمسهم. لديهم سيوف مصنوعة من حديد مختلف عن الحديد المادي الموجود في العالم. 23 لو ضرب أحدهم أحد جبالنا بسيفه، لطعنه وحطمه إلى قطع. 24 وبرفقاء مسلحين بسيوف كهذه يواجه الإمام الهند والديلم، والأكراد والبيزنطيين، والبربر والفرس، وكل ما يقع بين جابلقا وجابلسا، المدينتين الواقعتين بين الشرق الأقصى والغرب الأقصى. لكنهم يهاجمون أتباع دين آخر فقط لدعوتهم إلى الله، إلى الإسلام الحقيقي، إلى التوحيد، إلى الاعتراف بالرسالة النبوية لمحمد والوظيفة التأسيسية لأعضاء بيته. أولئك الذين يستجيبون للنداء يكونون في أمان وسلام، ويُمنح لهم واحد منهم أميراً. أولئك الذين يرفضون الدعوة يُتركون للموت، بحيث لا يبقى بين جابلقا وجابلسا، وتحت جبل قاف بأكمله، أحد ليس مؤمناً صادقاً ونقياً."

هناك العديد من الأحاديث من هذا النوع لدرجة أننا يجب أن نتخلى عن تقديمها هنا بالتفصيل. كان هدفنا من الاستشهاد بما سبق هو توضيح الفرضية القائلة بأنه فوق هذا العالم، وهو عالم الحواس، وتحت عالم النفس المقدسة توجد أكوان، والتي يُشار إليها مجتمعة باسم عالم البرزخ وعالم العودة،

في علم الأئمة التقليدي لأئمتنا. في المستوى الأدنى من هذا المجموع الكلي للأكوان، المستوى المجاور لكوننا المادي، يوجد الكون الذي يسمى العالم المثالي، أو عالم الصور النموذجية. في علم اللاهوت القديم، هذا هو نفس الكون الذي أطلقوا عليه اسم هورقليا، أي العالم الآخر. ذلك العالم هو الصورة الدقيقة لهذا العالم - دون أي اختلاف - كما يتضح من الأوصاف الصريحة الواردة في تقاليدنا والأدلة التي أثبتها علماء اللاهوت، وخاصة شيوخنا، والتي تدعمها آيات قرآنية وتقاليدنا. في الواقع، لقد أظهروا أن تلك الأكوان تشبه وتتوافق مع كوننا هذا، وهو عالم الظواهر الحسية. ومع ذلك، هناك فرق، وهو أن كوننا الحسي هو كون الأشياء العرضية الزائلة؛ فيه يتزايد تدهور الأشياء والمواد يومًا بعد يوم، ساعة بعد ساعة؛ أو بالأحرى، يحدث كل دقيقة تغيير ما نحو الأسوأ.

من ناحية أخرى، لا يحدث أي تدهور في تلك الأكوان العليا والأبدية، حيث تمتلك المواد والأشياء حقيقة جوهرية وحيث لا شيء يحدث عرضيًا. بما أن المادة والصوت يمتلكان حقيقة جوهرية هناك، فإنهما يظلان متحدين إلى الأبد؛ لا يمكن حلهما أو فصلهما. لا يوجد هناك زمن ماضٍ ولا زمن مستقبل، ولا يوجد صباح ولا مساء على غرار عالمنا. وبسبب هذه الحقيقة بالذات، فإن الموت غير معروف هناك. كل كائن، كل شيء، يستمر في الوجود هناك في شكله الأبدي. الجنة وأهلها خالدون، أحياء إلى الأبد، تماماً كما أن أهل النار يبقون إلى الأبد في جهنم. يستمر الجميع في الوجود بهوية شكلهم؛ في هذا الكون الأبدي، لا يمكن للمؤمن المتمرس أن يصبح كافراً، ولا يمكن تحويل الكافر إلى مؤمن متمرس؛ وبهذا المعنى، لم يعودوا خاضعين لالتزامات الشريعة، ولا لعبودية الأعمال، ولا لاكتساب الفضائل. وهكذا، فإن كل شيء هناك يختلف عن عالمنا، حيث يمكن أن يصبح الأسود أبيض، والأبيض أخضر، وهكذا.

ومع ذلك، في العوالم البينية التي تسبق الأكوان العليا، أي في عوالم البرزاخ، وعوالم

هورقليا، يكون الوضع وسيطًا. يختلف هذا تمامًا عن الوضع في عالمنا من الظواهر الحسية، حيث تتدهور الأشكال والمواد وتختفي بسرعة وفي كل لحظة. كما أن الوضع ليس مستقراً ودائماً، مثل وضع الأكوان العليا، التي تتسم بالديمومة والاستمرارية. إنه عالم بين العالمين، عالم بين العالمين تحديداً. لا شك أن هذا أمر يصعب إدراكه وفهمه بالنسبة لمن لا يمتلك حاسة الإدراك والفهم. إن المدة غير المحدودة لهذه الأكوان من البرزخ تحتوي على تدرجات غير محدودة بالمثل، وهي ليست مثل قياسات عالمنا هذا. في تقاليدنا، غالباً ما يتم تفسير مدة هذه العوالم من حيث الألفيات. نتعلم من التقاليد أنه في هذه العوالم يرى المتمرس المخلص ذريته تتزايد إلى ألف طفل؛ ووفقًا لبعض الروايات، فإن العدد أكبر من ذلك. في الواقع، تهدف هذه التعبيرات الرمزية إلى الإشارة إلى نوع من الحجم الذي لا يمثل قياسنا المعتاد. الأيام والسنوات تختلف عن أيامنا وسنواتنا الأرضية العرضية، التي تتبع بعضها البعض وتحل محل بعضها البعض. نفتقر إلى وسائل المقارنة. 25 كل ذلك سيظهر في أيام المجيء الثاني، أي في أيام ظهور الإمام، عندما ينهض سكان الأرض وينتقلون إلى المرتفعات حيث سيصبحون هورقليين، أي سكان أرض هورقليا. ثم ستُكشف معرفة هذا العالم الآخر وطبيعة أهله. سيحكم الإمام عليهم لمدة 50 ألف سنة. 26 يمكن قراءة العديد من الأمور المشابهة المتعلقة بخصائص هذا العالم الآخر في العديد من الروايات التي تصف ظروف ظهور الإمام. لا يسعنا الخوض في التفاصيل هنا. لا يمكننا الخوض في التفاصيل هنا.

كيف نفهم هذا "الانتقال إلى الأعالي"، وتحولنا إلى الهورقليين، أو سكان هورقليا، هو بالضبط ما يشير إليه الشيخ محمد كريم خان الكرماني في "دليله الروحي"27. ليس له أي علاقة على الإطلاق بالتخلي المتعمد عن هذا العالم، أو بتغيير الوضع الحالي وظروف الجسم العضوي المكون من عناصر أرضية. لا، بل نصل إليه في هذا العالم الذي نسير فيه حالياً، بنفس

الطريقة التي وصل إليها بعض صحابة النبي. كلنا على دراية بالحديث الذي يروي فيه زيد بن حارثة أنه في أحد الأيام في المسجد أعلن في حضرة النبي: "الآن أرى الجنة وأهلها، وجهنم وأهلها؛ تسمع آذاني أنينهم". ويؤكد النبي صدقه بهذه الكلمات: "ابقوا على يقينكم".

من أجل الإيجاز، لم أقتبس هذا النص حرفياً هنا، ولكن لدينا عدد من التقاليد التي يمكن أن ترشدنا في هذا الموضوع. على سبيل المثال: تم احتجاز قداسة الإمام الحسن العسكري (الإمام الحادي عشر) 28 سجينًا في خان الفقراء، الذي كان مكان الإقامة الخاص للمحتاجين والمتسولين. فجاء إليه أحد الصحابة ليقدم له التحية. وقال للإمام بحزن وغضب: "أنت يا ضامن الله على هذه الأرض، محتجز في خان المتسولين!" لكن قداسة الإمام أجاب بإيماءة: "انظر!" في تلك اللحظة بالذات، رأى المتعبد المخلص الحدائق وأحواض الزهور وجداول المياه العذبة من حوله. وفي دهشة بالغة سمع الإمام يقول له: "أينما كنا، فالأمر كذلك." لا، لسنا في خان المتسولين. ومرة أخرى، في الرسالة التي اقتبست منها للتو،29 أعلن أستاذي، بعد تكرار نفس الحديث، "كما أوضح الشيخ أحمد الأحسائي بوضوح، فإن الإمام، مع كونه مرئيًا ومتجليًا في هذا العالم، كان في هورقليا". ما يوضحه لنا الحديث ليس أن الإمام لم يكن يمتلك جسداً أرضياً، بل أنه كان يمتلك القوة الروحية لجعل هذا العالم غير مرئي، ولجعل نفسه حاضراً في العالم الأعلى. وهذا ما عبر عنه عندما قال: "لسنا في خان المتسولين".

أما الأئمة الأطهار وقداسة إمام عصرنا 30 - عسى الله أن يعجل بفرح مجيئه - الذين تفوق رتبتهم كل رتبة يمكن تصورها، فإنهم يبقون أبدياً في العوالم العليا، سواء خلال الحياة التي قضوها على الأرض أو في وجودهم بعد الموت. والأكثر من ذلك، أنهم الشهادة الإلهية، والضامنون لله، لشعوب هذه الأكوان العليا، الذين لا يعترفون بضامن آخر

لله غيرهم. ما يعلمنا إياه هذا هو أن من واجب بقية أفراد المجتمع، أعضائه الأرضيين، الوصول إلى وجهة النظر هذه، وهذا المستوى الروحي. هذا هو بالضبط ما يعنيه "الارتقاء"، أن يتم نقلك إلى الأعالي. لا علاقة للأمر بـ "الطيران بعيدًا" والوصول إلى مكان ما في الجنة. ولا يعني ذلك أن الموت الجسدي ضروري لإخراجك من هذا العالم الأرضي البدائي الذي ندركه بحواسنا ومساعدتك على الوصول إلى هذا العالم الآخر. لا، المقصود هو الموت بالروح، الموت طوعاً. يعني ذلك الوصول إلى هناك مع البقاء في هذا العالم. بالطبع، لا يوجد اعتراض على تفسير هذه التجربة الداخلية ومعرفة ذلك على أنها موت. لكن هذا الموت لا يتعارض بأي حال من الأحوال مع استمرار الحياة الأرضية، وتشير العديد من التقاليد إلى هذا الأمر بالذات. على سبيل المثال: "اعرف كيف تموت قبل أن تموت؛ واعرف كيف تسدد حساباتك قبل أن يُطلب منك تقديم حساب." تكمن أهمية هذا الموت في الابتعاد عن هذا العالم الأرضي، من خلال التواجد في العالم الآخر، قيامة المستقبل. لكن هذا لا يتعارض بأي حال من الأحوال مع استمرار الحياة على الأرض.

كانت هذه هي الحالة الداخلية الدائمة للأئمة الأطهار؛ وهذه هي الحالة التي يختبرها أصحابهم الكاملون، "الشيعة الكاملون"؛31 كلٌّ حسب رتبته الروحية، إما كتجربة دائمة ومستمرة، أو كحالة تظهر في لحظات استثنائية. والحقيقة هي أن طريقة وجودهم هي أن يكونوا متاحين للإمام؛ فالإمام يثير فيهم أي حالة داخلية قد يرغب بها. قلوبهم لا تزال تحت تصرفه. ويتمثل الاقتراب من يوم المجيء الثاني، أي يوم ظهور الإمام، في ذلك تحديداً. ويشير هذا النهج إلى أن هذا التوافر يستمر في النمو، حتى يصبح متاحاً لغالبية البشر. لأن هذا سيعني أن عيون البشر تنفتح أخيراً على عالم هورقليا، ويرون هناك نور وجلال إمامهم الموجود في ذلك المكان بالذات.

فهذا هو بالضبط ما يعنيه ظهور الإمام. هل يوجد أي شيعي يوافق على أن إمام هذا الزمان - عسى الله أن يعجل بفرحة مجيئه - محروم حاليًا من كهنوته التأسيسي العالمي، ومن الكاريزما الملكية

التي تؤثر على جميع ذرات العالم المرئي؟ أنه محروم من الامتياز المقدس للخلافة الإلهية، على الرغم من أن آخرين قد استولوا عليها؟ بل على العكس تماماً. نحن الشيعى، جميعنا، ندرك جيداً أن الإمام اليوم هو بالفعل الإمام، بكل امتيازات الإمامة. لا نرى أنا وأنت هذا البهاء الملكي، وهذه الكرامة السيادية، وهذه القوة الخارقة للطبيعة بأعيننا المادية. لكن ظهور الإمام يحدث بالنسبة لنا في اللحظة التي تنفتح فيها أعيننا على عالم حور العين، وعندما ننظر إلى ظهور جلالة الإمام الملكية في جميع الأكوان معًا.

عندما يردد الشيخ الجليل أحمد الأحسائي، وجميع مشايخنا معه، أن الإمام مرئي لهم الآن ويتأملونه في هورقليا، فإن المعنى الخفي لمثل هذا البيان هو أنه بالنسبة لأولئك الذين ينتمون إلى عالم هورقليا، فإن الإمام معترف به بالفعل على أنه قد تم منحه الإمامة، بكرامة سيادية وبهاء ملكي. نعم، إنهم يتعرفون عليه ويتعهدون له بالولاء. لكن الحقيقة هي أنه في هذا العالم، لا يمكن إدراكه بحواس أناس مثلنا، ونحن لا نراه. هذا لا يعني أن الإمام ليس هنا، في عالمنا. بالطبع هو هنا. إن وجوده في هذا العالم يشبه وجود يوسف بين إخوته. كان يوسف هناك، بجانبهم، وعلى الرغم من ذلك لم يتعرفوا عليه. وحتى كشف يوسف عن نفسه، لم يتعرف عليه إخوته، كما تخبرنا تقاليدنا. وينطبق الأمر نفسه في هذه الحالة. ما دام الإمام لا يُعرّف بنفسه، فإننا لا نتعرف عليه. ما زلنا جاهلين وغير واعين. لكن لا يمكنه أن يكشف عن نفسه إلا في اللحظة التي نكون فيها قادرين على التعرف عليه، في اللحظة التي نبلغ فيها القدرة على هذا الوعي الروحي بشروطه المسبقة، أي عندما نفتح العين القادرة على معرفة الإمام (جشم الإمام شندس، حرفيًا "عين الإمام العارفة") ونوقظ الحواس التي تنتمي إلى رجال هورقليا (حرفيًا "أعضاء إدراكنا هورقليا"). ثم في تلك اللحظة بالذات، سنرى أن العالم المرئي بأكمله هو عالم الإمام والرسالة النبوية،

وأن الكرامة السيادية والكاريزما الملكية والتجلي تنتمي إلى الإمام.

ومن خلال عيش هذه الحالة تجريبياً نرى ونفهم كيف تشرق شمس الوجود الأكثر قدسية للإمام في الغرب،32 بعبارة أخرى، حيث ومتى انتهى العالم الحالي من الغروب. لا ينبغي للمرء أن ينسى المعنى الحقيقي، وهو المعنى الروحي. يجب أن نفهم أن عالمنا في حد ذاته ليس له "شرق" أو "غرب"، تمامًا كما أن الشمس "تشرق" أو "تغرب"؛ إن دورانها في مدارها هو دورتنا الخاصة حول أنفسنا. في كل مرة نبتعد فيها عن هذا العالم ونتقدم روحياً نحو العالم الآخر، يغرق العالم الأرضي نحو مغربه، بينما يشرق نور العالم الآخر في الشرق. ما ينبغي فهمه هنا من خلال "الشرق" و"الغرب" هو الشرق والغرب، غير المتأثرين بالنقاط الأساسية للفضاء الحسي، وليس الشرق والغرب المجازيين لجغرافيتنا. وهكذا، فإن الشمس "التي تشرق من الغرب" تنذر بساعة "الغروب"، والانحدار النهائي لهذا العالم. والنور الذي يشرق هو أقدس وجود للإمام. ينبغي إيلاء اهتمام دقيق للدلالة الروحية لمثل هذه التصريحات. لستُ متخصصاً في تأويل الرموز، ولكني أفهم وأفسر وفقاً لمعناها الروحي كلمات الله والنبي والأئمة الأجلاء، الذين لا تسمح مكانتهم بأن يُقال أو يُقصد أي شيء ما لم يُلزم بالاعتراف بالمعنى الروحي.

وخلاصة القول، فإن هورقليا هي العالم المثالي الأصلي، عالم الصور النموذجية، والأشكال المستقلة. إذا استطعت أن تصرف نظرك عن الحقائق الأولية والمؤقتة والمتغيرة باستمرار، وأن لا يكون لديك عيون إلا لشكلها الحقيقي، وهيئتها النقية، وصورتها النموذجية، التي توجد بمادتها وشكلها الخاصين، على غرار صورة زيد في المرآة، فعندئذٍ، في تلك اللحظة بالذات

وبقدر استطاعتك، ستكون قد تأملت عالم هورقليا. سترتفع فوق عالم الظواهر الحسية هذا؛ ستدرك وتتأمل النور الأزلي، الصورة النقية ونور إمامك، الذي يشبه

صورة بدائية تغطي أفق هذا العالم وكل ما بين جابلقا وجابلسا. حينها ستفهم كيف أنه وحده يحكم ويقرر، وكيف أن كل شيء وكل شخص لا يستطيع إلا تنفيذ أمره. سترى جميع الأنشطة وجميع العمليات كما هي محكومة بهذه الصورة، وككائنة دائماً وأبداً على الإمام. إذا أصاب الرامي طائره المسكين بسهمٍ قتله، فسوف تفهم أن الإمام هو الذي أطلق السهم وهو الذي ضحى بالجبل.

276

بالطبع، بالنسبة لأي شخص لم يتم تأهيله في الغنوص، سيكون من الصعب للغاية إدراك هذه المعاني الخفية. لا أستطيع أن أقول المزيد عن ذلك هنا من باب التوضيح، لأن هدفي كان فقط تقديم لمحة موجزة عن عالم هورقليا.